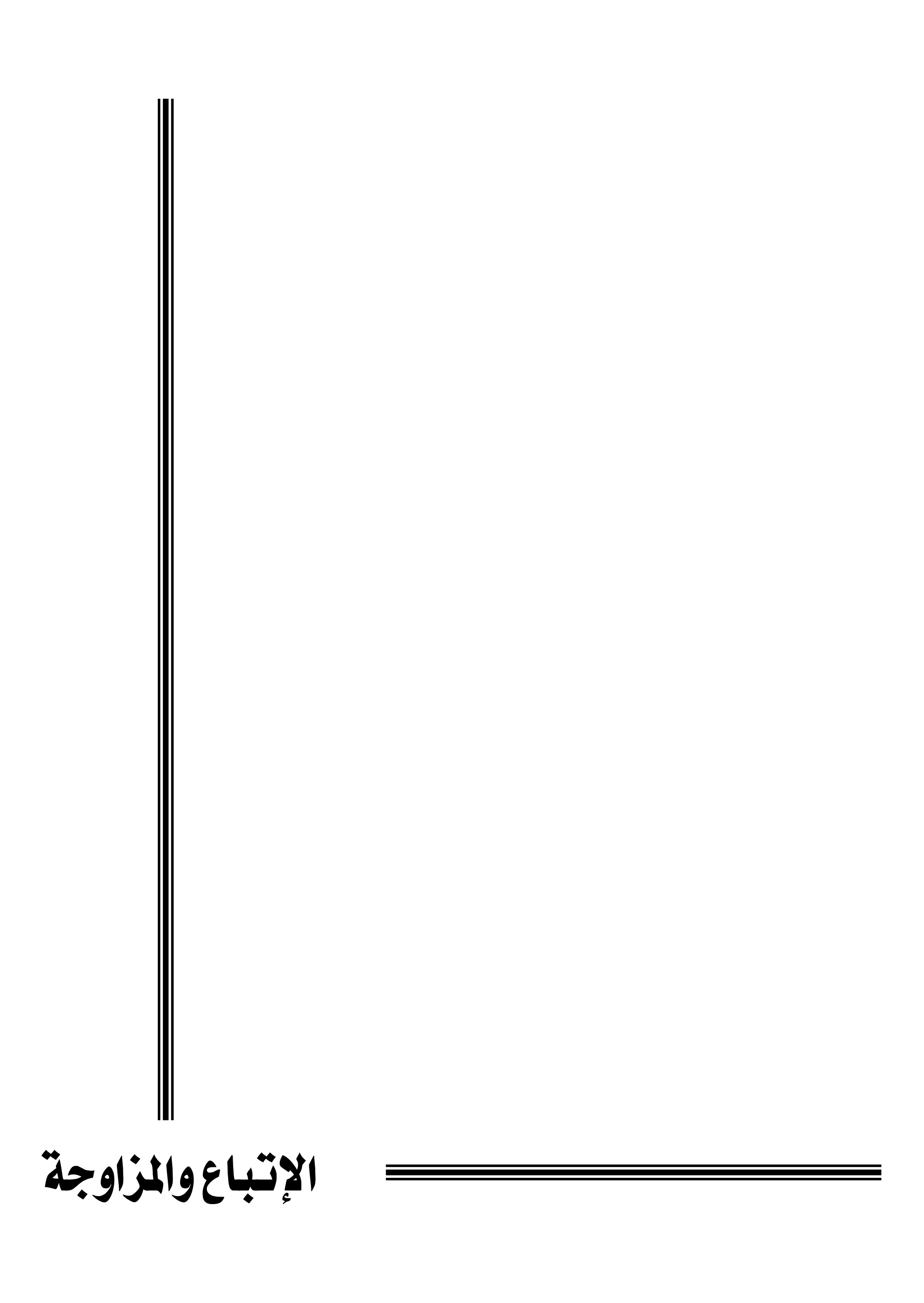
الإتباع والمزاوجة

في ضوء المعالجة العصبية ونظرية ومعجم الحقول الدلالية

الأستاذ الدكتور

عطية سليمان أحمد





بسم الله الرحمن الرحيم

(وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيّ عِلْماً)

صدق الله العظيم

﴿ سورة طـه آيه رقم (١١٤) ﴾

الإتباع والمزاوجة

في ضوء المعالجة العصبية ونظرية ومعجم الحقول الدلالية

الأستاذ الدكتور

عطية سليمان أحمد

٢٠٢٢م



الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

الكتاب : **الإتباع والمزاوجة في ضوء المعالجة العصبية ونظرية ومعجم الحقول الدلالية**

المؤلف : الدكتور عطية سليمان أحمد

رقم الطبعة : الثانية

تاريخ الإصدار : ٢٠٢٢ م

حقوق الطبع : محفوظة للناشر

الناشر : الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعى

العنوان : ٨٢ شارع وادى النيل المهندسين ، القاهرة ، مصر

تلفاكس : ٥٦١ ٣٣٠٣٤ (٠٠٢٠٢) ٠١٢٢/١٧٣٤٥٩٣

البريد الإليكترونى: m.academyfub@yahoo.com

رقم الإيداع :

الترقيم الدولى :



بعد ما رأيت من انتشار واسع لكتابي (الإتباع والمزاوجة) بين الباحثين في الوطن العربي منذ أن نشرته في طبعته الأولى عام ٢٠٠٤م؛ فما وجدتُ بحثًا بعد هذا التاريخ يدور حول ظاهرة الإتباع والمزاوجة إلا ورجع إليه واستشهد به، ووجدت باحثين في لغات أخرى غير العربية يأخذون الفكرة (الإتباع) من كتابي، ويبحثون عنها في لغتهم، فبحثوا عنها في لغتهم، ووجدوا نماذج لها في لغاتهم، فانطلقوا في دراستها مستعينين بما وضعته من منهج وآلية لدراسة هذه الظاهرة؛ مما جعلني أشرع في بحثها من جديد في ضوء ما استجد من بحوث.

ولما كان الدرس اللغوي في تطور دائم، وأنه يتفاعل مع علوم شتى، وسعتْ آفاقه وجعلتْه يدخل بعمق كبير في الظواهر اللغوية ويحللها ويفسرها بصورة لم تكن معروفة من قبل، فأتى لنا بنتائج لم نكن نتوقعها، فكان علينا النظر إلى ظاهرة الإتباع في ضوء ما استحدث من بحوث العلوم المعرفية، والإفادة من نتائجها لتحقيق فهم أكبر للظاهرة، مثل علم النفس والأعصاب وكل العلوم المعرفية التي تبين صلتها باللغة وظواهرها؛ لذا كان علينا توسيع دراستها لتكون في ضوء العلوم المعرفية المختلفة مثل: علم اللغة والنفس والأعصاب.

انطلقت العبارة الإتباعية من إبداع يتم في الدماغ؛ لذا كان علينا دراستها على أنها إبداع عقلي في ضوء علمي (النفس والأعصاب) لإظهار الجانب الخلاق في الظاهرة، وكيف يصنع المبدع عبارات إتباعية جديدة كل يوم!.

إن الغاية من إعادة طبع الكتاب أن يكون أول تطبيق يحلل تراثنا اللغوي حسب نظريات المعالجة العصبية، وقد سبق أن حللناها في ضوء نظرية الحقول الدلالية، وقدمنا أول معجم للحقول الدلالية يقسم عبارات الإتباع حسب تقسيمها، مع تحليل العلاقات بين الحقول الدلالية المختلفة؛ مما يجعلنا نفهم ظاهرة الإتباع من جوانب متعددة وبصورة أكبر.



الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، ثم أما بعد...

الإتباع أسلوب من أساليب العرب في كلامها، وقد عرفته أمم أيضًا أخرى غير العرب كالفرس، «كما عرفه الغربيون في لغاتهم، وهو معروف الآن في كلام العامة في عصرنا، ويزعم بعضهم أن الإتباع معروف من عهد آدم»[١].

إن هذه الظاهرة اللغوية أو الأسلوب الذي يتبعه الكثيرون قديمًا وحديثًا هو وسيلة يستخدمها الناس للتعبير عن رأيهم في موقف ما، ولكن بطريقة تختلف عما اعتاده الناس في كلامهم، حيث يأتي برأيه في عبارة قصيرة؛ تحمل نغمًا قصيرًا، ناتجًا عن توافق كلمات العبارة في الوزن والروي، وهذا الأمر الأخير هو هدف في ذاته، حيث يحرص المتكلم على تحقيقه مطوعًا في سبيل ذلك أوزان اللغة قواعدها لتحقيق هذا الهدف؛ فيغير ويبدل في أوزان الكلمات، وقواعد التركيب اللغوي للجملة حتى يتحقق ذلك، بل إن المعنى الخاص بالكلمات يتم تطويعه لهذا الغرض، فنجد الكلمة الثانية تابعة للأولى في معناها حيث يختار المتكلم كلمة تناسب أو ترادف الكلمة الأولى في المعنى بعد أن وافقتها في الوزن والروي ليتحقق الهدف من العبارة، وهو إحداث ذلك النغم والإيقاع أو التناسق الصوتي بين الكلمات والمعاني.

ومن هذه المقدمة يتضح أننا أمام ظاهرة لغوية موجودة في كل المجتمعات، وكل العصور، وكل اللغات، ليس الهدف منها- (كما يرى البعض وكما سيتضح بعد ذلك)- تأكيد الكلام أو الترادف أو غير ذلك من الأسباب اللغوية أو البلاغية، بل إننا أمام ظاهرة ظاهرُها لغوي وباطنها نفسي؛ فالإنسان المتكلم يشعر براحة نفسية عندما يخرج كلامه في شكل إيقاع منتظم، بل إن السامع يشاركه هذه المتعة النفسية عندما يسمع هذا الكلام بهذه الصورة؛ وذلك لما وضعه الله في النفس البشرية من ميل إلى هذا التوافق والانسجام في الإيقاع الصادر عن الأشياء

---

[١] الإتباع والمزاوجة، ١٩، وذكر هذا السيوطي في المزهر قائلاً: "وقد شاركت العجم العرب في هذا الباب" المزهر، ٢/ ٤١٤.

التي تحيط به سواء كان هذا الإيقاع صادرًا عن متكلم، أو عن آلة، أو طائر، أو إيقاع قدم دابة تسير على الأرض، كما جاء الرجز من إيقاع أقدام الإبل على الأرض في سيرها، بل إن الحق تبارك وتعالى لم يأمرنا بقراءة القرآن، بل بترتيله كما في قوله تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾[1] والترتيل كما قال صاحب القاموس المحيط[2] (الرتل) محركَة: حُسْنُ تناسُب الشيء وبياض الأسنان وكثرة مائها، والحسن من الكلام.. ورتَّل الكلام ترتيلاً أحسن تأليفه، وترتل فيه ترسل»، أي: اقرأه بتمهل، وتبين حروفه وتناسق هذه الحروف، وحسن تأليفها، وهذا الأسلوب في القرآن سيؤدي إلى توضيح التناسق وحسن التأليف والانسجام والتوافق بين كلماته وحروفه، فقراءة القرآن بهذا الشكل تختلف عن قراءة رسالة أو جريدة أو أي كتاب آخر، بل إن هناك من آمن بهذا الكتاب الكريم لمجرد سماعه يُرتَّل بدون أن يفهم معناه؛ لما وصل إلى نفسه من خشوع، وأثر فيها فخشعت لربها.

ومن طبيعة النفس البشرية أنها تستجيب لذلك التناغم والانسجام بين كلمات العبارة الواحدة، وفي إطار هذا التعريف وعلى أساس من هذه الحقيقة يمكننا أن نفهم ظاهرة الإتباع بأنها: انسجام صوتي بين كلمات العبارة ترتاح وتَسْعد به نفس المتكلم والمستمع مع تحقيق معنى من هذا التجاور بين تلك الكلمات التي أُخْتيرت بعناية بالغة لتؤدي هذه العبارة المعنى المقصود منها، ومن هذه الحقيقة ينطلق هذا البحث محاولًا تعريف هذه الظاهرة بكل جوانبها اللغوية والنفسية والاجتماعية، ومدى الحاجة إليها وملازمتها لنا في كل مكان وكل مجتمع.

وفي نهاية هذا العمل أرجو أن أكون قد وفقت في إعطاء صورة واضحة عن ظاهرة الإتباع اللغوي ومعرفة جوانبها اللغوية والاجتماعية.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل ،،،

د. عطية سليمان

الدمام. السعودية

١١/٤/١٤٢٥هـ ٣٠/٥/٢٠٠٤م

---

[1] المزمل، ٧٣/٤.

[2] تفسير النكت والعيون للماوردي، ٤/٣٥٦، القاموس المحيط مادة (رتل)، ٣/٣٩٢.

وهذا الأمر يستلزم إعادة النظر في كل ما ذكرناه من قبل من آراء حولها، فقد نغير رأينا حول أمور كثيرة في الظاهرة.

وبعد أسأل الله التوفيق والرشاد، وأن ينفع به الباحثين في كل مكان.

عطية سليمان أحمد

القاهرة:٢٠٢١/٧/٨م

الباب الأول

الإتباع والمزاوجة والدرس اللغوي

مقدمة:

يعد الجانب اللغوي عنصرًا أساسيًّا في العبارة الإتباعية، فهي في أساسها عبارة لغوية صنعت، ولكن بطريقة لغوية خاصة وعناية كبيرة؛ فأتت في نمط لغوي متميز عن العبارات اللغوية الأخرى والمتداولة بكثرة بين الناس كالأمثال؛ لذا وجب دراسة الجانب اللغوي في باب مستقل نجعله لتحليل الجوانب اللغوية المختلفة في العبارة الإتباعية فجاء في فصول هي:

الفصل الأول: تعريف الإتباع والمزاوجة.

الفصل الثاني: الإتباع والبنية الصوتية.

الفصل الثالث: الإتباع والبنية الصرفية.

الفصل الرابع: الإتباع والتركيب النحوي.

هذا التحليل لجوانب اللغة في الإتباع يبين الصور والأنماط التي تأتي فيها العبارة الإتباعية، وكذا العناصر اللغوية التي تصنع العبارة الإتباعية وتجعلها متميزة عن صور وأنماط اللغة المختلفة؛ فالتحليل الدقيق للتكوين اللغوي للعبارة الإتباعية يلقي الضوء على كل جوانبها اللغوية.

الفصل الأول

تعريف الإتباع والمزاوجة

أولًا: تعريف الإتباع

تكلمنا قبل ذلك عن هذه الظاهرة، وأشرنا إلى أنها تقوم على أساس صوتي، حيث ينطلق المتكلم إلى التعبير عن حالته النفسية تحت تأثير انفعال ما، فيأتي بكلمة معينة ذات دلالة معينة، تعبر عن هذه الحالة الانفعالية التي يحيا فيها الآن (فرح – حزن – ضيق – سعادة...)، ويكون لها هذا المعنى الذي يعبر عنه، ثم يأتي بكلمة أخرى توافقها في الوزن والروي بغرض إحداث انسجام صوتي بين هاتين الكلمتين، وتُعد تنفيسًا عن النفس المنفعة، وهذا الانسجام أو التوافق الصوتي الناتج عن اجتماع هاتين الكلمتين هو غرض في ذاته من هذه العبارة، ولهذا يأتي الجانب الدلالي (أي: المعنى) في مرتبة تالية في الأهمية لذلك الغرض، وهو إحداث توافق وانسجام صوتي بين الكلمتين، فالمتكلم يريد أن يُعبر عن فكرة أو انفعال معين، وقد تم له هذا في الكلمة الأولى: نحو (هو شيطان ليطان)، فقد وصف من يريد (وهو فلان) بما يريده (أنه شيطان)، أما الكلمة الثانية فقد جاءت لتحقق الغرض منها، وهو إحداث توافق وانسجام صوتي بينها وبين الكلمة الأولى، فيشعر المتكلم براحة نفسية نتيجة للتعبير عن رأيه في شكل مختلف عن كلامه العادي الذي يتكلم به بين الناس، فيتم له هذا في قالب لغوي محدد ومنغم، وهذا الأمر نجده في كلامنا كل يوم عندما يتكلم الإنسان منفعلاً بشيء ما، فيجد نفسه – دون أن يشعر - يتكلم بكلمات مسجوعة منغمة؛ فيشعر بأن ذلك الانفعال يخرج من خلال هذه الكلمات المنغمة، فتهدأ نفسه بذلك، ويخرجه عن جو الانفعال السابق.

ولهذا قلتُ: إن المعنى في الكلمة الثانية يأتي تباعًا لوزن الكلمة الأولى؛ ولذا سُميت هذه الظاهرة بالإتباع، أي: هناك شيء يتبع شيئًا آخر، حيث تتبع الكلمة الثانية الكلمة الأولى، أولًا: في الصوت (وزنًا ورويًا)ثانيـًا: في المعنى، (وحوله خلاف)؛ لأنه ليس الغرض الأساسي من هذه العبارة وذلك القالب اللغوي، ولهذا قد تحمل الكلمة الثانية معنى، أو لا تحمل معنى وفيه خلاف بين العلماء، ونظرًا

لأهمية هذا الجانب الصوتي في بناء العبارة الإتباعية والتعبير عن الحالة النفسية، فقد كان الأساس الذي ننطلق منه في دراسة ظاهرة الإتباع، حيث نتابع تعريف القدماء والمحدثين له بحثًا عن صحة هذا الأساس الصوتي الذي تقوم عليه عملية الإتباع، هل الأساس تحقيق الانسجام الصوتي، أو تحقيق المعنى في الكلمة الثانية مع ذلك الانسجام الصوتي، وأيهما يُقدم على الثاني؟.

وعندما نستعرض حديث المحدثين عن الإتباع تصادفنا هذه العبارة لدى كثير منهم، وهي أن هذا المصطلح محل خلاف لم يتفق على تعريفه العلماء، يقول عز الدين التنوخي: «إن علماء العربية قد اختلفوا في الإتباع وتعريفه وتصنيفه، والتبست على بعضهم حقيقته فجعله من باب الإبدال»[(١)]، وكذلك تلك العبارة التي قالها د. أبو السعود الفخراني، والتي توضح شدة هذا الخلاف، وهي «الإتباع مصطلح حائر في الدراسات العربية المختلفة إذ تختلف دلالته بين علوم الحديث والنحو واللغة»[(٢)].

وهو بالفعل يحمل حيرة كبيرة لدى الباحثين كي يكون تعريفًا جامعًا مانعًا، فقد تداخلت التعريفات، وكثرت، فبعضهم يأخذ بجانب المعنى أساسًا له، وبعضهم يأخذ الجانب الصوتي أساسًا له، وبعضهم يأخذ جانب التركيب وبعضهم يجمع بينهما، وهذا يعني أنهم أدخلوا الجانب الصوتي الذي جعلتُهُ أساسًا لظاهرة الإتباع في الحسبان، بل جعلوه أحد أسس تعريف الإتباع.

ونعرض الآن لهذه الآراء عند القدماء والمحدثين، وكذلك نقوم بتصنيفها على الأساس السابق، وهو الأساس الصوتي أو التركيبي أو الدلالي أو الجمع بينها في تعريف واحد لدى القدماء.

١ .الإتباع عند القدماء :

التعريف الذي نلتقي معه أولًا هو قول ابن فارس (الإتباع) هو أن تتبع الكلمة لكلمة في وزنها أو رويها إشباعًا وتوكيدًا[(٣)].

وهو يوضح أن الإتباع هو اتفاق بين الكلمتين صوتياً لغرض التوكيد، وقد تبعه في هذا التعريف أبو البقاء في موسوعته (الكليات) وأضاف إليه: أن الثاني لا يكون

---

(١) كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي، ٣.

(٢) دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والأثر، ٣٢.

(٣) المزهر، ٢/ ٤١٤.

مستعملاً بانفراده في كلامهم؛ وذلك يكون على وجهين، أحدهما: أن يكون للثاني معنى كما في (هنيئًا مريئًا)، والثاني: ألا يكون له معنى، بل ضُم إلى الأول لتزيين الكلام لفظًا وتقويته معنى[1]، وهذا التعريف يضيف شيئًا جديدًا، وهو الأساس الدلالي إلى جانب الأساس الصوتي الذي ذكره ابن فارس؛ وهو أن الثاني له معنى، أو لا معنى له، وأن غرضه التزيين في هذه الحالة وتقوية المعنى، وهذه الإضافة تؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه، وهو أن المعنى ليس هدفًا في هذه العبارة الإتباعية، بل الأساس هو إحداث هذا النغم أو الانسجام الصوتي بين الكلمتين، سواء حملت الكلمة الثانية معنى أم لا، وهذا الرأي نجده لدى الكسائي الذي يقول: «إنما سُمي إتباعًا لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد، وليس يتكلم بالثانية مفردة، فلهذا قيل إتباع»[2].

وقد قال هذا أيضًا الآمدي «التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دُريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن: فقال: لا أدري ما هو»[3].

وقال هذا أيضًا التاج السبكي «والتابع لا يفيد وحده شيئًا، بل شرط كونه مفيدًا تقدم الأول عليه، كذا قاله الإمام فخر الدين الرازي»[4].

بل إن أبا الطيب اللغوي شيخ ابن فارس يشير إلى أن التابع لابد أن يكون دون معنى، فيذكر محقق كتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس (محمد أديب جمران) «خلاصة رأي أبي الطيب اللغوي في نقطتين:

١ – أن التابع إن لم يكن له معنى في نفسه، أو كان بمعنى متبوعه، وجاء ليقويه، ولم يفرد فهو إتباع.

٢ – وأنه إن كان بمعنى المتبوع وجاء ليقويه، وأمكن أن يفرد، فهو ليس بإتباع، بل هو توكيد.

فالمعول عند أبي الطيب اللغوي، إنما هو على التابع، وإن كان له معنى، أو لم يكن مع إمكان إفراده، وليس المعول عنده على الواو كما يرى أبو عبيد في غريب الحديث»[5].

(١) الكليات لأبي البقاء الكفوي، ١/ ٣٢.
(٢) المزهر، ٢/ ٤١٥.
(٣) المرجع السابق، ٢/ ٤١٥.
(٤) المرجع السابق، ٢/ ٤١٥.
(٥) الإتباع والمزاوجة لابن فارس، ٢١.

ولكن القالي يُدْخل الثاني في الإتباع حتى ولو كان له معنى، فهو يقول بعكس ما ذكره أبو الطيب اللغوي: «الإتباع على ضربين، ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول، فيؤتى به توكيدًا؛ لأن لفظه مخالف للأول، وضرب فيه معنى الثاني غير معنى الأول، فمن الأول قولهم: رجل قسيم وسيم، وكلاهما بمعنى الجميل»[1].

وكذلك جعل ابن الدهان في الغُرة أن الإتباع يدخل في باب التوكيد، يقول في باب التوكيد: منه قسم يسمى الإتباع، نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على هذا كونه توكيدًا للأول غير مبين معنى نفسه عن نفسه كأكتع وأبصع مع أجمع، فكما لا ينطق بأكتع بغير أجمع، فكذلك هذه الألفاظ مع ما قبلها[2].

ثم يذكر السيوطي بقية رأي ابن الدهان موضحًا أن النظرة الصوتية هي أساس هذه الظاهرة اللغوية الصوتية (الإتباع) بتكرار الكلمة مرة ثانية مع تغيير في أحد أصواتها ليبدو النغم في صورة جديدة، يقول «قال: والذي عندي أن هذه الألفاظ تدخل في باب التأكيد بالتكرار نحو رأيت زيدًا زيدًا، ورأيت رجلاً رجلاً، وإنما غُيِّر منها حرفٌ واحدٌ لما يجيئون في أكثر كلامهم بالتكرار، ويدل على ذلك أنه إنما كرر في أجمع وأكتع العين، وهنا كررت العين واللام نحو: حسن بسن وشيطان ليطان»[3].

وهذا يعني أن من عادة العرب في أكثر كلامهم التكرار، وأن تغيير حرف واحد يعطي العبارة نغمًا خاصًا يحرصون عليه كما في حسن بسن، وشيطان ليطان، ثم يأتي الجانب الأخير، وهو جانب التركيب، حيث رفض كثير منهم أن يكون بين التابع والمتبوع واو فاصلة، ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام، حيث يرى أن التابع لا معنى له، ولا يُفصل بينه وبين المتبوع بواو، وقد نَهَجَ نَهْج الأصمعي في هذا[4].

وهذا يعني أنهم رفضوا وجود الواو بين التابع والمتبوع حتى لا يبدو في شكل تركيبي جديد بوجود هذا الفاصل (الواو)، وهو أيضًا يؤيد تلك الفكرة الصوتية التي تكلمنا عنها، فتكرار الكلمة الثانية بعد الكلمة الأولى يعطي نغمًا مخالفًا لتكرار

(١) المزهر، ٢/ ٤١٦.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٤٢٤.

(٣) المرجع السابق، ٢/ ٤٢٥.

(٤) انظر: غريب الحديث، لأبي عبيد، ٤/ ٢٦-٢٨.

الكلمة الثانية بعد فاصل، وهو الواو؛ فهناك فرق في الصوت بين حسن بسن، وشيطان ليطان، وعطشان نطشان، وفرق بين حسن وبسن، وشيطان وليطان، وعطشان ونطشان؛ فالفرق بينهم تركيبياً كبير، وصوتياً أيضًا، ولهذا رفض كثير من علماء اللغة وجود هذه الواو مع بقاء العبارة في باب الإتباع بسبب هذه الاختلافات.

فإذا كان هذا رأي القدماء في الإتباع بأنه كلمة تأتي موازية لكلمة أخرى تساويها في الوزن والروي لأغراض التوكيد، وتقوية المعنى، وتحمل معنى الكلمة الأولى أو لا تحمل معناها، وترتبط بواو أو بدون واو، فهي عندي كلمة مساوية للأولى في الوزن والروي وتختلف عنها بحرف أو أكثر في صورة جناس ناقص ليحدث هذا الانسجام الصوتي المقصود في ذاته بتلك الظاهرة، وكلما كانت الكلمة الثانية لا تحمل معنى بدون واو العطف كلما كانت أقرب إلى تلك الظاهرة (الإتباع) وأدخل فيها.

٢.الإتباع عند المحدثين :

هذا التعريف قال به محمد أديب عبد الواحد جمران محقق كتاب الإتباع المزاوجة لابن فارس، ولكنه لم يُشر إلى الجانب الصوتي، وأثره في هذه الظاهرة، بل أشار إلى أن – كما في رأيي – أساس هذه الظاهرة، والهدف منها أن تكون وسيلة لتفريغ الانفعال الذي لدى المتكلم والمستمع تجاه موقف ما.

يقول جمران: «إن الإتباع أسلوب من أساليب الكلام يقوم على طرفين، هما: التابع والمتبوع، ويربط بين الطرفين التزام بحرف في آخر كل طرف، وبوزن يتساوى فيه الطرفان، ويغلب أن يكون طرفاه اسمين لا فاصل بينهما، وأن يكون الثاني بكلمة لا معنى لها، حتى يكون الأسلوب أدخل في باب الإتباع[١]».

ويعرفه د. رمضان عبد التواب مدخلاً الجانب الصوتي والتركيبي في التعريف، وأنه لا معنى له، فيقول: «الإتباع عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية، بغرض الزينة اللفظية، وتأكيد المعنى، والكلمة الثانية تسمى كلمة الإتباع[٢]».

(١) الإتباع والمزاوجة، ٢٧.

(٢) فصول في فقه العربية، ٢٤٦.

وهذا يعني أن الغرض من الإتباع التوكيد للمعنى، والزينة اللفظية، أي: الانسجام الصوتي بين الكلمتين، والذي ينتج عن هذا التساوي في الوزن والقافية أو الروي.

وقد تبعه في هذا التعريف للإتباع د. حسام البهنساوي في كتابه التوليد الدلالي عند حديثه عن كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي، حيث قال: «وكتابه الإتباع الذي وقفه على حقل الكلمات المؤكدة لفظيًّا، بكلمات مساوية للكلمة المؤكدة بقصد الزينة اللفظية، أو المساواة في القافية مع تأكيد المعنى»(١).

فكانت القضية أن الزينة اللفظية هي القصد من المساواة في الروي والوزن، وهو ما نشير إليه بأن تحقيق الانسجام الصوتي هو الهدف الأول من قضية الإتباع كظاهرة لغوية يحرص عليها المتكلمون قديمًا وحديثًا، بل إنهم يتناقلون تلك العبارات جيلاً بعد جيل في مواقفهم الحياتية المختلفة بهدف:

أ- تحقيق هذا الانسجام الصوتي الناتج من تجاور التابع والمتبوع.

ب- التعبير عن الانفعالات المختلفة، والتي تتشابه في كل الأجيال.

ج- تحقيق الراحة النفسية عند إفراغ هذا الانفعال في قالب لغوي مُنغّم بينه انسجام صوتي يدل على حكمة المتكلم وخبرته.

د- ويشاركهم في هذه المتعة المستمع عندما يتفق رأيه مع رأيهم.

هذا هو الإتباع كما أراه كظاهرة صوتية في الدرجة الأولى، ثم يأتي بعد ذلك المعنى في درجة تالية في الأهمية للصوت.

ثانيًا: المزاوجة

١. المزاوجة عند القدماء:

يقول الزبيدي في التاج: «ازدواج الكلام وتزاوج أشبه بعضه بعضًا في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى»(٢)، هذا التعريف للزبيدي يوضح أن المزاوجة تعني تعمد المتكلم المزاوجة بين كلمات العبارة ليتحقق له الغرض من ذلك، وهو إحداث سجع بين كلمات العبارة، أو التساوي بينها في الوزن، وهذا هو مفهوم المزاوجة عند أصحاب المعاجم قديمًا وحديثًا(٣) ففي

(١) التوليد الدلالي، ٢.

(٢) تابع العروس (زوج)، ٦/ ٢٤.

(٣) انظر لسان العرب (زوج)، ٢/ ٢٩٣، أساس البلاغة (زوج).

المعجم الوسيط (زواجه مزاوجة وزواج الكلام أشبه بعضه بعضًا في السجع أو الوزن، وتزاوج الكلام: ازْوج)[1].

فماذا لو جعلنا هذا التعريف أساسًا لتحديد معنى المزاوجة، لنتخلص من ذلك التضارب والخلط الذي يقع فيه أصحاب اللغة بين الإتباع والمزاوجة.

فابن فارس لا يفرق بينهما، فيقول «هذا كتاب الإتباع والمزاوجة وكلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليان على روي واحد.

والوجه الآخر أن يختلف الرويان ثم تكون بعد ذلك على وجهين:

أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف.

والآخر أن تكون الثانية غير واضحة المعنى، ولا بينة الاشتقاق، إلا أنها كالإتباع لما قبلها»[2].

وهو يذكر في ذلك اجتماع الإتباع والمزاوجة على تقسيم واحد، يقوم على أساس صوتي دلالي، فالكلمتان على روي واحد، وتكون الثانية لها معنى، أو لا تكونان على روي واحد، والثانية لا معنى لها، لكنه لم يفرق بين المصطلحين (الإتباع والمزاوجة)، بل إنه يذكر أن بعض العبارات تصلح أن تكون إتباعًا وتزويجًا نحو قوله: (رجل خيَّاب تياب)، قال: «خيَّب من (خاب) وتياب تزويج، وهو يصلح أن يكون إتباعًا»[3]، والذي نلاحظه في المثال السابق أن الإتباع والمزاوجة يقعان بين كلمتين (خيّاب تيَّاب)، وهذا يعني أنه يتكلم عن الإتباع وليس عن المزاوجة، وقد خلط بينهما أيضًا ابن قتيبة في كتاب (أدب الكاتب) حيث ذكر عنوانًا يسمى (باب تأويل المستعمل من مزوج الكلام ما كان يعنيه ابن فارس وغيره بالمزاوجة – يمكن أن تدخل في باب الإتباع نحو حياك الله وبياك – هو جائع نائع، وغيره من العبارات التي توضح أنه لا يتكلم مطلقًا عن المزاوجة التي في مقابل الإتباع، بل يتكلم عن الإتباع.

٢.المزاوجة عند المحدثين :

أما عن رأي المحدثين في تعريف المزاوجة فأول ما يصادفنا هو رأي الأستاذ التنوخي في مقدمة الإتباع لأبي الطيب يقول «إن ما ذكرناه من الإتباع يتبع فيه الثاني الأول، وهناك ما يتبع فيه الأول الثاني، ويتساهل بعضهم فيسميه إتباعًا، وبعضهم

(١) المعجم الوسيط، ١/ ٢٣٠.

(٢) الإتباع والمزاوجة، ٤٣، ٢١.

(٣) المرجع السابق، ٤٦.

يسميه ازدواجًا، وهو أولى منعًا للالتباس»، ومن هذا الازدواج ما ورد في الحديث «ارجعن مأزورات غير مأجورات» وصحة اللغة أن يقال (موزورات)، ولكنه لجمال التعبير وموسيقاه أتبع (مأزورات)، وهو الحرف الأول للحرف الثاني (مأجورات).

ومن الازدواج ما يتبع فيه الثاني الأول كما في الإتباع الذي بيناه، ولكنه يخالفه بقصد المزاوجة الموسيقية ومنه الحديث «لا دريت ولا تليت»، فلقد اتبع الثاني (تليت) للحرف الأول (دريت)[1].

من هذا الحديث يتبين أن التنوخي جعل الإتباع أن يتبع فيه الثاني الأول، أما المزاوجة فإنه يتبع فيه الأول الثاني، وهذا هو أساس التفريق بين الإتباع والمزاوجة، لكن وجد العكس، حيث تبع الثاني الأول، وليس بإتباع؛ لهذا لا يصلح أن يكون أساسًا للتفريق بينهما، ولا تنسى أنه – كما يقول محمد أديب عن رأي التنوخي – «يرى أن المزاوجة تغير يصيب بنية الكلمة، أو أنه زيادة تضاف إليها حتى تناسب ما سبقها، أو ما لحقها من الكلام وأنها كالإتباع، لكنها تخالفه بقصد التناغم الموسيقي»[2]، وهذا التفسير للأستاذ محمد أديب لكلام التنوخي صحيح، حيث إن التنوخي أشار إلى أن الجانب الصوتي المتعمد الذي يقوم به المتكلم ليوافق بين كلمتين هام في التفريق بين الإتباع والمزاوجة – وقد جعلته الأساس الذي يُفرق به بين الإتباع والمزاوجة – لكنه رغم ذلك جعل الأساس في التفريق هو: أيهما التابع وأيهما المتبوع، الأول، أم الثاني، ليفرق به بين الإتباع والمزاوجة، وهذا لا يصلح كما ذكرت آنفًا للتفريق بينهما.

أما تعريف محمد أديب للمزاوجة فيقول فيه: «إن المزاوجة أسلوب من أساليب الكلام يقوم على تجاور طرفين منه وعلى إيجاد تناسب موسيقي بينهما، ومصدر هذا التناسب جناس ناقص يربطهما، أو مشاكلة في السجع وارتباط بوزن»[3].

وهذا الكلام نستنتج منه أنه:

١ – أشار إلى أنه: «أسلوب يقوم على تجاور طرفين منه»، وهو لم يقل كلمتين أو اسمين أو فعلين ليوضح أن أساس هذا الأسلوب حدوث توافق بين طرفي العبارة (اسمين أو فعلين) لا خلاف حول ذلك.

(١) أدب الكاتب لابن قتيبة، ٣٧.

(٢) مقدمة الإتباع لأبي الطيب، ١٠.

(٣) الإتباع والمزاوجة، ٣٠.

٢- يقوم على إيجاد تناسب موسيقي بينهما، أي: أن الهدف من هذا هو تناسب الموسيقى بين طرفي العبارة، وهذا التناسب الموسيقي، والذي أكد عليه أكثرهم موجود أيضًا في الإتباع وليس خاصًا بالمزاوجة، ولكنه ليس بين كلمتين متتاليتين ليس بينهما فاصل كما في الإتباع، أو أن الثاني لا معنى له - في الغالب - كالإتباع أيضًا، بل يحدث بين طرفين (اسمين أو فعلين)، يكون بينهما فاصل أو أكثر، (الواو ولا) نحو «لا دريت ولا تليت» أو (غير) نحو «مأزورات غير مأجورات»، ويكون لكلا الطرفين معنى في ذاته، ويمكن أن يستخدم منفردًا بنفس المعنى الوارد في عبارة المزاوجة.

٣- ثم يشير إلى وسائل تحقيق هذا الانسجام الصوتي أو الموسيقي بين الطرفين فيقول: ومصدر هذا التناسب:

أ- جناس ناقص يربطهما.

ب - مشاكلة في السجع. ج - ارتباط بوزن[١].

وهذا التنوع في وسائل تحقيق التناسب الموسيقي الذي أشار إليه يوضح مدى الفرق بين الإتباع وبين المزاوجة، حيث يكون التناسب الموسيقي بين الكلمتين في الإتباع مصدره فقط الإنفاق بينهما في الوزن والروي، والكلمة الثانية أتت لتحدث إيقاعًا صوتيًّا وتناسبًا صوتيًّا مع الكلمة الأولى؛ لهذا فهي لا تحمل معنى، ولا يفصل بينها وبين أختها بفاصل ولو كان الواو.

ولهذا فموسيقى الإتباع تختلف عن موسيقى المزاوجة، فلو قمنا بوزن العبارة في الإتباع ووزن العبارة في المزاوجة لتبين الفرق بينهما خصوصًا لو كان الوزن عروضيًّا، فعبارة إتباع مثل شيطان ليطان، تأتي موسيقاها من تكرار هذا الوزن (فعلان فعلان)، وكذلك عزيز هزيز بوزن (فعيل فعيل)، ولهذا لا تحمل هذه العبارة موسيقًّا إدخال الواو بينهما حيث تفقد العبارة ذلك الانسجام الصوتي الموجود بين طرفيها الناتج عن تكرار هذا الوزن (فعلان أو فعيل).

ولكن الأمر سيختلف لو نظرنا إلى مصدر الموسيقى في المزاوجة فهي تصدر من:

١- الجناس الناقص: نحو (مأجور - مأزور) و(دريت - تليت)، فالذي يميز بين الكلمتين في كل عبارة هو حرف أو حرفان مختلفان في كلا الكلمتين، ولو كان

(١) الإتباع والمزاوجة، ٣٠.

جناسًا تامًا لم يكن لهما الإيقاع الموسيقي نفسه الناتج عن ذلك الجناس الناقص، وكذلك وجود هذا الحرف في أول الكلمة ليصبح ركيزة صوتية ينطلق منها المتكلم إلى باقي الأصوات المتجانسة في الكلمتين، عكس أن تتطابق كل الأصوات تمامًا في الكلمتين فلا يحدث تمييز صوتي بينهما، بل تكرار لذلك الصوت نحو: أنت أنت الله.

٢- المشاكلة في السجع: قد يكون سبب هذه الموسيقى وجود سجع بين كلمات العبارة، كما يحدث بين الكلمات المنثورة بصورة متعمدة، لكن الكلمة المسجوعة يختلف موضعها في العبارة بالنسبة لأختها، فهي قد تكون تالية لها أو بينهما فاصل، وعلى العكس من ذلك يكون الوضع بالنسبة لكلمة الإتباع، حيث لا تأتي إلا تالية للكلمة المتبوعة.

٣- أو ارتباط بوزن حيث ترتبط كلمات المزاوجة معًا بوزن واحد كما في الإتباع، ولكن ليس هذا السبيل الوحيد لإحداث الانسجام الموسيقي بينهما كما في الإتباع، بل هو أحد هذه السبل.

هذا تحليل لكلام محمد أديب جمران محقق كتاب الإتباع والمزاوجة في تعرفه المزاوجة، وهو أقرب ما يكون للصواب في تعريف هذه الظاهرة، والتي تختلف عن الإتباع في وجوه، وتتفق معه في وجوه كما بينًّا فيما سبق.

تناول هذه القضية (تعريف المزاوجة) الأستاذ عبد الله العلايلي؛ فرأى أنها لا تخص وجهًا من وجوه الكلام، بل تعم وجوهه كلها، وتكون في المفرد كما تكون في الجمع، وتكون في الكلام كما تكون في الكلمة، ولعل غلبتها على الأفعال في الأمثلة التي درسها دفعته إلى جعلها قاصرة على القصة، وهو يرى أنها تجري في الحروف المتقاربة، والمنقلبة كانقلاب الواو إلى الهمزة، وأنها لا تفيد العمل الاشتقاقي، وإنما غرضها التناسب بين مفردات الجملة الواحدة[١].

وهذا الرأي- (أنها تقع بكثرة في الأفعال)- نجده لدى د. طليمات، حيث رأى أن المزاوجة تعني تجاور لفظين في الروي، أو متجانسين تجانسًا ناقصًا يفصل بينهما فاصل، ويغلب على المزاوجة وفق أمثلة ابن فارس أن تقع بين فعلين، وأن ينعقد في

(١) مقدمة لدرس لغة العرب، **٢٢١**.

كل فعل معنى تام في جملة تامة، وشيوعها في الأفعال لا يعني امتناعها في أنواع الكلام الأخرى[1].

ويرفض هذا التحديد محمد أديب قائلاً «ولا يخفى أن حصر وقوع المزاوجة بين فعلين، أو أن ذلك يغلب عليها، وهو مما يحدد أسلوبًا في الكلام لا يحتاج إلى تحديد، وإن استقراء نماذج المزاوجة عن ابن فارس في كتابه يؤكد صحة ما نذهب إليه، ولا حاجة لربط القضية بالقصة، أو لغلبة وجود فعل في الطرفين»[2].

ونلتقي بحوار وتعريف حول المزاوجة للدكتور أبو السعود الفخراني يقول عن المزاوجة: «إتباع صوت في كلمة صوتًا آخر في كلمة أخرى، متفقة معها في الوزن غالبًا، وفي قدر من الحروف، فيحدث بالإبدال تماثل صوتي يؤدي إلى انسجام بين الكلمتين نحو مأزورات (من الوزر) ومأجورات، كما سيأتي، وهذا النوع يختلف عن النوع الأول من ناحيتين:

الأول أن التابع هنا يكون له معنى مستقل بخلاف التابع في النوع الأول، والأخرى أن التابع هنا يحدث في بنيته تغيرات تؤدي إلى تماثل صوتي ينسجم مع المتبوع بخلاف التابع في النوع الأول.

والنوعان يلتقيان في أنه ينتج عنهما انسجام صوتي ورنين متماثل؛ فيقع في الأذن عذبًا، وفي الوجدان حلوًا»[3].

ونقف مع حديث د. أبو السعود، حيث نجده يعرف المزاوجة بأنها: إتباع صوت في كلمة صوتًا آخر في كلمة أخرى، أي: أنها إتباع صوتي كما في الإتباع، كما أنه أوضح في تعريفه أنه يحدث بالإبدال تماثل صوتي يؤدي إلى انسجام بين الكلمتين، أي: أن هذا الانسجام يكون متعمدًا، يعمد إليه المتكلم بالتغيير في إحدى الكلمتين ليتم له هذا الانسجام الصوتي، فهو نغم مقصود وانسجام صوتي مصنوع بين الكلمتين.

ثم يفرق بين الإتباع والمزاوجة- (على الرغم من أنه لم يذكر في تعريفه كلمة مزاوجة)- بأنه:

١- من حيث المعنى: التابع في المزاوجة له معنى مستقل عكس التابع في الإتباع فقد لا يستقل.

---

(١) ابن فارس اللغوي النحوي، ٧٦.

(٢) الإتباع والمزاوجة، ٣٠.

(٣) دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والأثر، ٣٦.

٢- من حيث التغيير: التابع في المزاوجة يتم تغيير بنيته ليؤدي إلى تماثل صوتي مع متبوعه بخلاف التابع في الإتباع، فهو يأتي موافقًا لمتبوعه بدون تغيير أو تبديل، وهنا يتفقان (الإتباع والمزاوجة) في أنهما ينتج عنهما انسجام صوتي، و«رنين» متماثل؛ فيقع في الأذن عذبًا[١].

وإنني أتفق إلى حد كبير مع د. أبو السعود في تعريفه لكل من الإتباع والمزاوجة، وكذلك عملية التفريق بينهما بما فيها من اتفاق واختلاف، فقد صور في هذه العملية وجود الاختلاف والاتفاق بينهما بدقة (وسوف أناقش هذه الفروق بعد قليل).

ولكنني اختلف معه في جعل المماثلة الصوتية التي تحدث في داخل الكلمة من أقسام الإتباع؛ لأن الإتباع يكون نتيجة الانسجام الصوتي بين كلمات العبارة لا في داخل الكلمة الواحدة، ويقول د. أبو السعود: (أما الإتباع عند اللغويين... فيضم أنواعًا أهمها:

أولًا: إتباع كلمة كلمة: (ساغب لاغب).

ثانيًا: إتباع صوت صوتًا آخر لينسجم معه على مستوى الكلمة، وهذا يحدث بين الأصوات الصامتة حين تضع لإبدال أو إدغام نحو (امحى) في (انمحى) وأدَّان واذَّكر واظَّلم وغيرها من كل فعل فاؤه دال... فيجوز قلب تاء افتعل إلى حرف مماثل للفاء إتباعًا لها[٢]، وهذا كله مماثلة صوتية، وليس من باب الإتباع كما عرفه القدماء والمحدثون.

تطبيقات على المزاوجة:

أحاول في هذا الجزء من البحث تطبيق القواعد التي ذكرها د. أبو السعود في تحديد المزاوجة على ما ذكره ابن فارس في كتابه: «الإتباع والمزاوجة» من عبارات أشار إلى أنها من المزاوجة دون غيرها من عبارات كتابه هذا.

وضع د. أبو السعود شرطين للتفريق بينهما:

١- أن معنى التابع في المزاوجة يمكن أن يستقل بنفسه عن العبارة.

٢- يتم تغيير بنية الكلمة الثانية ليؤدي ذلك إلى تماثل بينهما (التابع والمتبوع) في الصوت، فيحدث الانسجام الصوتي بينهما.

(١) المرجع السابق.

(٢) دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والأثر، ٣٤.

١- يقول ابن فارس[١]: ومن المزاوج: ما له هارب ولا قارب، أي: ما له صادر عن الماء ولا وارد.

ففي هذه العبارة التي ذكرها ابن فارس على أنها من المزاوج لم يحدث تغيير في بنية التابع أو المتبوع (هارب – قارب) فلم يتحقق الشرط الثاني.

أما الشرط الأول فيمكن أن يتحقق حيث يرد التابع في جمل مستقلة أخرى غير تلك العبارة بنفس المعنى وبمعان أخرى، إلا أن ورود هذه الكلمة بهذا المعنى يأتي ملازمًا لوجود الكلمة الثانية (المتبوع)، ففي الحديث: (قال له رجل: ما لي ولعيالي هارب ولا قارب غيرها) يعني: ناقته، قال في القاموس المحيط: (وما له هارب ولا قارب، أي: صادر عن الماء ولا وارد ي ما له شيء، أو معناه ليس أحد يهرب منه ولا أحد يقرب إليه، فليس هو شيء وهرب)[٢]، وهو نفس تعريف ابن فارس لمعنى هارب وقارب.

إذن في هذه العبارة تحقق الشرط الأول فقط دون الثاني، ولهذا تصلح أن تكون إتباعًا.

٢- قال ابن فارس «ومنه قولهم عند المبايعة: لا شوب ولا روب، ولا شيب، ولا عيب» قال ابن الأعرابي: ما عنده شوب ولا روب، والروب: اللبن، والشوب العسل»[٣]، فلا يوجد في هذه العبارة أيضًا تغيير في بنية التابع ولا المتبوع، كما أن المعنى المقصود من العبارة هو معنى مجازي؛ لذلك فإن هذه الكلمات (شوب وروب) لها معنى منفرد، ولها معنى في داخل هذا التركيب (لا شوب ولا روب)، أي: لا غش ولا خداع في البيع، وأصل الشوب الخلط والروب من اللبن الرائب لخلطه بالماء.

٣- قال ابن فارس «قال الأصمعي:رجل خيَّاب تيَّاب، قال خياب من خاب وتياب: تزويج، وهو يصلح أن يكون إتباعًا»[٤]، وهذه العبارة الأخيرة توضح عدم وضوح المصطلح عنده، وأنه لا يوجد خط فاصل تمامًا بين الإتباع والمزاوجة يقول محقق كتاب ابن فارس (استعمل المصنف التزويج بمعنى المزاوجة (وتياب) لا وجود لها في كتب اللغة المتداولة؛إذ لا معنى لها إلا أنها إتباع لخيَّاب)[٥]، وهذا

(١) الإتباع والمزاوجة، ٤٨.
(٢) القاموس المحيط مادة (هرب) ١/ ١٤٥.
(٣) الإتباع والمزاوجة، ٤٨.
(٤) الإتباع والمزاوجة، ٤٨.
(٥) الإتباع والمزاوجة، ٤٦.

الكلام يعني أن كلمة (تياب)- (وهي الثانية في العبارة المزاوجة)- لا معنى لها، فكيف تكون مستعملة مستقلة أو منفردة عن العبارة السابقة، فهي لا وجود لها خارج هذه العبارة، وهذا يجعلها أقرب إلى الإتباع من المزاوجة.

ويمكن متابعة هذه العبارة التي ذكرها ابن فارس بالنص على أنها من المزاوجة للتأكيد على أن قضية المزاوجة لا وجود لها، بل هي مرادف لكلمة إتباع، ولا فرق بينهما، ولا يأتي شرط مما ذكره القدماء ولا المحدثون، وكلها فروق غير صحيحة، ولا تقوى على التطبيق، وكلهم يمثلون بالحديثين «ارجعن مأزورات غير مأجورات» و«ولا دريت ولا تليت»، وما حدث فيهما من تغيير متعمد، وتحول في بنيتهما حتى يحدث الانسجام الصوتي بينهما وبين الكلمة التي تسبق كل منهما.

كما ذكر ذلك د. أبو السعود، ولكن هذا الشرط لم يتحقق أو بمعنى أدق لم يحدث لها أي تغيير إلا نادرًا كما في الحديثين السابقين وبعض العبارات القليلة.

وإليك باقي أمثلة ابن فارس التي نص على أنها من المزاوجة:

١- (من المزاوج قولهم في جواب من قال:(هات) (لا أُهاتيك ولا أُواتيك)[١].

٢- (ومن المزاوج قولهم: نعوذ بالله من الترح بعد الفرح) الترح التنغيص[٢].

٣- (يقولون في المزاوجة:ركيَّة ولا تُنكَش ولا تُنْتَش) تُنْزَح[٣].

٤- (ومن المزاوجة، فيمن ينفع مرة ويضُّر أخرى: هو جيش درة وعيش مرة)[٤].

٥- (ومن المزاوج قولهم: لقيته أول صول وعول)[٥].

٦- (ومن المزاوج: مَرَّ الذئب يَعْسِل وَينْسِل)[٦].

٧- (ويقولون:خيِّم بالمكان ورَيِّمَ)[٧] تزَويج للكلام.

٨- (ومن المزاوج: نحو يهض ويرِض)[٨].

ولو نظرنا إلى كل هذه الأمثلة لوجدنا أنه لم يتغير شيء في بنية أي كلمة من كلمات الإتباع، وكلها يصلح أن يستخدم منفردًا في غير هذه العبارات، وخلاصة

(١) المرجع السابق، ٥٠.
(٢) المرجع السابق، ٥٦.
(٣) المرجع السابق، ٨٣.
(٤) المرجع السابق، ٨٨.
(٥) المرجع السابق، ١٣٣.
(٦) المرجع السابق، ١١٥.
(٧) الإتباع والمزاوجة، ١٢٢.
(٨) المرجع السابق، ٩٢.

القول في المزاوجة أنها: مثل الإتباع ولا تختلف عنه في شيء، وكل ما يسمى إتباعًا يصح أن يسمى مزاوجة، والعكس صحيح، ولا يوجد فرق فعلي بينهما يقوى على التطبيق في التفريق بينهما في كل العبارات التي تعرف المزاوجة أو التي تعرف بالاتباع، إلا أن الإتباع تكون الكلمة الثانية بمعنى، وقد تكون بدون معنى فيما يُعرف بالإتباع الصوتي كما سيأتي.

الفصل الثاني

البنية الصوتية للإتباع

بعد أن حددنا في تعريفنا السابق للإتباع والمزاوجة نحاول دراسة النماذج المختلفة للظاهرة لمعرفة خصائصها اللغوية المختلفة ونبدأ بالجانب الصوتي.

ويعد الجانب الصوتي – كما ذكرتُ آنفًا – الأساس الذي تقوم عليه تلك الظاهرة اللغوية، ولهذا يجب أن نوليه عناية خاصة من حيث أنماط التراكيب المختلفة، والتي يمثل كل نمط منها إيقاعًا صوتياً مختلفًا عن غيره، فلو نظرنا إلى تلك العبارات على هذا الأساس لوجدنا أننا أمام مجموعة محدودة من الأنماط التركيبية تختلف فيما بينها، فلكل منها طريقة في تحقيق هذا الانسجام الصوتي.

وقد جمعتُ في هذه الدراسة التحليلية بين كتابي «الإتباع لأبي الطيب اللغوي» و«الإتباع والمزاوجة لابن فارس»، وكذلك كتب اللغة والأدب المختلفة التي وردت بها نماذج من العبارات الإتباعية، واستخرجت الأنماط التركيبية الصوتية الموجودة في هذه المصادر، مع ملاحظة التكرار الموجود في هذه المصادر، حيث تُستثنى من الإحصاء العبارات المكررة في تلك المصادر.

وكان تصوري لدراسة هذا الجانب الصوتي كما يأتي:

المبحث الأول: أنماط الانسجام الصوتي.

المبحث الثاني: المقاطع الصوتية.

المبحث الثالث: تكرار الصوت الأخير.

المبحث الرابع: التوافق الصوتي بين كلمتي الإتباع.

المبحث الخامس: الكلمة الثالثة في الإتباع.

***

المبحث الأول
الأنماط الصوتية للعبارة الإتباعية

قمتُ بدراسة الأنماط المختلفة لعبارات الإتباع فوجدت أكثر العبارات تكاد تكون متكررة في كل المصادر المختلفة؛ لذا فضلتُ أن أتكلم عن هذه الأنماط بشكل عام، واخترت نماذج لهذه الأنماط مع الإشارة إلى أهم مصادرها، وليس كل المصادر، فهذه الأنماط من العبارات تتكرر بعينها في أكثر هذه المصادر، ونحن لسنا بصد دراسة إحصائية، بل نحدد فقط هذه الأنماط، وما يصدر عنها من إيقاعات ونغمات صوتية مختلفة، وهذه العبارات الإتباعية تنقسم إلى قسمين كبيرين، هما:

أ. الإيقاع المُتأخر:

حيث تجتمع كلمتا الإيقاع في نهاية العبارة، وفي هذه الحالة تسبق الكلمتين ركيزة (ظاهرة أو مقدرة) في أول العبارة الإتباعية ينطلق منها المتكلم ليُحدث هذا النغم أو الانسجام الصوتي، ويأتي في شكل جملة اسمية أو فعلية.

أولًا: الجملة الاسمية

أ- **الركيزة المقدرة:** يُقدر المبتدأ ويأتي الخبر على وزن واحد مكرر نحو:

١- فعيلٌ:

وحيد قحيد – شقيح نبيح – سليخ مليح – ضئيل نَئِل – رَفيق وفيق – حقير نَقِر شحيح أَذ يح قَليل وَتِ يح –خَبيْث نَبيْث –سَميْح لَم يح – خَفيف دَفيف، هذه العبارات جمل اسمية حُذف المبتدأ وتقديره (هو)، وَفي هذه الحالة لَا يوجد رابط مطلقًا نظرًا لقصر العبارة، وهذا الوزن مكون من مقطعين صوتيين أولهما: قصير مفتوح (فَ): صامت + حركة قصيرة، والثاني: طويل مغلق حركته طويلة (عيل): صامت + حركة طويلة + صامت.

وهو وزن يتكرر بكثرةَ في هذه العبارة نظرًا لسهولته على اللسان وما يحمله من تنغيم عند الانتقال من المقطع القصير إلى المقطع الطويل، ومن الحركة القصيرة إلى الحركة الطويلة، وما يحمله من الدلالة على المبالغة، ولهذا نجد عدد العبارات التي يكرر فيها هذا الوزن كثيرة، وفي أنماط مختلفة كما سنرى.

٢- فاعل:

وهو يحتويَ أيضاَ على مقطعين صوتيين كسابقه، ولكن يختلف عنه في نوع هذين

المقطعين، حيث الأول هنا مقطع طويل مفتوح (فا) صامت + حركة طويلة[1]، والثاني طويل مغلق حركته قصيرة (عِل) صامت + حركة قصيرة + صامت، نحو: سائغ لائغ – ملِق رائق – عاشق واَق –خاسر دابِر – سادح رادح – جائع نائع – خالد تالد، نجدَ هنا الحركة القَصيرةَ في المقطَع الثانَي تجعل الإيقاع أسرع من الوزن السابق (فعيل)، فيكون النغم الناتج عنه مختلفًا أيضًا.

٣- فَعَل:

وهو مكون من ثلاثة مقاطع كلها قصيرة مفتوحة (فَ) + (عَ)[2] + (ل) نحو شَغَر بَغَرَ- شَذر بَذَرَ، هذا الوزن يتكرر بكثرة كبيرة؛ وذلك لقصر المقطع وخفته على اللسان، فهو سريع قصير متكرر، فيكون نغمًا مختلفًا عن سابقيه.

٤- فَعْل:

وهو يتكون من مقطعين طويل مغلق حركته قصيرة (فَعْ)، والثاني قصير مفتوح (ل) نحو – رَغْمَ دغْم – عَدْل جَدْل – هَذْر مَذْر – أَرب جَرْب، لكن هذه الكلمة إذا نطقت في وقف كانت مكونة من مقطع واحد، وهو المقطع الخامس، والمكون من صامت + حركة + صامت + صامت: فَعْل، والصحيح أن هذه الكلمة الإتباعية تنطق بنفس الصورة في الغالب – فتقول: عَدْلْ جَدْلْ، وهذا يناسب طبيعة هذه البيئة من الشدة والقسوة والقوة[3]، ويوجد إلى جانب هذا مجموعة أخرى من العبارات الإتباعية التي جاءت على أوزان مختلفة، وعلى الصورة السابقة نفسها، نحو: (عفريت نفريت – خصيٍّ بصيٍّ – حار بار جار – خب طب – مجنون محنون – أحمر أشقر – أشعر أظفر – أسوان أتوان –خيّاب هيّاب – خراب يباب – مُربُّ مُلبُّ – فزّ بزّ – الخاز الباز – عرص هبص – هفات لفّات – عطشان نطشان، وَهذه الأوزان يجب أن تدرس لمعرفة النغم الناتج عن تكرار كل وزن منها، وعلاقته بما يحتويه هذا الوزن من دلالة، ولمعرفة العلاقة بين نوع النغم والدلالة، وسيأتي هذا في فصل الدلالة والإتباع.

(١) تم التقطيع هنا للكلمة الأولى من كلمتين الإتباع بالنظر إلى كونها موصولة، في وسط العبارة الإتباعية، ويرى البحث أن الكلمة الثانية بمثابة الصدى للكلمة الأولى.

(٢) تم التقطيع هنا للكلمة الأولى من كلمتين الإتباع بالنظر إلى كونها موصولة، في وسط العبارة الإتباعية، ويرى البحث أن الكلمة الثانية بمثابة الصدى للكلمة الأولى.

(٣) سيأتي تفسير هذا الوزن دلاليًا في فصل الدلالة والإتباع.

ثانيًا: الجملة الفعلية

تأتي الجملة الفعلية في هذا الباب حيث نرى الجملة الفعلية تتكون من فعل وفاعل مُقدر، وبهذا يصبح الفعل هو الركيزة الصوتية في أول الجملة، وفي هذه الحالة تأتي الواو بين الفعل الأول والثاني، وتصبح العبارة مكونة من فعلين بينهما واو عاطفة؛ لأن وجود فعلين يعني وجود جملتين، فمن الناحية التركيبية يجب وجود الواو لتعطف جملة على جملة، وليس كما ذكر القدماء وجوب وجود الواو، أو وجوب عدم وجودها، فالأمر يرجع إلى حاجة التركيب إليها، فلو حذفنا هذه الواو لأدى التركيب معنى آخر نحو: عَاثَ وهَاثَ – بَثَّ ونَثَّ – فَذَّ وشَذَّ – حاسة وباسة . تعس وانتكس – شاصه وماصه –خَبَطه ولبطه – صلعه وقلعه – أَرَبَّ وأَلَبَّ – أمشى وأفشى – يحنوه ويرنوه – شاخ وباخ، حاول قراءة هذه العبارات الإتباعية بدون الواو ستجد المعنى مختلفًا.

هذه بعض عبارات الإتباع التي تأتي في صورة فعلين متتاليين بينهما واو، ويتم إحداث الانسجام الصوتي في العبارة من خلالهما، ولهذا فهما يأتيان على نفس الوزن والروي، وبينهما جناس ناقص، ليس بتقديم حرف وتأخير حرف، بل بتغيير في الحرف الأول في الفعلين، فيبدو وكأن المتكلم يكرر الفعل الأول، فيحدث ذلك النغمُ والانسجامَ الصوتي بين الفعلين، وتعد الواوُ الفاصلَ بين النغمين ليتضحا؛ مما يشعرنا أنهما جملتان مستقلتان لفظًا ومعنى.

ب: الركيزة الصوتية

وهي تعني الكلمة (أو أكثر من كلمة) التي تسبق كلمتي الإتباع، فهذه الكلمة أو الجملة يستخدمها المتكلم كركيزة ينطلق منها إلى نطق كلمتي الإتباع، وإحداث النغم الناتج عن الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع، وهذا يحدث في الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ويأتي في أشكال مختلفة ينتج عن هذه الركيزة أن تطول الجملة أو تقصر، ولكل ذلك تبعته الصوتية على كلمتي الإتباع، والذي يصبح له تأثير مختلف على الانسجام الصوتي الناتج منهما (أي: كلمتي الإتباع).

١- في الجملة الاسمية:

في الجملة الاسمية هذه المرة يظهر المبتدأ المقدر[١]، ويصبح ركيزة للجملة، فينطلق منها إلى كلمتي الإتباع، وهذا المبتدأ إما أن يكون ضميرًا للغائب أو

(١) أي الذي كان مقدرًا في القسم السابق (الركيزة المقدرة).

المخاطب، أو يكون كلمة (يكثر أن تكون كلمة رجل)، ثم يأتي بعدهما الخبر، ثم يأتي بعده خبر ثان ليس بينهما عاطف (واو أو غيرها)، فيُحدثُ هذا نغمًا مماثلاً لما سمعناه في الجملة الاسمية السابقة، والتي يقدر فيها المبتدأ، ولكن في زمن أطول نتيجة لوجود كلمة جديدة على التركيب السابق، وهي المبتدأ؛ لذا نجد العبارات السابقة، والتي جاءت بدون المبتدأ (الركيزة) هي نفسها - في أكثر الأحيان - العبارات التي جاءت مع المبتدأ؛ فنجدهم يقولون: شيطان ليطان، ويقولون: هو شيطان ليطان، والفرق بينهما هو تحديد أدق للمقصود بهذه الصفة، وهذا الحكم (شيطان ليطان)، كأنه يقول: (هو هذا يا سادة الشيطان الليطان)، أي: انتبهوا لما سأقول، فيكون الغرض من المبتدأ التحديد أكثر من التنغيم فيشعر المستمع أن المتكلم يُحدثُ فاصلاً صوتياً بين المبتدأ والخبر لتحديد المبتدأ، والتأكيد على النغم الذي سيحدث من تكرار الخبر.

ومن هذه العبارات: هو ضال تال – هو مجنون محنون – هو قبيح شقيح – هو شيطان ليطان – هو أسوان أتوان – هو سَهْد مَهْد – هو كثير بثير – هو كظ بظ – هو جائع نائع – هو ضائع سائع – هو ثقف لقف – هو مائق دائق – هو حاذق باذق – هو ضيق ليق – هو تافه نافه – هو أشر أفر – هو شكسي نكسي – هو عابس كابس – هو جارن مارن.

ويأتي النوع الثاني من هذه الجملة الأسمية بأن تسبق بكلمة رجل أو امرأة أو هذا نحو: رجل حريب سليب –رجل خيّاب تيَّاب – رجل خائب لائب – رجل طب لب – امرأة خفوت لفوت – رجل كاد لاد – رجل باخس ماكس، ومثلها كلمات أخرى مفردة نحو: لحم سليخ سيخ – أرض خراب يباب – مكان عمير بحير – بلد عريض أريض – يوم عليك أكيك – عين حدرة بدرة – لبن سمهج لمهج – فرس عوج موج – رأس زعر معر – جمل وبر هبر – سويق قفار عفار – ناقة حائل مائل.

تقديم الخبر على المبتدأ :

يحدث تقديم للخبر على المبتدأ في هذه العبارات إذا كان هذا الخبر شبه جملة ثم تأتي بعد ذلك كلمتا الإتباع نحو: بفيه الترابُ والكبابُ – دون ذلك الأمر مكاس وعكاس – له الويل والعول – له الويل والأليل – فَرّ وله كصيص وأصيص وبصيص.

وهناك أمثلة أخرى على هذا التقديم، والذي نلاحظه على ذلك أن العبارة قد طالت؛ ولهذا جاء التركيب بعاطف بين كلمتي الإتباع، أي: أنه كلما طالت الركيزة وجب العطف نحو: دون ذلك الأمر مكاس وعكاس، فاختلف النغم في مكاس وعكاس حيث سُبق بعبارة: (دون ذلك الأمر)، عن النغم الذي في (هو حاذق باذق) وقد سبق بـ (هو) فقط فكان حاذق خبرًا، فكلاهما (مكاس، وحاذق) من أركان الجملة الاسمية، إذن التغير في التركيب في الجملة الاسمية (من حيث التقديم والتأخير) يؤدي إلى زيادة الواو لحتمية التركيب في الجملة الأولى[1]، وجواز الحذف وعدم الحذف في الجملة الثانية[2]، والذي يستتبعه في النغم الصادر عن كلمتي الإتباع في الحالتين.

ولهذا نقول: إنه كلما طالت الركيزة في أول العبارة في الجملة الاسمية وحدث تقديم الخبر على المبتدأ احتاجت الجملة إلى فاصل بين كلمتي الإتباع، حيث النغم الناتج عن هاتين الكلمتين (كلمتي الإتباع) مختلف، كأن المتكلم يأخذ استراحة بين الكلمتين بتلك الواو، وليُحدث نغمًا مختلفًا عن طريق تكرار الكلمة الثانية، كما أن الواو ضرورية في جملة (دون ذلك الأمر مكاس وعكاس) ولا يمكن الاستغناء عنها فهي – كما قلت – حتمية لصحة بناء الجملة ونغمها.

٢- الجملة الفعلية :

قد تأتي عبارة الإتباع مبدوءة بفعل، وفي هذه الحالة قد تكون كلمتا الإتباع فاعلاً له أو مفعولًا أو حالًا، أو غير ذلك من الحالات الإعرابية تبعًا لعلاقتهما بهذا الفعل، وأول ما لاحظته هنا في كلمتي الإتباع إذا كانتا حالين لهذا الفعل فإنهما يأتيان بدون عاطف بينهما، وهذا ما يجعل العبارة أقوى تأثيرًا وأشد في إيقاعها لتوالي النغم الواحد بدون فاصل، أما في حالة وجود الواو فتؤدي إلى تراخي النغم وضعفه، فانظر إلى هذه العبارة (تركتُهم حَيْثَ بَيْثَ) نجد أن هذه العبارة تكون أقوى من قولنا: (تركتُهم حيثًا بيثًا)، ولهذا جاءت على هذه الصورة (البناء على فتح الجزاءين)؛ فجاء على هذا الشكل عبارات اتباعية منها:

أعطيته الماس سهوًا رهوًا – تركته خزيان سوءان – أصبح الرجل شوبًا رَوْبًا – أخذته عفوًا سهوًا – تركنا الدار بلاقع صلاقع – أخذت الشيء عفوًا صفوًا – تركته

(١) (دون ذلك الأمر مكاس وعكاس) حيث المبتدأ لا يتعدد فلزم وجود الواو.

(٢) (هو حاذق باذق) حيث الخبر يتعدد، فيمكن حذف الواو أو إثبات الواو ليصبح باذقًا معطوفًا.

حوث بوث – تفرق القوم شغرَ بغرَ – رأيت القوم أجمعين أبصعين – طفت بالقصر أجمع أبصع – جاءنا واحدًا فاحدًا – جاءنا واحدًا فاردًا – مررت بهم أجمعين أكتعين – خذه لك خضرًا يضْرًا – ذهب ماله شذر مذر – جاءنا بالكلام سهوًا مهوًا – أعطاني حقيرًا نقيرًا – رددناه خائبًا هائبًا – جاء مُسْتغمدًا مُسْتَميدًا – لقيته صَحْرة بَحْرة – سائرك حَقْرَ نَقْرَ. وعدم وجود الواو يرجع إلى التركيب حيث الكلمتان ركبتا معًا كخمسة عشر على فتح الجزأين في عبارة (تركتهم حيثَ بيثَ)، أما في حالة (أعطيته المال سهوًا رهوًا) فهما حالان، ويجوز تعدد الحال فلا نحتاج إلى رابط (الواو)، وكذلك بالنسبة لكل عبارة تقع كلمتا الإتباع فيها حالًا، فلا تحتاج إلى الواو.

باقي الجملة الفعلية:

يأتي باقي أنواع الجمل المبدوءة بفعل؛ فنرى أن كلمتي الإتباع بينهما (واو) في كل هذه الجمل، خصوصًا إذا كانت كلمتا الإتباع مجرورتين؛ لأن طبيعة التركيب تفرض وجود الواو.

١ – كلمتا الإتباع المجرورتان نحو جيء من عصيك وإيصك – وقع القوم في دوكه وبوكه. ذهب في الضلال والتلال – فعلت ذاك على رغمه ودغمه وشغمه – جيء به من حسَّك وبَسَّك وعسَّك – أخذه لغنظه وكنظه أرسل إليه بالهواء واللواء – وقعوا في هياط ومياط – رجع إلى جنحه وبنجه، ولا يخفى علينا ما يحدثه وجود الواو من نغم يخالف النغم الذي ينتج عن عدم وجودها في العبارة.

٢ – كلمتا الإتباع منصوبتان:

شكوت إليه عُجري وبجري – شكوت إليه شَقْوي وفَقْوي – سمعت للحمار شخيرًا ونخيرًا.

الجملة المنسوخة:

يأتي قسم آخر في هذه الجمل هو الجملة المنسوخة، والتي نُسخت بحرف ناسخ واحد هو إن، وأُكدتْ بـ (إن) واللام المزحلقة، وفي هذه الحالة تأتي كلمتا الإتباع في نهاية الجملة وبدون رابط (الواو)، فتصبح الجملة مكونة من:

إن + اسمها + اللام + خبرها[1] + كلمة الإتباع الثانية

نحو: إنه لفقير وقير – إنه لسملّع هملّع – إنه لسغل وغِل – إنه لعطشان نطشان

(١) خبرها هو كلمة الإتباع الأولى.

– إنه لطبيب لبيب – إنه لشكس لقس – إنه لمعفت ملفت – إنه تَسَهْدُ مهد – إنه لهذر مذر – إنه لتافه نافه، وباقي الأمثلة كثيرة تصل إلى مائة عبارة لا يمكن أن نذكرها جميعًا، وحذف الواو هنا لعلة نحوية، حيث كلمة الإتباع الثانية خبر ثان فلا تحتاج إلى عاطف بينهما.

الجملة المنفية:

تأتي العبارات الإتباعية في شكل آخر، وهو الجمل المنفية، حيث يكون النفي بـ (ما) أو (لا) في أول العبارة.

أولًا: النفي بـ (لا).

والنفي بـ (لا) يأتي في عدة صور، تختلف في تركيبها، وتكوين الانسجام الصوتي بين وحدات هذا التركيب، ومكان كلمتي الإتباع في هذا التركيب، ومن هذه الصور التي يأتي فيها التركيب المنفي بـ لا:

١ – (لا) النافية للجنس:

وهو يتكون من: لا النافية للجنس + اسمها + الواو + لا النافية للجنس + اسمها نحو: لا شوب ولا روب، وهذا التركيب مثل لا حول ولا قوة إلا بالله، – و(لا) يقصد بها التنصيص على استغراق النفي للجنس كله[(١)] –، وتكرارها في هذه العبارات يفيد تأكيد ذلك النفي مع إضافة النفي الجديد بلا للعبارة، ولهذا تتكرر (لا) والواو في القسم الثاني من العبارة، وينتج عن وجود الواو، و(لا) مع كلمة مساوية للأولى في الوزن والروي ما يشبه شطري البيت، فتمثل لا الأولى واسمها الشطرة الأولى لهذا البيت، وتمثل لا الثانية واسمها الشطرة الثانية لهذا البيت، وتأتي الواو كفاصل بين الشطرتين، ودليل على انتهاء الشطرة الأولى وبداية الشطرة الثانية، وكل منهما يُحدث نغمًا متجانسًا ناتجًا عن تكرار هذه الأصوات المتماثلة في كلمتي الإتباع، ومن قصر العبارة أيضًا ينتج هذا الإيقاع المتماثل، فهو يشبه تصريع البيت في الشعر، لكن في صورة مصغرة حيث نهاية الكلمة الأولى تماثل نهاية الكلمة الثانية.

ومنها هذه العبارات: لا شيب ولا عيب – لا حساب ولا مساس – لا محيص ولا مغيص – لا رائحة ولا سارحة، ومثله: فلان لا في العير ولا في النفير.

(١) شرح ابن عقيل، ١/ ٣٦٠.

٢- لا النافية للفعل:

وهناك من هذه الأمثلة ما يستبدل فيه اسم (لا) بجملة فعلية أو فعل فقط، وهي في هذه الحالة تأتي من حيث الوزن على قياس اسم لا، فتؤدي نفس الانسجام الصوتي، ونفس الإيقاع، فتصبح (لا) هنا ليست النافية للجنس، بل لنفي الفعل، نحو (لا يجدي ولا يمدي - لا أفلح ولا أنجح – ركية لا تنكش ولا تنتش – لا دريت ولا تليت – لا يُدالس ولا يوالس – لا يغير ولا يمير – ويصبح تركيب هذا النمط المنفي بـ (لا) هو: [لا + فعل + فاعل مقدر + الواو + لا + فعل + فاعل مقدر]

[لا + أفلح + ـ + و + لا + أنجح + ـ]

٣- لا غير مكررة:

ويأتي شكلُ مخالف لما سبق من أشكال النفي بـ (لا) حيث يتكون النغم أو الانسجام الصوتي من تكرار كلمتي الإتباع في نهاية الجملة، ولكنها مسبوقة بركيزة هي (لا + الفعل) مع عدم تكرار (لا) في هذا النمط، وهو يتكون من:

لا + الفعل + الفاعل + ما + الفعل + الفاعل + الواو + معطوف على الفاعل.

نحو: (لا أفعله ما اختلف السمرُ والقمرُ – لا يعرف القطاة من اللطاة – لا أفعله ما اختلفت الدرة والجرة).

٤- النوع الأخير:

ونوع أخير من النفي بـ (لا) أن تكون كلمتا الإتباع في نهاية العبارة مع تكرار (لا) والواو – نحو هذا المثال – لا تذهب بك حجحجة ولا لجلجة).

القسم الثاني من الجمل المنفية:

النفي بـ (ما): والنفي بها يأتي بكثرة كبيرة في تلك العبارات الإتباعية، ولهذا رأيتُ أن أقسمه على أساس تركيبي باحثًا عن موقع كلمتي الإتباع في العبارة، ومصدر الإيقاع فيها، وشكل كلمتي الإتباع في كل نمط.

ويأتي هذا النفي بـ (ما) في صورتين، الأولى:

١- الجملة الفعلية: وتدخل (ما) في هذا التركيب على جملة فعلية، ويأتي التركيب على هذه الصورة:

١- ما + الفعل + مفعول + الواو + لا + المفعول الثاني

نحو: ما ذقت علوسًا ولابلوسًا – ما ذقت عندهم شواجًا ولا لماجًا – ما ذقت

ذواقًا ولا لماقًا – ما ذقت عندهم عبكة ولا لبكة – ما ذقت شماجًا ولا لماجًا – ما سمعت له حسًا ولا جرسًا – ما يعرف هرًا ولا برًا – ما جاء بهلة ولا يلة – ما رزأته قبالا ولا زبالا، وهنا يبدو النغم مخالفًا لما سبقه لوجود (الواو ولا) بين كلمتي الإتباع، فيعطي من توالي كلمتي الإتباع إيقاعًامتراخيًّا.

٢- والتركيب الثاني الذي يأتي فيه الفعل بعد ما، ولكن في شكل آخر حيث تستبدل فيه (الواو ولا) بـ(من) يتكون من:

ما + الفعل + المفعول + من + كلمة الإتباع الثانية

نحو: ما يعرف الخذروفَ من القذروف – ما يعرف القاموس من الناموس، والتنغيم أو الانسجام الصوتي جاء هنا من تكرار المفعول به، ولكن الكلمة الثانية مسبوقة بمن، ومن‌هنا تعادل صوتيًّا (ولا)[1]، ولكن ارتبط استخدام كل منها بجملته، ولم يرتبط بالجملة الثانية للاختلاف الدلالي فقط، وليس الصوتي، ويساويها أيضًا (أم) كما في هذه العبارة [ما أُبالي كللت أم هللت]، ولكن التنغيم جاء من تكرار الفعل كللت وهللت، وما بينهما من جناس ناقص، فالاختلاف في الحرف الأول فقط (ك، هـ).

٣- التركيب الثالث:

ويأتي فيه بعد (ما) فعل ثم الفاعل ثم المفعول ثم الواو ثم الكلمة الثانية فيتكون من: ما + فعل + الفاعل + المفعول + الواو + الكلمة الثانية نحو: ما يألو فلانٌ خرشا ومرشا، وهذا النوع قليل.

ومثله ما استخدم صيغة أفعل مكان الفعل نحو: ما أعياه وأشياه – وما أقبحه وأشقحه – ما أشره وأبره.

ومثله ما استخدم الفعل فقط + ضمير المفعول + الواو + الفعل + ضمير المفعول نحو: ما يسوءه وينوءه.

ومثله أن يأتي الفعل ثم الفاعل، ثم حرف جر، ثم كلمتا الإتباع، نحو: ما يخفى هذا على الهيدان والريدان.

ومثله أن يأتي الفعل + اسم استفهام + الفعل + الواو + فعل ثان نحو (ما أدري أين سقع وبقع – ما أدري ما يُحاول أو يزاول).

---

(١) حيث تكون: من القذروف « من القذروف، من حيث النطق (صوتيًا). ويكون: ولا القذروف « وللقذروف، من حيث النقط (صوتيًا).

ومثله أن يأتي الفعل + إلا + الفاعل + الواو + المعطوف على الفعل نحو: ما حدثه إلا الصقر والبقر.

ومثله أن يأتي الفعل + الفاعل ضمير متصل + جار ومجرور + المفعول + الواو + المعطوف عليه نحو: ما سمعتُ منه زأْمَة ونأمة.

والشيء الذي يجمع كل هذه الأمثلة في التركيب الثالث أنها كلها تربط بين كلمتي الإتباع بالواو، ولا تُذكر كلمتا الإتباع بدون فاصل، وإن كانت الأمثلة على هذا النحو قليلة جدًّا، ولم أجد إلا ما ذكرتهُ من أمثلة مصاحبة لكل قسم.

الصورة الثانية لـ (ما) النافية أن تدخل على الجملة الاسمية:

ونفي الجملة الاسمية بـ (ما)يكون غالبًا بتقديم الخبر وهو شبه جملة (ظرف + جار ومجرور) فيكون على هاتين الصورتين:

أ- ما + عنده (شبه الجملة ظرف) + مبتدأ مؤخر + الواو + لا + معطوف على المبتدأ.

ب- ما + له (شبه جملة جار ومجرور) + مبتدأ مُؤخر + الواو + لا + معطوف على المبتدأ.

ويأتي على هذه الصورة أمثلة كبيرة، نذكر منها على سبيل المثال:

أ- ما عنده خلّ ولا خَمْر – ما عنده قرض ولا فرض – ما عنده استقراض ولا استفراض – ما عنده خير ولا مير – ما عنده شوب ولا روب – ما عنده على أصحابه تعريج ولا تعويج – ما عنده ندى ولا سدى – ما عنده غيض ولا فيض.

ب- ما به نطيش ولا نويص – ما به حيص ولا نيص – ما فيه شقذ ولا نقذ – ماله عافطة ولا نافطة – ما له ملجأ ولا مَحْجأ – ما له مال ولا عال – ما له دار ولا عقار – ماله محيص ولا مفيص – ما له صم ولا رَمّ – ما له حلوبة ولا ركوبة – ما له هارب ولا قارب – ما لي فيه حوجاء ولا لوجاء.

وقد يأتي العطف بدون لا مثل: ما له ثُلْ وعُلْ – ما له خَسر ودبر – مالي فيه حوجاء ولوجاء – ما له أم وعام – ما له مال وعال – ما له سَهَر وعَبر – ما له تل وعل – ما له عال ومال – ما له ثكل ورجل.

ولو أعدنا النظر إلى هذا القسم وهو النفي بـ (ما) للجملة الاسمية التي تقدم فيها الخبر على المبتدأ وهو شبه جملة لاحظنا أن الفصل بين كلمتي الإتباع جاء في

كل الحالات بـ (الواو ولا) إلا ما ذكرته من أمثلة قليلة، ويرجع هذا – فيما أرى – إلى أسباب دلالية نفسية تركيبية، حيث يقصد المتكلم إلى عموم نفي الخبر عن المبتدأ، فاستخدم (ما) التي تشبه هنا (لا) النافية للجنس، وعند تكرار المبتدأ لم يكرر (ما)، بل استخدم مكانها (لا)، فهذا التركيب يشبه من حيث الدلالة على عموم النفي (لا حول ولا قوة إلا بالله) مع مراعاة البناء التركيبي الخاص بكل منهما.

أما الأسباب النفسية هنا فإن المتكلم عندما يقول ما له دار، أو ما عنده خل، فإن المستمع يشعر بالدهشة، حيث المقصود أنه لا يملك أقل القليل من هذا الشيء (مال أو دار) فيعطيه المتكلم فرصة أطول للدهشة عن طريق (الواو ولا)، ثم يفاجئه بعدم امتلاكه ما هو أكثر من ذلك، وهو عدم امتلاكه عال، فتصبح (لا + الواو) دليل على النفي المطلق لامتلاكه أي شيء (مال أو دار أو أي شيء آخر)، وكذلك تعطي (لا) تأكيدًا أكثر للنفي الأول بـ (ما) للنفي السابق، فتقنع نفسية المستمع بالنفي الأول وتؤكده.

ومع هذا التحليل قد نرى عبارات لم تذكر فيها (لا)، بل نرى أحيانًا العبارة نفسها رويت بـ (لا) وبدون (لا)، وهذا يوضح أيضًا أن بناء تلك العبارات يرجع في الأصل إلى طبيعة المتكلم وآرائه وميوله النفسية، وما ينتمي إليه من مجتمع لغوي ذي خصائص لغوية خاصة به، وأن ما نفعله من تحليل لهذه العبارات هو محاولة لفهم تلك النصوص، ومعرفة ما يدور في نفوس أصحابها، وقد نصيب أو نخطئ، فاللغة لا تعطينا كل أسرارها، ولا حتى الباحثين فيها جملة واحدة.

وفي نهاية هذا الجزء من المبحث الصوتي، نلخص ما سبق بأن هذا النمط الصوتي الذي يأتي في تراكيب مختلفة تجمعه خاصية واحدة، وهي أن كلمتي الإتباع تأتيان في نهاية العبارة الإتباعية، مع الاختلاف في صورة هاتين الكلمتين، حيث تأتيان متتاليتين أو بينهما فاصل من الواو أو مِنْ أو الواو ولا، ولكل تركيب أسبابه اللغوية من ضرورة وجود العاطف أو جوَاز وجوده، وجواز حذفه، وله أيضًا نتائجه الصوتية على ذلك النمط، حيث يؤدي ذكر العاطف إلى نغم أو إيقاع يختلف عن عدم وجوده، وكذلك ذكر (الواو ولا) يؤدي إلى إيقاع ثالث يختلف عن الحالتين السابقتين. فالحكم الأول والأخير في قضية وجود العاطف (الواو أو الواو

ولا) يرجع إلى القواعد النحوية للغة، وليس كما قال القدماء من أن الواو شرط في جملة الإتباع عند قوم – وعدم وجودها شرط عند قوم آخرين.

ثانياً: الإيقاع المفروق.

وهو إيقاع مختلف عما سبق، حيث يكون مصدره هو توافق أول كلمة في العبارة مع آخر كلمة فيها نحو (خَيَّم بالمكان ورَيَّم)، فنجد أن الانسجام الصوتي ناتج عن مقابلة كلمة خيّم بكلمة تساويها في الوزن والروي هي رَيَّم مع اختلاف الحرف الأول فقط، ولا يخفى علينا اختلاف الإيقاع في هذه العبارة ومثيلاتها مما سنذكره بعد قليل، عن الإيقاع في النمط السابق، والذي فصلناه من قبل، حيث فُرِّقَ بين كلمتي الإتباع بكلمة (بالمكان) حيث نتج الإيقاع عن الكلمة الأولى والأخيرة في العبارة.

وفي هذه الحالة تصبح العبارة مشابهة للقافية المتوقعة حيث يدرك السامع بعد سماعه للكلمة الأولى ما يمكن أن تكون عليه الكلمة الأخيرة في العبارة من وزن وروي ويتوقعه، كما يحدث في حالة الاستماع إلى قصيدة ذات وزن وقافية معينة، فإنه يتوقع الكلمة الأخيرة في البيت عن طريق الربط بين معنى البيت والأبيات الأخرى ووزن الكلمة الأخيرة في الأبيات السابقة وحروف الروي في القصيدة، وقد سميتُه الإيقاع المفروق؛ لأن هذا الإيقاع لا يتحقق مع الكلمة الأولى إلا إذا التقت بالكلمة الأخيرة في العبارة متجاوزة ما بينهما من كلمات.

ومن هذه العباراتخظ يتْ المرأة عند زوجها وبظ يتْ – سدحت المرأة عند زوجها وردحت – لاقيَ عليك ولاهي – ما يليق لكَ الخير وما يعيق – هناني الطعام ومراني – حياه الله وبياه – حرة تحت قرة – أربَّ فلانُ وألبَّ – أمشى فلان وأفشى – لا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك – نكدًا له وجحدًا – وراه الله وبراه – جوعًا له وجوسًا وبوسًا – أفًا له وتفًا – أرغمه الله وأدغمه – سقاه الله ورعاه – لبيك وسعديك – خصاه الله وبصاه ولصاه – لحاه الله ووراه – عَدْل غير جَدْل – مُذ أن شب إلى أن دب – الإيناس قبل الإبساس – صلمع الشيء وقلمعه.

***

المبحث الثاني
الإتباع والمقطع الصوتي

المقطع الصوتي هو: كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة، ويمكن الابتداء بها والوقوف عليها، من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة، ففي اللغة العربية مثلاً لا يجوز الابتداء بحركة؛ ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة[١].

وهو الفترة الفاصلة بين عمليتين، من عمليات غلق جهاز التصويت سواءً أكان الغلق كاملاً أم جزئياً[٢].

وتوجد في العربية الفصحى أنواع المقاطع الآتية:

١- النوع الأول: صامت + حركة قصيرة، مثل: وَ، فَ.

٢- النوع الثاني: صامت + حركة طويلة، مثل: يا، في.

٣- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت، مثل: بَلْ، هَلْ.

٤- النوع الرابع: صامت + حركة طويلة + صامت مثل: عاشْ، حالْ (بسكون).

٥- النوع الخامس: صامت + حركة قصيرة + صامت + صامت، مثل: أَمْرْ (بسكون)[٣].

هذا هو المقطع الصوتي، وهذه أنواعه في العربية، والذي نرى أن ندرسه هنا هو ما أشكال المقاطع التي ترد فيها كلمتا الإتباع في كل عبارة إتباعية؟، وأي هذه المقاطع أكثر استخدامًا في تلك العبارات؟، ولهذا قمتُ بحصر كل الكلمات الإتباعية الواردة في عبارات الإتباع المختلفة، وتقسيم هذه الكلمات حسب مقاطعها، وكانت الخطوة الأولى في هذا السبيل هي حصر كل الأوزان التي ترد فيها كلمات الإتباع المختلفة، مع ملاحظة التطابق بين الكلمة الأولى والثانية في الوزن، فخرجتُ من ذلك العمل بملاحظة هي: «إن عدد هذه الأوزان محدود، ولكن تكرار هذا الوزن أو ذاك هو المختلف، حيث نجد وزنًا يتكرر أكثر من مائة

(١) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، ٩٤.

(٢) دروس في علم أصوات العربية، ١٩١.

(٣) مدخل إلى علم اللغة، ٤٦.

مرة في حين أن وزنًا آخر يتكرر مرتين أو ثلاثة، وهذا يجعلنا نبحث عن أسباب ذلك التباين في العدد بين هذه الأوزان، وارتباط المتكلم بهذه الأوزان والإقلال من الأخرى، والتركيب المقطعي لكل وزن منها القليلة الكثيرة»، وقد أجريتُ هذا الإحصاء العددي على كتاب واحد هو كتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس نظرًا لكثرة عدد العبارات الإتباعية فيه، كما أن باقي الكتب ومنها كتاب الإتباع لأبي الطيب يحتوي على الأمثلة الموجودة في كتاب ابن فارس إلا فيما ندر من الأمثلة.

أولًا: الكلمات المكونة من ثلاثة مقاطع

أ- فعل:

هذا الوزن يأتي في عدة صور هي فَعِل – فَعَل – فُعَل، وكلها من الناحية المقطعية تمثل نموذجًا واحدًا، وهو أنها تَتكون من ثلاثة مقاطع من النوع الأول (قصير مفتوح) فَ + عَ + لَ، ويصل عدد الكلمات التي وردت في هذا الشكل مائة وعشرون كلمة – تقريباً – تتفق من حيث المقاطع، أي: الشكل المقطعي، وتختلف من حيث البنية الصرفية ما بين (فَعل – فَعَل – فُعَل)، وتختلف أيضًا من حيث الدلالة، فكل كلمة لها دلالة خاصةَ بها، ولكنهم يتفقون على تكوين مقطعي واحد، أي: تكوين صوتي مُتماثل، ولهذا أدخلتهم في إحصاء واحد وهو الكلمات التي تتكون من ثلاثة مقاطع من النوع الأول، والغريب في ذلك كثرة هذه الكلمات، وكأن هذا التركيب المقطعي أسهل على اللسان العربي من غيره، ولا يخفى على السامع ما في هذا التركيب المقطعي من انسجام صوتي ناتج عن تكرار مقطع واحد، أي: إيقاع واحد ثلاث مرات متتالية في كلمة واحدة، ثم إعادته نفسه في كلمة تالية لها، وبنفس التكوين والتركيب المقطعي، ونفس الحروف إلا الأول فقط في أغلب العبارات.

ولا يوجد أربع مقاطع من هذا النوع في كلمة واحدة في العربية، حيث النظام المقطعي في العربية يبتعد عن توالي أربعة مقاطع من النوع الأول، وهذا هو السر في تغيير نظام المقاطع، في الفعل الماضي الثلاثي المتصل بضمر الرفع المتحرك، إلى مقطعين من النوع الأول، بينهما مقطع من النوع الثالث، مثل: (ضَرَبْتُ) بدلًا من توالي أربعة مقاطع من النوع الأول في: ضَرَبتْ[1].

(١) التطور اللغوي، ٩٦.

ومن أمثلة هذه العبارات: وما أدري أين سَقَعَ وبَقَع – أَرِب جَرِب.

وفي مقابل هذا الوزن المكون من ثلاثة مقاطع توجد أوَزان أخَرى مكونة أيضًا من ثلاثة مقاطع، لكن الملاحظ هو هذا العدد الكبير من العبارات التي ترد على هذا الوزن في حين أن باقي الأوزان لا يرد منها إلا الكلمتان فقط، أي: عبارة واحدة أو عبارتان – في الغالب – كما سنرى في الأوزان الآتية.

ب- مُسْتَفْعِلٍ:

وهذا الوزنَ يتكون من ثلاثة مقاطع:

١- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: مُسْ.

٢- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: تَفْ.

٣- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: عِلْ.

وقد ورد في عبارة واحدة هي: (جاء مُسْتَمْعِدًا مُسْتَمِدًا)[1].

ج- مُفَعَّل:

وهو يتكون من ثلاثة مقاطع:

١- النوع الأول: صامت + حركة قصيرة: مُ.

٢- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: فَعْ.

٣- النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: عَلْ.

وقد ورد في عبارة واحدة هي (وإنه لمُجرّب مُدرّب)[2].

د- فَعَلَّل: وهو يتكون من ثلاثة مقاطع:

١- من النوع الأول: صامت + حركة قصيرة: (فَ).

٢- من النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت (عَلْ).

٣- من النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت (لَلْ).

وقد ورد في عبارة واحدة (هو سَمَلَّع هَمَلَّع)[3].

هـ- فَعيْلَة[4]:

وهوَ يتكون من ثلاثة مقاطع هي:

---

(١) الإتباع والمزاوجة، ٦٣.

(٢) المرجع السابق، ٤٧.

(٣) المرجع السابق، ١٠٢.

(٤) ملحوظة كل القسيم المقطعي على أساس الوقف في كل الأوزان.

١ – النوع الأول: صامت + حركة قصيرة (فَ).
٢ – النوع الثاني: صامت + حركة طويلة (عي).
٣ – النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت (لَة).
وقد ورد في العبارة الآتية: (ذهبت البَلَيْلَةُ بالمَلَيْلَة)[١].
إلى جانب هذا يوجد عبارات تتكوَن من ثَلاثة مقاطع، ولكنها جميعًا تأتي في عبارة واحدة نذكر هنا هذه العبارات فقط، وهي:

١ – ما لبيت فلان أَهَرَة ولا ظَهَرة[٢].
٢ – ويقولون: مَهَرَة وبَهَرة[٣].
٣ – رجل مُصلْصل يُجلْجَل[٤].
٤ – إنه لمُطْرهَم مُصْلَخم مُطْلَخم[٥].
٥ – خُطائط بَطائط[٦].
٦ – حَدَارج نَدَارَج[٧].
٧ – كَثُرت هساهسه ووساوسه[٨].
٨ – مالي فيه حويجاء ولا لويجاء[٩].

وهذا يشير إلى أن ذلك الوزن فَعَلَ هو الأكثر استخدامًا في هذه العبارات؛ لأنها الأقصر والأيسر في النطق، وكذلك ما لها من إيقاع منتظم متسق ناتج من أنها مكونة من نفس المقطع، أما باقي الأوزان – كما رأينا – تتكون من ثلاثة مقاطع وكلها مختلفة، فيصبح الإيقاع الناتج عنها ثقيلاً على اللسان، فلا يأتي منها إلا العبارة أو العبارتان.

ثانياً: كلمات مكونة من مقطعين

وهنا ندرس الكلمات التي تتكون من مقطعين، وتأتي هذه الكلمات في أوزان تصل إلى عشرين وزنًاتقريبًا، وتتراوح مرات تكرارها بين المرتين والمائة مرة، وهذا

(١) المرجع السابق، ١١٦.
(٢) المرجع السابق، ٧١.
(٣) المرجع السابق، ٧٥.
(٤) المرجع السابق ١١٩.
(٥) المرجع السابق، ١٢٤.
(٦) المرجع السابق، ٩٤.
(٧) المرجع السابق، ٥٤.
(٨) المرجع السابق، ٨٢.
(٩) المرجع السابق، ٥٣.

يعني أن هناك أوزان تأتي منها كلمات كثيرة في الإتباع، ولكنها تختلف فيما بينها من حيث القلة والكثرة، ولهذا رأيت أن نهتم في تحليلنا للأوزان إلى مقاطع بالأوزان التي تتكرر فيها كلمات الإتباع بكثرة، وأن نشير إلى الأوزان القليلة فقط؛ لأن قضية القلة والكثرة لها اعتبار مهم في تحليل الأوزان إلى مقاطع، حيث توضح الكثرة ميل المتكلمين إلى هذا الوزن في تركيبه المقطعي الذي ورد فيه، وخفته على لسانه، كذلك البحث عن أسباب هذا الميل لدى المتكلمين، وكذلك نوع هذه المقاطع، وترتيبها داخل هذه الأوزان، ونبدأ بأكثرها:

١- فَعْل:

وهو يتكون من مقطعين، هما:

- من النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت: (فَعْ).
- من النوع الأول: صامت + حركة قصيرة: (لَ).

وهذا الوزن يتردد بكثرة تصل إلى مائة مرة تقريباً، وبصور مختلفة في حركة الفاء من ضم إلى فتح إلى كسر، ونظراً لأننا نحلل هذه الأوزان مقطعيًّا، وليس بنائياً فتعد من هذه الجهة – أي: التحليل المقطعي – وزنًا واحدًا، كما أن إسكان عين هذا الوزن تعطيه شدة تتناسب مع طبيعته العربية، وبيئته البدوية القاسية؛ لهذا فهو يميل إلى تكرار هذا التركيب الصوتي بكثرة في كلامه، ويمكن إدراك هذا من خلال قراءة هذه العبارات الإتباعية:

ما عنده شَوْب ولا رَوْب – هو سَمْج لُمج – فرس غَوْج مَوْج – هو جَلْد نَجْد – هو سَهْد مَهْد – بَقل ثَعْد مَعْد.

والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد بدأتْ كل كلمة بالمقطع الأكبر ثم المقطع الأصغر، وكل ما نرجوه هنا أن يقومَ أحد الباحثين بدراسة العلاقة بين أنواع المقاطع في العبارة الإتباعية والدلالية، حيث يرتبط – كما رأيت في نماذج كثيرة من البحث – نوع المقطع وعدده مع ما يحمله هذا التركيب المقطعي من دلالات خاصة يمكن إدراكها وتلمسها بالبحث والدراسة.

٢- فاعل:

الوزن الثاني مكون من مقطعين، هما:

- من النوع الثاني: صامت + حركة طويلة (فا).

- من النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت (عل).
وقد تكرر هذا الوزن في ثمانين كلمة تقريباً في عبارات إتباعيةَ مختلفة.
ومن هذا الشكل: إنه لساغب لاغب – رجل خائب لائب – وما له هارب ولا قارب – إنه لفاضح ماضح – لم يبق منهم صالح ولا طالح.

٣- فَعِيل:

وهذاَ الوزن إلى جانب أنه مكون من مقطعين، وأنه يتكرر بكثرة تصل إلى سبعين كلمة إلا أن له انسجامًاصوتيًا خاصًا لم يتكرر في الكلمات ذات المقطعين، وهذا الانسجام أو الإيقاع ناتج عن أنه مكون من مقطعين، أولهما: قصير مفتوح، والثاني: طويل مغلق:

- من النوع الأول: صامت + حركة قصيرة: فَ.
- من النوع الرابع: صامت + حركة طويلة + صامت: عيل.

فالانتقال من مقطع قصير مفتوح إلى مقطع وسطه حركةَ طويلة يعطي فرصة لتفريغ النفس الذي بدأ به الكلمة في المقطع الأول القصير، وهذا هو السبب في مجيء هذا الوزن ضمن الصيغ التي تدل على المبالغة (كريم – عزيز) في الصفة، وكذلك الصفة المشبهة باسم الفاعل (عظيم...) فهي دائمة التكرار في كلام الناس للدلالة على المبالغة (مدح – أو ذم)، وأن هذه الصفة ملاصقة دائمًا لهذا الشخص (صفة مشبهة)؛ لأن الناس بطبيعتهم يميلون إلى المبالغة، ومن هذه العبارات: رجل حَريب سَلِيْب –لم يبق منهم بِيِّت ولا هبِيت هو سميح لميح – هو قبيح شقيح.

ويشاركه في هذا التركيب المقطعي وزنًا (فَعَال – وفَعُول)، ولكن ليس بالقدر نفسه من العدد، حيث الوزن (فَعَال) يصل تكراره إلى ثلاثين مرة والوزن (فَعُول) يصل تكراره إلى ثلاث عشرة مرة.

ومن أمثلة هذا: يعبرون عن الأمور بالشُقُور والفُقُور –نعوذ بالله من الخُضُوع والقُنُوع والكُنُوع – ونعوذ بالله من العُنُوق بعد النُّوْق – امرأة حَفُوت لَفُوت – ما ذاق علوسًا ولا لئوسًا – خَراب يَباب – ما ذاق شماجًا ولا لَماجًا – سويق قَفار عَفار – لا حساس ولا مساس.

٤ –أَ فْعَل:

هذا الوزن مكون من مقطعين متساويين:

- من النوع الثاني: صامت + حركة قصيرة +صامت أَفْ.

- من النوع الثالث: صامت + حركة قصيرة + صامت عَلْ.

وهو يتكرر قُرابة الثلاثين مرة في عبارات إتباعية مختلفة، ونلاحظ هذا السكون في نهاية المقطع الأول، والذي يقسم الكلمة إلى مقطعين متساويين، وما تحدثه من فصل بينهما، فتحول الكلمة إلى نغمين متساويين نسمع صداهما في الكلمة الإتباعية الثانية، نحو هذه العبارة: قالت امرأة من العرب: إني لأبض من الرجال الأَمْلَح الأفْلح[1]، يقولون: لا أَفْلَح ولا أَنْجَح[2].

ونلاحظ هذا النغم الناتج في كلمة « أَفْلَح» عن السكون، ونشعر بنغم الانشطار الموجود فيها (أَفْ - لَح)، ويتأكد هذا النغم مع كلمة (أَنْ - جَح)، فلو قام شخص بالطرق على طاولة مع نطق هذين المقطعين، فيجب أن يكون الطرق متساويًا في القوة والزمان الخاص بهما، وهذا التساوي هو الذي يحدث الانتظام في النغم.

ويحدث انسجامًاصوتيًّا بتكراره في الكلمة الثانية.

ويمكن تتبع النغم في هذه العبارات:

١- أَحْمَر أَشْقَر ٢- أَشْعر أَظْفر ٣- أَيسر أذْكر

٤- رجل أَخْرس أَمْرس ٥- هو أَعْمش أَرْمَش ٦- أَمْشى فلان وأَفْشى[3].

ويأتي على هذا التقسيم المقطعي والتكوين نفسه أوزان، منها:

أ- فَعَّل:

هذا الوزن يتكرر سبع عشرة مرة، ويمكن ملاحظة هذا الانشطار في هذه الكلمات من خلال هذه العبارات: « ما أبالي أَكَلَّل أم هَلَّل».

كَلَّل – هَلَّل = كَلْ + لل، هَلْ + لل.

ومن هذه العبارات: خَيَّم بالمكان وَرَيَّم.

ومثلها مع اختلاف الحركات: إنه ميثَّم ملَّم – جاء بالضيَّح والرَّيح، ومثلها مع اختلاف الحركات أيضًا:هو شَيِّد دَيِّد – هو خَيِّر شَيِّر -هو ضَيِّق ليِّق عَيِّق – طعام سَيِّغ لَيِّغ.

ب- فَعْلة:

جاء هذا الوزن عشر مرات، وهو يتكون من مقطعين متساويين هما: (فَعْ + له)، كما في هذه العبارة.

---

(١) الإتباع والمزاوجة، ٥٦.

(٢) المرجع السابق، ٥٧.

(٣) مثلها عبارة (رمى فما أسْمى ولا ألمى)، ص١٢٢.

يقال:ما عليها سَيْغة ولا لَيْغة – هي الأيْمَة والعَيْمة –ما سمعت منه زأْمَة ولا نَأْمَة – رجل أَمْنَة أَذْنَة.

ج– مُفْعِل:

يتكون من مقطعين: مَفْ + عِل.

وقد جاءت عليه هذه العبارات: هو مُفْقِع مُدْقِع – إنه مُفْعِتٌ مُلْفِت ويقال ما له من ذاك مُحْتَد ولا مُلْتَد.

والذي يجمع كل هذه الأوزان السابقة: وجود السكون في نهاية المقطع الأول وأنها تتكون من مقطعين متساويين.

د– فَعَّال:

وهو يتكون من مقطعين متتاليين، هما: (الثالث والرابع) متشابهين في التكوين، فالأول: صامت + حركة قصيرة + صامت (فَع).

والثاني: صامت + حركة طويلة + صامت (عال).

والفرق بينهما هو طول الحركة التي في وسط المقطع حيث تكون قصيرة في المقطع الأول طويلة في المقطع الثاني، فكأن المقطع الأول لتركيز المعنى وتأكيده من خلال قصر الحركة، ثم يأتي المقطع الثاني بحركته الطويلة للمبالغة فيه من خلال إطالة هذه الحركة: فَعْ – عال.

ومن هذه العبارات التي وردت في هذا الوزن:

- رَجل خَيَّابتَيَّاب هَيَّاب.
- ويقولون للأحمق: هَفَّات لَفَّات.
- رجل خَرَّاجة ولاَّجة.
- إنه لجَوَّاس عَوَّاس، وتكرر هذا الوزن تسع مرات فقط.

ثالثًا: كلمات مكونة من مقطع واحد.

وهذا النوع الأخير من التقسيم المقطعي لكلمتي الإتباع يتكون من مقطع واحد، نحو (حار يار)، وهذا المقطع يُنطق دفعة واحدة، ثم تليه الكلمة الثانية بنفس الصورة – أي: مقطع واحد ونطق واحد في دفعة واحدة – فيحدث نغمًا مختلفًا عمَّا سبق، وكأن الكلمتين كلمة واحدة مكونة من مقطعين تحمل نغمًا متماثلاً، وهذا النمط من المقاطع يأتي بكثرة تصور ميل هؤلاء المتكلمين إلى هذا النمط، وما له من إيقاع خاص.

ومن هذه العبارات: هو حار يار جار – مَن شاخ باخ – عاث وهاث – خاز باز – أحمق تاك فاك – ضال تال – ماله عال ومال – ماله عليَّ قاه ولا له عندي جاه – أفعل ما ساء وناء.

وغير هذه العبارات التي تحتوي على كلمات تنطق دفعة واحدة بنغم واحد يتكرر مرتين في العبارة من خلال كلمتين (اسمين أو فعلين)، وقد تكرر هذا المقطع سبع عشرة مرة.

الخلاصة:

من دراسة المقاطع الصوتية التي ترد فيها كلمتا الإتباع يتبين أنها تأتي في ثلاثة أشكال، هي:

١- كلمات تتكون من ثلاثة مقاطع:

وتكثر الأوزان التي تتكون من ثلاثة مقاطع، ولكن ما يأتي منها بكثرة ساحقة هو وزن واحد (فَعل)، حيث يتكون من ثلاثة مقاطع متماثلة من النوع الأول، له إيقاع قصير متكرر في الكلمة ثلاث مرات، وفي كلمتي الإتباع ست مرات، أما باقي الأوزان فلا يأتي منها إلا العبارة أو العبارتان فقط؛ لثقلها في النطق وعدم انتظام الإيقاع الصادر عنها كما في (فعَل).

٢- كلمات تتكون من مقطعين: يأتي هذا القسم في أشكال:

أ- مقطعين متساويين من النوع الثالث، وأوزانه: أَفْعَل. فَعَّل. فَعْلة. مَفْعِل.

ب- مقطعين الأول أصغر من الثاني:

- فَعَّال: من النوع الأول + من النوع الثاني.
- فَعيل: من النوع الأول + من النوع الرابع.
- فَاعل: من النوع الثاني + من النوع الثالث.

ج- مقطعين الأول أكبر من الثاني:

فَعْل: من النوع الثالث + من النوع الأول.

٣- كلمات تتكون من مقطع واحد:

وهو مقطع واحد من النوع الرابع نحو حار – يار، وتنطق دفعة واحدة، إن هذا النوع في المقاطع – كما رأينا – يعطي تنوعًا في النغم الصادر عنها، ويصبح لكل عبارة إيقاع خاص، يسعى المتكلم إلى إظهاره عند النطق بالعبارة، وتحمل كل عبارة مع نغمها هذا شعورًانفسيًّا مختلفًا تجاه كل عبارة وكل موقف قيلت فيه.

***

المبحث الثالث
تكرار الصوت الأخير

ونعني به الصوت الأخير في كلمتي الإتباع، والذي يتكرر من خلال كلمات كثيرة، فقد لاحظت تكرار بعض هذه الأصوات دون غيرها بصورة تثير الانتباه؛ مما جعلني أقوم بإحصاء هذه الأصوات المتكررة على مستوى كل عبارات الإتباع، ثم قمت بمقابلة ذلك بالقاموس المحيط، حيث يتبع هذه الطريقة في ترتيبه للكلمات، وهي حسب الحرف الأخير، كما في كتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس، فكلاهما يتبع المنهج نفسه في ترتيب كلماته.

وهذا العمل أحاول من خلاله معرفة أكثر الأصوات تكرارًا في نهاية كلمتي الإتباع، ثم دراسة هذه الأصوات، وما لديها من إمكانيات صوتية جعلتها تشيع وتكثر في اللغة العربية دون غيرها.

نتائج الإحصاء:

بعد القيام بهذا العمل وجدت أن:

١- الراء: هي أكبر حروف المعجم عددًا في مادته المعجمية في القاموس المحيط، وكذلك هي الأكبر في عدد الكلمات الإتباعية التي تنتهي بالراء في عبارات الإتباع في كتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس.

٢- اللام: وهو الحرف الذي يلي الراء في هذا الإحصاء.

٣- الميم: وهي تلي اللام .

٤- الباء: وهو يلي الميم.

٥- العين: وهي تلي الباء وتوقفت عند العين؛ لأن ما يلي ذلك من حروف تكاد تتشابه فيما بينها، فلا حاجة للإحصاء هنا؛ لأنه لا فرق فيهم ذو دلالة مفيدة.

أصوات الصفر «السين والزاي الصاد والثاء» كانت السين أكثرها تكرارًا في المعجم وفي كتاب الإتباع والمزاوجة، ثم تليها الصاد ثم الزاي.

تحليل هذه النتائج:

بعد الدراسة الإحصائية السابقة كان علينا محاولة تفسير هذه النتائج، فظهر صوت الراء بارزًا في هذا الإحصاء؛ فبحثتُ عن السبب، فوجدتُ أنه «صوت تكراري مجهور، يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخيًّا في طريق الهواء الخارج من

الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت»[1]. وهذه الصفة في الراء جعلت د. كمال بشر يعطيها عنونًا خاصًا هو الأصوات المكررة، فيقول: «ولاحظ قدامى العرب خاصية التكرار في الراء فسموه الصوت المكرر[2]، وفسروا ذلك بقولهم: وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير»[3].

ويشير د. محمود السعران إلى نتيجة هذه الصفة التكرارية في الراء بقوله: «ويُحْدث الوتران الصوتيان نغمة عند نطق الراء، فالراء العربي صامت مجهور لثوي مكرَر»[4].

وكل هذا يشير إلى صفة هامة في الراء، وهي: (التكرار)، وما يستتبعه من نغم يحدث في نهاية كلمتي الإتباع نحو (حار يار جار) نجد أن هذه النغمة الناتجة عن تكرار طرق اللسان لمخرجه (اللثاة) تصاحب النطق بهذه الكلمات الثلاثة.

وهذه الصفة تفسر لنا لماذا هذه الكثرة من الكلمات الإتباعية التي تحتوي على الراء، وكذلك وجود هذا الصوت في نهاية الكلمة، كأنما هو إيقاع أو نغم يختم به المتكلم كل كلمة من كلمات الإتباع، أي: بعد النطق بأصوات مختلفة يُنْهِيها بنغم واحد يتكرر مع كل مجموعة أصوات.

وهذه الكثرة الموجودة في المعجم (القاموس المحيط) تفسر ميل اللسان العربي إلى مثل هذه الكلمات التي تنتهي بهذا النغم، فهو ميل طبيعي عنده لهذا النغم، وما كلمات الإتباع إلا بعض ما ينطق به المتكلم العربي، فهذه الكثرة في كلمات الإتباع قد سُبِقتْ بكثرة في مفردات اللغة نفسها، كما رأينا في المعاجم.

وَهذه بعض أمثلة لتلك العبارات الإتباعية التي تنتهي كلماتها بالراء، ويمكن من خلالها تتبع هذا النغم التكراري الذي تكلمنا عنه آنفًا.

يقولون: أَشْعر أظفر. يقولون: هذا الشر والبر. يقولونهو بَط رٌ أَشر. يقولون: دم خَضرٌ مَضرٌ ، نلاحظ عند النطق بهذه العبارات (كما ينطق بها المَتكلَم مستحضرًا معانَيها) بهَذا النغم التكراري في نهاية كل عبارة منها.

(١) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ٤٨.
(٢) الأصوات، ٢٢٩.
(٣) سر صناعة الإعراب، ابن جني، ١/ ٧٢.
(٤) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ١٧١.

اللام:

وهو الصوت الذي يلي الراء في الكثرة، وهو يشاركه في نفس المخرج، «وهو صوت جانبي مجهور، ينطق بأن يتصل طرف اللسان باللثة ويرتفع الطبق، فيسد المجرى الأنفي، عن طريق اتصاله بالجدار الخلفي للحلق، هذا مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية.

«ومعنى أنه صوت جانبي، أن أحد جانبي اللسان، أو كليهما يسمح للهواء الخارجي من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي لا يمكنه فيه المرور من وسط الفم، لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك»[١].

وعند إعادة النظر إلى هذا الكلام الذي يصف صوت اللام نلاحظ أنه صوت جانبي مجهور، حيث يخرج الهواء مع النفس الممتد من الرئتين مع إحداث ذبذبة في الأوتار الصوتية، فلو أضفنا هذا الوصف إلى جانب وجود هذا الصوت في آخر الكلمة لتبين لنا مدى النغم الصوتي الذي يحدثه وجود هذا الصوت في نهاية الكلمة؛ مما يفسر لنا ميل المتكلمين إلى استخدام هذه الكلمات التي آخرها اللام بكثرة في العبارات الإتباعية، وفي كلام الناس اليومي – كما أوضح الإحصاء المعجمي لها – حيث يكون امتداد النفس أطول في نهاية الكلمة، ويمكن ملاحظة ذلك عند النطق بكلمة وسطها لام وكلمة آخرها لام، ثم ملاحظة الفرق بينها مثل كلمة: كَلْب وفَسْل، والفرق بينهما أن النفس الخارج مع اللام في وسط الكلمة سينقطع للنطق بالباء.

أما في الثانية فنشعر معها أن النفس لا يزال ممتدًا؛ لأنه لا يوجد صوت ينطق بعد اللام، وهذا الامتداد مع ذبذبة الأوتار الصوتية هو الذي يحدث ذلك النغم في هذه الكلمات.

كما في هذه العبارات الإتباعية: (إنه لخسلٌ فَسْلٌ)[٢] – وما عنده نائل ولا طائل – ضئيل بئيل – ضال تال – ماله تُل وغُل – ما له عال ومال – ما له ثكل ورجل – نذر رذل، أضف إلى هذا أن قائمة الأصوات المتقدمة في هذا الإحصاء مائعةَ ليس فيها عوائق أو سدود، ثم إنها مجهورة تمثل قمة سماعية عالية.

(١) المدخل إلى علم اللغة، ٤٨.

(٢) الإتباع والمزاوجة، ١١٥.

أصوات الصفير:

هي السين والصاد والزاي، وهذه الأصوات تصدر من مخرج واحد (المخرج الأسناني اللثوي)، وتختلف فيما بينها في بعض الصفات الصوتية إلا أنها تجتمع في صفة مهمة، وهي أنها ذات جرس موسيقي واحد يشبه الصفير؛ ولهذا أطلق عليها القدماء اسم (أصوات الصفير)، وهذه الصفة تجعل لها قيمة صوتية كبيرة في العبارة الإتباعية، خصوصًا إذا جاءت في آخر كلمتي الإتباع.

وكل صوت من هذه الأصوات يتمتع بصفات تجعله يختلف عن أخيه، وهذه الصفات هي:

١- الزاي:

هو صوت رخو مجهور مرقق يأتي النغم فيه من ذبذبة الأوتار الصوتية.

٢- أما السين: فإنها نظير الزاي المهموس، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مرقق، لا يفترق عن الزاي في نطقه إلا في أن الأوتار الصوتية تهتز مع الزاي ولا تهتز معه.

٣- أما الصاد: فإنها نظير السين المفخم، وهذا معناه أنه صوت رخو مهموس مفخم، ينطق كما ينطق السين، مع فارق واحد، هو أن مؤخرة اللسان ترتفع معه ناحية الطبق[(١)].

ومن خلال وصف هذه الأصوات نجد أن السين هي أيسرهم؛ فهي صوت رخو مهموس مرقق افترق عن الصاد بالترقيق وعن الزاي بالهمس؛ ولهذا فهي أكثر شيوعًا من باقي أصوات الصفير الأخرى، خصوصًا عندما تكون في نهاية الكلمة، وهذا ما تثبته الإحصائيات التي قمت بها في القاموس المحيط، وكذلك في الإتباع والمزاوجة، حيث وجدت أن السين تتفوق على صوتي الصاد والزاي في العدد في القاموس المحيط وفي كتاب الإتباع والمزاوجة.

فكان من أسباب هذه الكثرة لهذا الصوت: أنه صوت رخو ومهموس ومرقق، وهاتان الصفتان الأخيرتان تميزانه عن الصوتين السابقين، كما أنه يقع في نهاية الكلمة، وهو رخو؛ مما يجعله ممتدًا مع النفس في آخر الكلمة، ويمكن ملاحظة هذا النغم الناتج عن السين في هذه العبارات:

(١) المدخل إلى علم اللغة، ٤٧.

رجل باخس ماكس – إنه لمألوس ممسوس – إنه لجوَّاس عَوَّاس – يقال: حاسَّهْ وباسَّهْ – كثرة هساهسه ووساوسه – لا حساس ولا مساس – ما له هلاس ولا سلاس – ضربه فما قال: حس ولا بس.

ولو نظرنا إلى العبارات التي تنتهي بالصاد، والتي تنتهي بالزاي لوضح الفرق:

ص (تركته في حيص بيص – هو عَرِص هبص – وقد شاصه وماصه – لا محيص عنه ولا مفيص – وما بعينه حوَص ولا خوص – وما به نويص ولا لويص).

ز (فز نز – ما زيد إلا خبز أو لبز – همزة لمزة – عزيز مزيز – الخاز باز) هذه هي أكثر العبارات التي وردت في الصاد والزاي، أما السين فلم نذكر إلا بعضها لكثرتها، وهذه الكثرة توضح ميل المتكلم نحو استخدام السين أكثر من الصاد والزاي، لما ذكرته آنفًا من أسباب.

الأصوات الشفوية:

تتمتع الأصوات الشفوية بنسبة عالية من التكرار في العبارات الإتباعية، وكذلك في القاموس المحيط؛ نظرًا لأنها تأتي في آخر الجهاز الصوتي وآخر الكلمة، وهذه الأصوات هي:

١- الميم: هو صوت أنفي مجهور، ينطق بأن ينطبق الشفتان تمامًا، فيحبس خلفها الهواء، ويخفض الطبق، ليتمكن الهواء من الخروج عن طريق الأنف، مع حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية[١].

وقد جعله د. محمود السعران من الصوامت الغناء قال: (ومن أمثال الصوامت الغناء الميم والنون، فالميم صامت مجهور شفوي (= شفتاني) أغن[٢].

وهذه الغنة أو النغم المصاحب لنطق الميم جعله صوتًا مكررًا لدى المتكلمين بالعربية، وظهرت هذه الكثرة في الأمثلة التي وردت في كتب الإتباع، والتي تنتهي بالميم مثل: رَغْمًا دَغْمًا – إنه لَمَ شَمٌّ ملمٌّ – يقال: رى فما أَصْمى ولا أَنْمى – ويقال: نسأل الله السلامة والغنامة، وما مِنْ ذلك حُمٌّ ولا رُمٌّ – خَيَّم بالمكان ورَيَّم – وإني لأبغض اللومة النومة.

***

(١) المدخل إلى علم اللغة، **٤٣**.

(٢) علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، **١٦٩**.

المبحث الرابع
التوافق الصوتي بين كلمتي الإتباع

يتحقق الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع نتيجة للمماثلة الصوتية بين أصوات الكلمتين في الصوامت والصوائت مع اختلاف بينهما في بعض الصوامت أولًا وغالبًا ما يكون الصامت الأول، ثم في بعض الصوائت، وهذا التماثل في الصوامت والصوائت بين الكلمتين يتم بنسب مختلفة.

أولًا: التماثل بين الصوائت والصوامت

ونعني بالتماثل بين الصوائت: التماثل بين الحركات الطويلة والقصيرة في الكلمتين عندما نقابل كل كلمة بأختها؛ فحركة أمام ما يقابلها من حركة مماثلة لها، وكذلك بالطبع الصوت الساكن، أي: بدون حركة.

وهذه المقابلة أثبتت ذلك التماثل والتطابق بين كلمتي الإتباع من هذه الجهة بنسبة تصل إلى أكثر من ٩٠٪، حيث يكثر هذا التطابق بين نوع الحركات القصيرة والطويلة في الكلمتين؛ مما يُعد أساسًا للبناء الموسيقي في الكلمة الأولى والثانية، فهو الأساس الذي ستوضع عليه لبنات الكلمتين (أي: الصوامت)، خصوصًا إذا حدث تماثل بين هذه الصوامت إلا في الصوت الأول، أي: الصامت الأول، وهو ما يعرف بالجناس الناقص، والغريب أن هذا الصوت الصامت المخالف للصوت المقابل له في الكلمة الثانية يذوب حتى لا نكاد نشعر به عند نطق الكلمتين متتاليتين؛ فنقول: حَسَنٌ بَسنٌ، وشَيْطان ليطان، فتذوب الباء في الحاء رغم اختلافهما في المخرج، وكذلك اللام في الشين؛ وذلك بسبب هذا السيل الكبير من المماثلة الصوتية بين الكلمتين في الصوامت والصوائت وترتيب كل منهما في الكلمتين، وتوافقهما في الهيكل التناغمي لهما.

وهذا التماثل يعد الشيء الأكبر والقاسم المشترك بين عبارات الإتباع كلها بنسبة تصل إلى أكثر من ٩٠٪ من مجموع عبارات الإتباع كلها، فنجد كلمات مثل – نَهْرةٌ بَهْرَة –شَرٌّ بَرٌّ–الشُقُور والفُقُور –هَرَّ بَرَّ.

وهكذا يكون التماثل تامًا بينَ الصَوائت، وناقصًا بين الصوامت؛ وذلك لما للصوائت من خاصية خاصة بها، وهي اتحادها في الصفة، فهي الأصوات المجهورة التي يحدث في تكوينها أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق

والفم، وخلال الأنف، معهما أحيانًا، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضًا تامًا، أو تضييق لمجرى الهواء من شأنه أن يحدث احتكاكًا مسموعًا[1]، بمعنى أن الأوتار الصوتية تهتز عند حدوث أي صوت منها نتيجة الجهر، فالأصوات الصائتة «لا تتدخل عند النطق بها أعضاء النطق العليا على الإطلاق، أو تتدخل تدخلاً لا يحدث احتكاكًا مسموعًا، وعلى ذلك فلولا الجهر الذي هو تدخل الأوتار الصوتية لمر الهواء من الرئتين إلى الخارج دون تدخل يذكر، تمامًا كما يحدث عند الزفر، وقد قالوا بضرورة الجهر في الحركات، حتى تكون الحركة صوتًا مسموعًا ولا تكون مجرد زفير»[2].

وهذه الصفة (الجهر) هي التي تحدد الفواصل بين الصوامت، حيث تعطي كل حركة نوع النغم المصاحب لنهاية الصامت، هل ينتهي هذا الصوت الصامت بذبذبة الأوتار الصوتية، ثم ينتقل إلى صامت آخر؟، أم هل سينتهي ساكنًا (أي: خاليًا من الحركة) عند مخرجه بدون ذبذبة الأوتار الصوتية – إلا ما كان أصلاً صفة خاصة بهذا الصامت، أي: هو صامت مجهور، ثم ينتقل إلى صامت آخر.

هذا التماثل في الصوائت في كلمتي الإتباع هو أساس الانسجام الصوتي بينهما، حيث يحافظ التوافق في الحركات على التوافق في ذبذبة الأوتار الصوتية في الكلمتين؛ لاتحادهما في الحركات والسكنات ونوع الحركات أيضًا، حيث إن التغيير في نوع الحركة (كسرة – ضمة – فتحة) يؤدي إلى تغيير في نوع الذبذبة الناتجة عن هذه الحركة المغايرة، فإن نوع الحركات يتحدد بحركة مقدمة اللسان نحو سقف الحنك أو حركة مُؤخرة اللسان نحو سقف الحنك كذلك، وكذلك شكل الشفتين عند النطق بالحركة يحدد نوع الحركة المصاحبة لهذا الصامت.

ولهذا نقول:إن التماثل بين كلمتي الإتباع صوتيًّا لابد أن يكون في الصوائت، أي: الحركات، وفي نوع هذه الحركة، فالضمة يقابلها ضمة[3]، وكذلك الكسرة يقابلها كسرة والفتحة تقابلها فتحة، والصوت الساكن يقابله صوت ساكن، وكذلك الصوائت فإنها تتماثل في الكلمتين عدا الصامت الأول، وهذا هو الجناس الناقص (كما يرى البلاغيون)، أما ما نعنيه بالجناس الناقص هنا هو في الجانب

(١) المدخل إلى علم اللغة، ٩١.

(٢) أصوات اللغة، ١٧٦.

(٣) أي في الكلمة الأولى والكلمة الثانية.

الصوتي، وهو يمثل نسبة كبيرة في كلمات الإتباع، حيث تتماثل الحركات (بأنواعها المختلفة)، وكذلك السكنات والصوامت في الكلمتين عدا الصوت الأول: نحو حَبَض نَبَض – قَرْض وفَرْض وما بعينه حَوَصٌ ولا خَوَصٌ، نلاحظ هنا التوافق بين الحركات والسكنات في الكلمتين عدا الحرف الأول، وهذا ما يجعلنا نقول: إن الجناس التام بين الحركات هو الأساس الذي يبنى عليه الانسجام الصوتي بين الكلمتين، ويليه الجناس الناقص بين الصوامت، والذي يذوب بين هذا الكم الكبير من التماثل الصوتي بين الصوامت والصوائت في الكلمتين، حتى أننا لا نكاد نشعر به، ويظهر هذا بوضوح لو أننا كررنا هذه العبارة أكثر من مرة (شيطان، ليطان) على الرغم من اختلاف الشين واللام في المخرج والصفة، وهو ما أشار إليه القدماء بالجناس الناقص بين كلمتي الإتباع، وهو يعد قمة المماثلة الصوتية بين كلمتي الإتباع:

١ – جناس تام في الحركات (الصوائت).

٢ – جناس ناقص في الحروف (الصوامت).

بل إننا نلاحظ أن هذا الجناس الناقص بين الصوامت من نوع خاص يكاد يجعله جناسًا تامًا؛ وذلك لاتفاق كل الحروف في نوعها وترتيبها، والترتيب مهم جدًا لإحداث التوافق في الصوت بين الكلمتين عدا الصوت الأول الصامت في كلا الكلمتين؛ مما يجعله يذوب بين الكلمتين فلا نشعر بهذا الصوت المخالف في أول الكلمة.

ثانياً: الاختلاف الصوتي بين الحركات

يبدأ الاختلاف الصوتي بين الكلمتين بعد أن تخرجا عن هذا التماثل الذي تحدثنا عنه (في الصوائت أولًا جناس تام –في الصوامت ثانيًا جناس ناقص).

اختلاف في بعض الصوائت:

حيث نرى اختلافًا بين الصوائت من كسر يقابله فتح، أو كسر يقابله ضم، أو سكون ورغم الجناس الناقص بين الصوامت فيصبح الجناس بين الحركات ناقصًا أيضًا، لكن هذا الحدث قليل نحو هذه الأمثلة: يقولون: شَرٌّ شمُر – وما له دار ولا عقار –هذا الشَّرَّ والعرُّ – ما سمعت له حسًا ولا جرسًا، وَتَعِس وانْتكس – ولا أفعله سَجيس عُجيس – سديس عُجيس َ- أَحْمق أَخْرق زَبَعْبَقُ – رجل أشق أمق وخبق – هَمٌّ سَدَم.

هذه هي الأمثلة الوحيدة التي توصلتُ إليها بعد إحصاء كامل للإتباع في كُتبه المختلفة، والتي لا تزيد على ١٪ من مجموع العبارات الإتباعية، حتى هذه النسبة يمكن إعادة النظر فيها مثل عبارة: ما له دار ولا عقار، حيث تعد كل من دار وعقار متماثلة في حركات كل منهما فدار: دار + فتحة طويلة + الراء وعقار: قاف + حركة طويلة + الراء، والفرق بينهما زيادة العين بحركتها الفتحة في أول الكلمة عقار ولا تظهر هذه الزيادة في صوت العين وصوت الفتحة لوجود (الواو – لا) قبلها.

والحق أن نسبة ١٪ تعد قليلة جدًّا بالنسبة لما نجده من تماثل في هذا الكم الكبير من العبارات في الحركات (جناس تام في الحركات)، فتماثل الكلمة الثانية الكلمة الأولى بصورة كبيرة حتى ولو طالت أحرف هذه الكلمة التي تليها، أي: تتبعها؛ مما يؤكد قولنا: إن أساس المماثلة الصوتية بين كلمتي الإتباع هو التماثل التام بين الصوائت (جناس تام) بأنه الأساس الذي تُبنى عليه عملية المماثلة الصوتية بين الكلمتين، وكأن التكوين يبدأ بالحركات ثم تليها الأصوات أو كأن المتكلم يقيس حركات الكلمة الثانية على حركات الكلمة الأولى، وهو ما يحرص عليه، ثم يأتي بعد ذلك التماثل في الأصوات الصامتة، والذي لا يصل إلى حد المماثلة التامة، بل إلى الجناس الناقص، وهذا النقص كما رأينا يكون غالبًا في الصامت الأول فقط، وهو أقصى ما يصل إليه التماثل بين الصوامت، كذلك نرى أنه على الرغم من الاختلاف في بعض الصوامت- بل في كثير منها- إلا أن الصوائت تظل على حالتها دائمًا، وهو الجناس التام، كما سنرى في الفقرة الآتية.

ثالثًا: الاختلاف في الصوامت

ويمثل هذا الجانب- (الاختلاف بين الصوامت)- وسيلة التنوع في الإيقاع والانسجام الصوتي، مع ثبات الانسجام الصوتي أو المماثلة الصوتية التامة بين الصوائت (جناس تام) كما رأينا آنفًا، أما التنوع في الصوامت فيأتي في عدة صور، وهي:

١- الاختلاف في الصامت الأول فقط نحو: شَيْطَان لَيطان –أصابته ضَبْطَة لَبْطة – ما له عافطة ولا نافطة، وغيرها، وهي كثيرة جدًّا.

٢- الاختلاف في الصامت الأول والثاني نحو يَبَاب خَرَاب – خلُوبة رَكُوبة – حَريب سَليب – خَرَّابة ولأَّبة – مليح قزيح – قبيح شقيح – رائحة سارحة – أفلح أنجح – سَقيح نبيح – سمدًا أبدًا – جحد نكد – جلد نجد – بطر بشر – حجر زِبر

– عمير بجير – عرص هبص – هنانِّي مراني – يُنْهى يُسْهى – عريض أنيض – محطوط مربوط – طلعه قُبعة – هلع شكع – رجل ثكل – حظوان عدوان – جرى بذي أَعْمش أُمُرش – سهر عبر – حسَّ جرس.

نلاحظ أن الحركات التي بين الصوامت واحدة في الكلمتين نحو دَرَيْت تَلَيْتَ.

٣- الاختلاف في الصامت الثاني فقط: نحو أَرب ألب – مجرب مدرب – مُعْفت مُلْفت – ملجأ مَحجأ – أملح أفلح – ملتد محتد – يجدي يمدي – لا يغير لا يمير – أشعر أظفر – أطوريه أقوريه – يشار يهار – أخرس أمرس – سُراط سُقاط – مفقع مدقع.

الاختلاف بين كل هذه الكلمات في الصامت الأول وليس الثاني من حروف الأصول، حيث الأول في الكلمة هو صامت زائد مثل الهمزة وياء المضارعة أو ميم المصدر عدا (سُراط – سُقاط) مع ملاحظة أن الحركات الفاصلة بين الصوامت واحدة كما فيما سبق أيضًا.

٤- اختلاف في الصامت الثاني والثالث فقط: أبقيت أرعيت – الإيناس الإبساس – أخفق أورق – أحمق أخرق – مألوس ممسوس.

والخلاصة في هذا القسم- (اختلاف الصامت)- أنه على الرغم من اختلاف هذه الصوامت إلا أن هناك اتفاق بينها نلاحظه في هذين الأمرين:

١- الاتفاق في الصوائت في كل حالات الاختلاف في الصوامت، سواءً أكان في الحرف الأول أو الثاني أو الثالث، وكأن الصوت المجهور (الصائت) يقوم بالجمع بين الصوامت المختلفة، وكأنه الأساس الذي تُبنى عليه لبنات الكلمة، وأن الاختلاف في الصوامت هو وسيلة التنوع في النغم بين الكلمتين حتى تبدوان متطابقتان تمامًا.

٢- كل اختلاف يحدث بين الكلمتين في الصوامت أو الصوائت يكون في أول الكلمة الأولى وأول الكلمة الثانية، أما نهاية الكلمتين فيتطابقان تمامًا في أول الصوامت والصوائت، فهو الموضع الذي يتسق فيه النغم، وينتظم؛ ولهذا كان لابد له من هذا الاتفاق في الصوائت والصوامت.

٣- وكذلك نلاحظ أن الانسجام الصوتي يظهر من اتفاق نهاية الكلمة الأولى مع نهاية الكلمة الثانية، وكأن الاتفاق والانسجام يأتي من نهاية الكلمة، ويمتد إلى أولها، وأن الاختلاف الصوتي يأتي في أول الكلمة مع بداية الإيقاع وليس نهايته.

***

المبحث الخامس
الكلمة الثالثة في العبارة الإتباعية

كثير من العبارات الإتباعية تتكون من ثلاثة كلمات نحو حار يار جار، وتأتي هذه الكلمة الثالثة في عدة صور، وخصائص تركيبية وصوتية مختلفة؛ لهذا رأيت أن أجمعها وأتناولها بالتحليل والدراسة.

أولًا: العبارات الثلاثية.

١ – هو كَثِير بَثِير، وبَذِير.
٢ – هو خاسر دَامر دَابر.
٣ – هو يَشَارُّهُ ويُمارُّهُ ويُزَارُّهُ.
٤ – نعوذ بالله من الخضوع والقنوع والكنوع.
٥ – جوع يرقوع بهقوع ديقوع.
٦ – هو ولع تلع وزع.
٧ – رجل أَشَقّ أمقّ وخبقّ.
٨ – أَحْمق أَخْرَق زَبَعْبَق.
٩ – إنه لمُطَرهَمّ مُصلخم مُطْلَخمٌّ.
١٠ – هو الشَرّ والبرُّ والعُرُّ.
١١ – فَرَّ وله كَصيص وأَصيصَ وبصيص.
١٢ هو خَصيٌّ بَصيٌّ لصيٌّ.
١٣ – جيء به من حَسِّك وبَسِّك وعَسِّك.
١٤ – إنهَ لحسنَ بسن قَسن.
١٥ – إنه لشديد أديد لديد.
١٦ – إنه لقبيح شقيح لقيح.
١٧ – أبدًا سمدًا سرمدًا.
١٨ – شذر مذر بذر.

نلاحظ في هذا العدد من العبارات المكونة من ثلاثة كلمات أنها تتفق في أشياء وتختلف في أشياء أخرى، فمن الاتفاق:

١ – كل هذه الكلمات تتفق في الحركات، خصوصًا في المقطع الأخير مع بعضها؛ لهذا تأتي –غالبًا – على وزن واحد، فلو نظرنا إلى العبارات السابقة لوجدنا في العبارة الأولى الكلمات الثلاثة على وزن واحد هو فَعِيل والثانية فاعل والثالثة تُفاعُّه والرابعة فعول والخامسة يفعول، والسادسة فعل، وَهكذا حتى نهاية هذه العبارات –تقريبًا – وهذا الاتفاق فيما بينها – كما قلت آنفًا – في الأساس الصوتي للكلمات، وهو اتحادها في الحركات، ثم يأتي بعد ذلك الاتفاق والاختلاف في الصوامت.

٢ – الاتفاق في الحرف الأخيرة في كل العبارات بلا استثناء، ويزيد هذا الاتفاق في الحروف أو يقل كلما اتجهنا إلى الأمام، لكن مع ثبات الاتفاق في الحرف الأخير في كل الحالات، وهذا الحرف يزيد حتى يتحول إلى مقطع مكون من أكثر من صوت متماثل في الكلمات الثلاث.

ومن الاختلاف:

وتختلف فيما بينها في بعض الصوامت وليس في الصوائت، ويبدأ الاختلاف من الحرف الأول، حيث يختلف في كل العبارات، ثم يزيد هذا الخلاف إلى الحرف الثاني، ثم الثالث وهكذا.

وقد يكون الخلاف في عدد حروف الكلمات، ويكون هذا –غالبًا – في الكلمة الثالثة؛ فنجد أنها تزيد حرفًا عن الكلمتين نحو أَحْمَق أخرق زَبَعْبَق والزيادة هي الحرف الأول الزاي، ويأخذ حركة الحرف التالي له وهي الفتحة.

والخلاصة:

إن ما نجده من هذا الاتفاق بين هذه الكلمات الثلاثة يدل على قدرة المتكلم المبدع على إيجاد ثلاث كلمات تتفق في الوزن والروي والمعنى ليحدث بهن نغمًا وإيقاعًا متجانسًا داخل العبارة، ويدل أيضًا على الثراء اللفظي في اللغة العربية.

***

الفصل الثالث

الإتباع والبنية الصرفية

البناء الذي جاءت عليه كلمات الإتباع يوضح لنا كيف أثرت قضية الانسجام الصوتي في بناء الكلمة، حيث تغير بناء كثير من الكلمات ليتم الانسجام الصوتي بينها، وكذلك كان اختيار كلمتي الإتباع على أساس صوتي دون مراعاة للجانب الصرفي، حيث يجمع بين كلمتين إحداهما اسمًا والأخرى فعلاً، أو كلمة أصلية – (الحروف بدون زيادة)– مع كلمة ذات حروف زائدة، أو يختار صيغة غير مشهورة لكلمة حتى تناسب ما قبلها صوتياً.

وعلى الرغم مما سبق فإن عنصر البناء يُعد عنصرًا فاصلاً وحاسمًا في هذا الباب (الإتباع)، حيث الاتفاق بين الكلمتين في الوزن والروي هو أساس إحداث ذلك الانسجام الصوتي، ولا يمكن أن يتم هذا إلا إذا اتفقت الكلمتان في أوزانهما.

وقد قمت بدراسة كل أبنية كلمات الإتباع وقسمتها على أساس أوزانها أولًا؛ لأن الوزن هو الأساس في الاتفاق الصوتي، ثم تصنيف أنواع الكلمة (اسم – فعل) في داخل الوزن الواحد، ومعرفة أكثر الأوزان شيوعًا، والاختلاف والاتفاق بين كلمتي الإتباع في العبارة الواحدة، هل هما اسمان، أم فعلان، أم اسم وفعل أم العكس؟، وأثر هذا الاتفاق أو الاختلاف على دلالة العبارة.

نتائج الدراسة الإحصائية لأوزان كلمتي الإتباع:

أولا: أوزان كثيرة

١– **فَعَل**: يكثر هذا الوزن، فتكرر أكثر من خمسين مرة، وفي كل مرة يأتي على صورة الفعل الماضي أو الصفة المشبهة، وفي كل عبارة تتطابق كلمتا الإتباع، فهما إما فعلان أو صفتان، وكان نصيب الفعل الماضي خمس عشرة مرة، وفي المقابل كان الباقي نصيب الصفة المشبهة، أي: غلبة حالة الدلالة على الاسم على حالة الدلالة على الفعل في هذه الصيغة (فَعَل).

٢– **فَعِل**: وجاء هذا الوزن أيضًا خمسين مرة، وكلها صفة مشبهة، ما عدا فعلين (حَظِيتْ – وبظيتْ)، ولأن كلها وصف لأشخاص وحكم عليها جاءت هذه الصَيغة بكثرة للدلالة على الصفة المشبهة.

٣– **فاعِل**: وجاء هذا الوزن في سبع وسبعين مرة، وهذه الصيغة تشير إلى الفعل

ومن قام به مثل الصفة المشبهة به (أي: باسم الفاعل)؛ لذا تكثر مثل الصفة المشبهة، بل أكثر منها، فهي تشير إلى حدث، وإلى شخص موصوف بهذا الحدث، فهي تحقق للمتكلم شيئين الدلالة على الحدث (كتب) ومن قام به (كاتب)، وهذا الأمر يحدث في كل صيغ (اسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبهة وصيغ المبالغة)؛ لهذا نجد أكثر الصيغ شيوعًا في العبارة الإتباعية هي هذه المشتقات بسبب دلالتها على شيئين معًا (الحدث ومن قام به – أو وقع عليه – أو اتصفت به في صورة ثابتة، أو مبالغ فيها) فهي توفر على المتكلم النطق بكلمتين (الفعل والفاعل)؛ ولهذا يستبدلها باسم الفاعل.

٤- فَعِيل: قد جاءت هذه الصيغة أكثر من سبعين مرة، وهي تأتي على شكل صيغة مبالغة أو صفة مشبهة، وقد تكررت بصورة أكبر مما سبقها من صيغ (فَعَل – فَعِل) إلا صيغة فاعل فهي تساويها، بل تزيد عليها، وسبب هذا التكرر لـ (فعيل – فاعل) وجود هذه الحركة الطويلة فيهما (الألف من الفتحة، الياء من الكسرة)، فهما وسيلة لطول النفس في داخل الكلمتين، فتظهر من خلال ذلك النفس كثيرٌ من الدلالات الشخصية التي تلقي بظلالها على المعنى، وهو يشبه ما ذكره القدماء من (مطل الحركات)، كما سماه ابن جني عندما قال (وحكى الفراء عنهم: أكلت لحما شاة، أراد: لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفًا)[1]، وهو يشبه ما نحن فيه فقد اختار وزنًا به هذه الحركة الطويلة حيث تمطل الفتحة والكسرة، فتدل على الفاعل والصفة المشبهة والمبالغة.

وقد لاحظ ابن جني تأثير مطل الحركات وأسبابه فقال: (وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن؛ وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة في قمت: قمتا، أي: قمت يوم الجمعة، ونحو ذلك، ومع الكسرة: أنتي، أي: أنت عاقلة ونحو ذلك، ومع الضمة: قمتو، في: قمتُ إلى زياد، ونحو ذلك)[2] كل هذا يوضح أن زيادة الحركة (أي الحركة الطويلة) يؤدي إلى معنى جديد يضاف إلى المعنى الأصلي، فالفعل كَتَبَ يدل على الحدث وعند زيادة الفتحة التي على الفاء تصبح الكلمة اسم فاعل وتدل على الحدث، ومن قام به مع كسر عين الكلمة، ومثلها ما يحدث من تغيير في فعيل

(١) الخصائص، ٣/١٢٣.

(٢) الخصائص، ٣/١٢٩.

لتدل على المبالغة واسم الفاعل الثابت (الصفة المشبهة)، وعلى غيرها من المعاني التي تُولد بالاشتقاق.

٥- فَعْل: تكررت أكثر من تسعين مرة، وهذا رقم كبير في كل الصيغ، وقد تكررت بتغير في فاء الكلمة من فتح إلى كسر وإلى ضم مع إسكان العين.

ولا تخفى علينا تلك الشدة الموجودة في هذه الصيغة نتيجة إسكان العين، وأنها مكونة نتيجة لهذه السكون من مقطعين: الأول طويل مغلق، والثاني قصير مفتح وكأنه يقسم هذه الكلمة عند النطق بها إلى قسمين كبيرين: نحو (لا شَوْب ولا رَوْب)[١] فيبدو من خلال هذه الصيغة (فَعْل) ما في العبارة من معاني الشدة والغلظة لدى المتكلم بها، ويمكن استشعار ذلك من معرفة المعاني المعجمية والمعاني الدلالية التي تشير إليها هذه الكلمات التي جاءت على هذه الصيغة، فقد جاءت في مواقف الجد لا الهزل والشدة، وليس اللين، فلنذكر بعضًا من هذه العبارات التي بها هذه الصيغة مع المعنى العام لكل صيغة في هذه العبارة، وهذه الشدة تعبر أيضًا عن طبيعة العربي ومجتمعه البدوي الصحراوي.

- (تركت خيلنا أرض بني فلان حَوْثًا بَوْثًا)، أي: فرقناهم وبددناهم.
- (ما عنده شَوْب ولا رَوْب) – وقولهم عند المبايعة: لا شوب ولا روب، ولا شَيْب ولا عَيْب)، أي: بيع مُبَرَّأ من العيوب، وما عنده قليل ولا كثير.
- (فرس غَوْج مَوج) فرس واسع الخطو كأنه الموج.
- (يقال: نَكْدًا له وجَحْدًا) في الدعاء عليه بقلة الخير والضيق.
- (عين حَدْرَةٌ بَدْرة)، أي: جادة النظر، وقيل: يُبادر نظرها نظر الخليل.
- (ذهب حِبْرُه وسِبْرُه) الحبر والسبر: الجمال والبهاء.

وهناك أمثلَة كثيرةَ تشير إلى فكرة استشعار الشدة من هذه الصيغة (فعل).

٦- «الصيغ المشددة»:

إن تشديد الحروف الأصول في كثير من الصيغ شيء استرعى انتباهي، حيث وجدت كثيرًا من الصيغ قد أتت مبتورة نتيجة تشديد أحد حروف (فَعَل) نحو:

- (خَبَّ حَبَّ) بوزن فَعَل فنقول (فعَّ) مراعاة للنطق لعرض الدراسة فقط.
- (أَرَبَّ أَلَبَّ، أَشَقَّ أَمَقَّ) بوزن (أفعل)، وتصبح (أَفَعَّ) لغرض الدراسة.

(١) الإتباع والمزاوجة، ٤٨،

- (حاسَّ ياس، لاَمَّة شَاَبَّة) بوزن (فاعل) من (فاعَّ) لغرض الدراسة.
- (هرّ بِرٍّ، حسَّ عسّ حلَّ) بوزن (فعْل) وتصبح (فعّ) لنفس الغرض.
- (أُفَّ تُفَّ، غُلَّ تُلّ حُمَّ) بوزن (فُعْل) وتصبح (فُعّ) لنفس الغرض.
- (يَهُضّ يَرُضّ، يَخُفُّ يَرُفّ) بوزن يفعل فتصبح (يَفُعُّ) للغرض السابق، وقد وصل عدد الكلمات التي جاءت بهذا الشكل إلى أكثر من سبعين كلمة، وقد جاء هذا التشديد على المقطع الأخير من الكلمة.

ثانيًا: أوزان قليلة

هناك أوزان ترد في العبارات الإتباعية مرتين أو أربع أو ست مرات فقط، وهذا يجعلنا نسأل لماذا هذه القلة في هذه الأوزان دون غيرها؟.

إذن يجب أولًا أن نذكرها، وهي:

١- مُفَعْلل « مُجلجل في خمس مرات. ٢- فَعَلَّل « سَمَلَّع في مرتين.
٣- فعليت « عفريت في مرتين. ٤- فَعَيْلة « بَليلة في مرتين.
٥- أفعليه « أطوريه في مرتين. ٦- تَفْعيل « تفْريح في مرتين.
٧- فُعَيْلاء « لُوَيْجاء في مرتين. ٨- فَعَال ل « حَدَارج في أربع مرات.
٩- فُعْلُول « خُذْرُوْف في مرتين. ١٠- مُسْتفعل « مُسْتمْعْ في مرتين.
١١- فعْلة «سبَحْلة في مرتين. ١٢- فاعولَ « قاموسَ في مرتين.

وأعتقدَ أن سَبب قلة أو ندرة هذه الأوزان في العبارة الإتباعية يرجع إلى ثقل هذه الأوزان، فأكثرها جاء في ثلاثة مقاطع من النوع الأول أو الثالث أو الرابع أو الثاني؛ لذا تجنبوها وذهبوا لأوزان أخف حتى ولو جاءت الكلمة في ثلاثة مقاطع من النوع الأول، وهو التركيب الذي أشرت إليه من قبل أنه يأتي بكثرة.

ثالثًا: التحول في الوزن أو في الصوت

نناقش هنا قضية هامة، هي: هل وزن ا لكلمة الأولى يُؤثر على وزن الكلمة الثانية فيغيره؟، وهنا ينتصر الصوت على الوزن؛ فتتحول الكلمة وتعدل وزنها حتى يتحقق الانسجام الصوتي؟، أم هل يحدث العكس ويطغى وزن الكلمة على قضية الانسجام الصوتي بين الكلمتين فتأتي الكلمة على وزنها الأصلي دون تغيير؛ مما يؤدي إلى خلل في الانسجام الصوتي بين الكلمتين، وهنا ينتصر الوزن على الصوت؟ والحقيقة أنه حدث هذا وذاك.

أ- غلبة الوزن على الصوت:

قد حدث هذا في عبارات اتباعية كثيرة منها:

١- (ولا أفعله سَجِيْس عُجَيْس)[١]، وكان من المفروض أن يكون الحرف الأول من (عُجيس) مَفتوحًا كما في (سَجِيْس)، والثاني مكسورًا، ولكن ما حدث غير ذلك حيث اختلفا (الأول والثاني) فَي الكلمتين، ولكن الانسجام الصوتي تحقق هنا من خلال الجزء الأخير من الكلمتين (يْس، يْس) فقط.

٢- (وتَعِس وانْتَكَسَ)[٢]، وهنا تكرر ما حدث في العبارة السابقة، وتحقق الانسجام الصَوتي من خلال الجزء الأخير وهو (سَ، سَ).

٣- (ما سَمِعتُ له حسًّا ولا جِرْسًا)[٣] اختلف وزن حس عن جرس وتحقق الانسجام الصوتَي من خلَال الجزءَ الأخير (سًّا وسا).

وما سبق هو بعض من الأمثلة على هذه الحالة.

ب- غلبة الصوت على الوزن:

حيث تُعَدَّل الكلمة من بنائها حتى تتوافق مع الكلمة الثانية، فيحدثا معًا انسجامًاصوتيًّا كما في:

١- يقال: (لادريت ولا أليت) مقصورٌ أوله، ولا يقال: لا ائتليت، الائتلاء: التقصير[٤] وفي الإتباع والمزاوجة (يقولون: لا دريت ولا تليت) إتباع[٥]، وقد قال ابن بطال: الكلمة من بنات الواو، وتكلم بها ليزدوج الكلام[٦]، وقال السيوطي: الأصل تلوت؛ لأنه من التلاوة وقال المفضل: قلبوا الواو للازدواج)[٧]، كل هذا يوضح أن بنية الكلمة قد تغيرت بتأثير العامل الصوتي، وتحولت من تلوت إلى تليت للمناسبة الصوتية؛ مما يشير إلى غلبة الصوت على البنية الصرفية للكلمة.

٢- (يقولون هَنَّاني الطعام ومَراني، وإذا لم يقولوا: هناني، قالوا: أمرأني، يقول محقق الكتاب عن أمرأني: «أراد إذا أفردوا (أمرأني) من (هناني) حققوا الهمزة

(١) الإتباع والمزاوجة، ٨٤.
(٢) المرجع السابق، ٨٣.
(٣) المرجع السابق، ٨٢.
(٤) الإتباع، ١٠.
(٥) الإتباع والمزاوجة، ١٣١.
(٦) شرح البخاري للكرماني، ١١٨/٧.
(٧) الفاخر في الأمثال، ٣٨.

فيه)[1]، وهذا التسهيل للهمزة حدث في الكلمتين كما حذفوا الهمزة من أول أمرأني لتصبح مراني ليتم الانسجام الصوتي بين الكلمتين هناني ومراني، فهنا أيضًا تم التغيير في الوزن ليتم الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع.

٣- ما ورد في الحديث (ارجعن مأزورات غير مأجورات) وصحة اللغة أن يقال (موزورات)، ولكنه لجمال التعبير وموسيقاه أتبع (مأزورات)، وهو الحرف الأول للحرف الثاني (مأجورات)[2]، فأصبح موزورات مأزورات كمأجورات.

٤- (حرّة تحت قرَّة)[3]، القيرة: الرعد، الأصل في القوّة (القُر) بضم أوله وكسره للازدواج، وحكى فيه ابن قتيبة التثليث، فقد تحولَت الضمة إلى كسرة، مراعاة لوزن حِرَّة الكلمة الأولى في الإتباع، والتي يجب أن تساويها في الوزن.

***

(١) الإتباع والمزاوجة، **١٣١**.

(٢) نقلاً عن مقدمة الإتباع لأبي الطيب، **١٠**.

(٣) الإتباع والمزاوجة، **٧٤**.

الفصل الرابع
الإتباع وتركيب الجمل النحوية

ظاهرة الإتباع تقوم على إحداث انسجام صوتي بين كلمتين، هما: كلمتا الإتباع في عبارة صحيحة لغويًّا ذات بناء تركيبي صحيح؛ ولهذا فإن العبارات الإتباعية تقع بين التزامين، التزام بصحة التركيب اللغوي، والتزام بإحداث الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع، ويتحقق بالالتزام الأول دلالة صحيحة للعبارة، ويتحقق بالالتزام الثاني المتعة النفسية للمتكلم بالتعبير عن رأيه في شكل إيقاع منظم، والتعبير عن انفعاله الشخصي تجاه موقف ما بصورة منغمة.

يعد تحقيق الانسجام أو التناسب الصوتي في العبارة الاتباعية هدفًا في ذاته؛ لذا فاللغة تضحي بقضايا تركيبية كالعلامة الصوتية (الإعراب)؛ فتبدلها بعلامة أخرى حتى يتحقق لها هذا الهدف، يقول د. أحمد كشك: «لقد أضحى المظهر الصوتي عاملاً يأخذ سمة المفاضلة، حين تتعارض معه العناصر اللغوية الأخرى، فكم من قانون صوتي ضحت اللغة بقوانينها النحوية من أجله.

وحين تحرص اللغة على التناسب الصوتي، فإنها تضحي بقضايا لغوية أخرى، فقد ضحت بقيمة التبعية الإعرابية في النعت، فيما سمي الجر بالمجاورة في قولهم: هذا جحر ضب حرب، وهذا ماء سن بارد، بجر كلمتي خرب وبارد، وهما تابعتان لكلمتي جحر وماء المرفوعتين خبرًا[1].

إن دراسة تركيب العبارات الاتباعية أضحتْ ضرورة لفهم تأثير الظاهرة الصوتية على تركيب العبارة الاتباعية، حيث تغير في تركيب العبارة، حتى يحدث الانسجام الصوتي بين أجزاء التركيب متمثلاً في كلمتي الإتباع، وتأتي هذه العبارات في أنماط تركيبية مختلفة؛ لذا سيكون المحور الأول للدراسة التركيبية لعبارات الإتباع هو إحصاء هذه الأنماط التركيبية، ومعرفة ما شاع منها وما قل أو ندر، وهذه المعالجة لأنماط التركيب في العبارات الإتباعية يخالف ما ظهر من حديث عن الأنماط نفسها في باب الدراسة الصوتية.

والمحور الثاني للدراسة التركيبية هو معرفة التراكيب التي تغيرت في شكلها الفصيح لتحقق الانسجام الصوتي، وهي الأنماط التي ضحت بها اللغة من أجل

---

(١) من وظائف الصوت اللغوي، ١٥، ١٦.

الإتباع، والمحور الأخير هو الأنماط التي لم تضحِ اللغة فيها بالقاعدة، بل بالانسجام الصوتي.

القسم الأول: أنماط تركيبية للجمل في الإتباع

سنبين أنماط التركيب المختلفة، ونكتفي بذكر كل نمط مع عبارة تدل عليه.

أولًا: الجملة الاسمية

أ- الجملة الاسمية مختزلة المبتدأ، ويتكون من:

مبتدأ (محذوف) + خبر أول + خبر ثان.

محذوف + ساغب + لاغب.

ب- الجملة الاسمية التامة، وتتكون من:

مبتدأ + خبر أول + خبر ثان.

رجل + خائب + لائب، ومثله: هو + عزيز + مزيز.

ج- الجملة الاسمية خبرها شبه جملة، وتتكون من:

مبتدأ + خبر (شبه جملة) + و + معطوف على المجرور.

ذاك + من سوسه + و + توسه.

الاختلاف بين هذه الجمل هو وجود حرف العطف في الجملة الثالثة؛ وذلك لحاجة الجملة تركيبياً إلى العاطف (الواو)، ولا تصح بدونه، وهنا تفرض قواعد التركيب نفسها على الجملة – كما سترى أيضًا فيما بعد –، كما نرى أن كلمتي الإتباع في نهاية كل هذه الجمل مع اختلاف في الإعراب، حيث كانت خبرًا في الجملتين الأولى والثانية، وفي الثالثة مجرورة عطفًا على الكلمة الأولى.

ثانياً: الجملة الفعلية

أ- الجملة الفعلية المزدوجة:

ونعني بها الجملة الفعلية التي تحتوي على فعلين يتم تحقيق الانسجام من خلالهما: نحو أربَّ فلان وألبَّ، وهي تتكون من:

أ- الفعل الأول + الفاعل + الواو + الفعل الثاني + فاعل مستتر جوازًا

أمشى + فلان + و + أفشى.

ب- تكرار الفاعل بالعطف، ويتكون من:

فعل + فاعل + و + المعطوف على الفاعل.

كثرت + هساسه + و + وساوسه.

ج- تكرار المكملات بالعطف، ويتكون من:

١- فعل + حرف جر + مجرور + و + معطوف على المجرور.

رجع + إلى + حنجه + و + بنجه.

٢- فعل + حال + حال.

جاء + مُسْتَغْمِدًا + مُستميدًا.

٣- فعل + فاعل + مفعوَل + و + معَطوف على المفعول.

سمعتُ + للحمار + شخيرًا + و + نخيرًا.

نلاحظ في المجموعة (ب)، (ج) تحقق الانسجام الصوتي في آخر الجملة عكس المجموعة (أ)، حيث يتحقق بالتماثل الصوتي بين أول الجملة وآخرها.

د- تكرار الفعل:

نرى تكرارًا للفعل، ولكن ليس باللفظ نفسه، فالتناغم والتجانس سيتم من خلال هذا التكرار، وحذف الفاعل، ويعطف الفعل الثاني على الأول بحرف عطف، وهنا لا يمكن الاستغناء عن العاطف بين كلمتي الإتباع؛ لأن كلاً منهما يمثل جملة جديدة، على عكس الجملة التي يتم التماثل الصوتي فيها من خلال الحال فلا تحتاج لعاطف، حيث الحال عندما يتعدد لا يحتاج إلى عاطف، وتتكون هذه الجملة من:

الفعل + و + الفعل الثاني

هاسه + و + باسه ، ومثله: تعس + و + انتكس

القسم الثاني: أنماط تركيبية غير الموجودة في عبارة الإتباع

إذا كنا قد عرضنا لنماذج الجملة الاسمية والفعلية التي وردت فيها عبارات الإتباع فمن نافلة القول أن نعرض للأنماط التركيبية الاسمية والفعلية التي لم تأت عبارات الإتباع، فمنها:

١- التقديم والتأخير:

حيث نلاحظ عدم وجود جمل اسمية أو فعلية تقدم فيها الخبر على المبتدأ أو تقدم المفعول على الفعل، وكذلك عدم تقدم المفعول على الفاعل.

٢- عدم إحداث الانسجام الصوتي بالمبتدأ، بل بالخبر؛ لأنه يأتي متأخرًا فيحدث الانسجام الصوتي في نهاية العبارة بتكرار الخبر (رجل ساغب لاغب)، ولا يتقدم الخبر في هذه العبارات أبدًا إلا في حالة النفي نحو: (ما له دار ولا عقار)،

وهنا يكرر المبتدأ عن طريق العطف على المبتدأ، كما في هذا المثال (ما له سَهَد وَعَبد)، وقد جاءت هذه العبارة الوحيدة في كتاب الإتباع لأبي الطيب وهي (له الويل والأكيل)[1] حيث قُدم الخبر، وأحدث الانسجام الصوتي بالعطف على المبتدأ، وأخرى عند ابن فارس هي (فيه لكاعة ووكاعة)[2].

٣- عدم تقدم المفعول به على الفعل والفاعل، وعلى هذا لا نجد تركيبًا مثل: إياك نعبد وإياك نستعين؛ لأن هذا التركيب لن يحقق هذا الانسجام الصوتي المطلوب رغم وجود أنماط أخرى من التركيب التي يأتي فيها المفعول متأخرًا عن الفعل والفاعل؛ فيحدث نغمًا صوتيًّا؛ لان التنغيم يتم في آخر الجملة، وليس في أولها؛ ولهذا لا يحدث مثل هذا التقديم.

القسم الثالث: أنماط أخرى لجمل الإتباع

١. الجملة المنسوخة:

الجملة المنسوخة، وهي الجملة التي سبقت بحرف ناسخ أو بفعل ناسخ، وهذه الجمل الإتباعية لم ترد فيها إلا حالة واحدة، وهي الجملة المنسوخة بإن دون حروف النسخ والأفعال الناسخة الأخرى، وتأتي في التركيب على هذا الشكل:

إن + ضمير الشأن (اسمها) + لام التوكيد (المزحلقة) + خبر أول + خبر ثان

إنه لحقير نقير، ومثله: إنه لحائر بائر.

وينتج عن هذا التركيب الانسجام الصوتي في نهاية التركيب من تكرار خبر إن؛ ولهذا لا نجد نمطًا آخر للجمل المنسوخة؛ لأنه لا يتحقق هذا الانسجام الصوتي إلا في هذا الشكل الذي تجتمع فيه الكلمتان (خبر أول - خبر ثان) هما كلمتا الإتباع والانسجام الصوتي، ونجد جملة وحيدة منفية منسوخة بـ (زال) هي:

(وما زال يفعله مُذ شَبَّ إلى أن دَبَّ)[3].

والجملة المنسوخة (بإن) نجد أنها مؤكدة بشيئين هما: إن واللام، وهذا يناسب طبيعة الجملة الإتباعية، حيث يهدف المتكلم بهذه العبارة إلى تأكيد فكرته فيستخدم هذه الوسائل لتوكيدها.

والملاحظة الأخيرة في الجملة المنسوخة أن كلمتي الإتباع ليس بينهما عاطف،

(١) الإتباع، ٨.

(٢) الإتباع والمزاوجة، ٩٨.

(٣) الإتباع والمزاوجة، ٤٧.

أي: بدون واو نحو: إنه لغض بض – إنه لشحيح بحيح، وهكذا.

وهذا من طبيعة التركيب النحوي لهذه الجملة، فتكرار الخبر أو الحال لا يحتاج إلى عاطف، وهو يؤكد أن عدم وجود العاطف هنا نظرًا للطبيعة التركيبية للعبارة – وليس كما ذكر القدماء – من أنه شرط من شروط الجملة الاتباعية عدم وجود العاطف؛ مما يجعلها أدخل في الإتباع من غيرها.

٢.الجملة المنفية :

الجملة المنفية في العبارات الإتباعية تأخذ نمطًا محددًا دون غيرها، حيث تختار من التراكيب المنفية ما يتناسب مع طبيعة هذه العبارات ليتحقق لها ما تصبوا إليه، وهو حدوث الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع، وقد تحقق لها هذا الأمر من خلال اختيار أداتين للنفي دون غيرهما من أدوات النفي، حيث تُنفى العبارة الإتباعية بـ (ما، لا)، ولا توجد عبارة اتباعية منفية بغير هاتين الأداتين.

أولًا: النفي بـ (لا).

تدخل (لا) على الجملة الاسمية، والفعلية، ولكل جملة نمط تركيب خاص.

١- الجملة الاسمية:

الجملة الاسمية تدخل عليها لا النافية للجنس، ويأتي في هذا الشكل:

لا + اسمها + و + لا + اسمها.

لا شوب ولا روب

ويأتي على هذا النمط أمثلة كثيرة نحو: لا شيب ولا عيب – لا حساب ولا مساس – لا محيص ولا مفيص – لا رائحة ولا سارحة.

٢- الجملة الفعلية:

وتأتي (لا) الداخلة على الجملة الفعلية في أشكال كثيرة ساعية إلى تحقيق التنوع الصوتي بكل هذه الأشكال التركيبية المختلفة منها:

أ- لا + الفعل + الفاعل + و + لا + معطوف على الفاعل نحو: لا تذهبن بك حجحجة ولا لجلجة، ونلاحظ هنا أن الانسجام الصوتي يتحقق من خلال تكرار الفاعل بالعطف، حيث يعطف على الفاعل.

ب- لا + الفعل + و + لا + الفعل

نحو:

١. لا دريت ولا تليت. ٢. ركية لا تنكش ولا تنتش.
٣. لا يُدالس ولا يوالس. ٤. لا يجدي ولا يمدي لا أفلح ولا أنجح.
٥. فلان لا يغير ولا يمير .

ونلاحظ هنا أن الانسجام الصوتي تحقق من تكرار الفعل في كل هذه العبارات، حيث نرى فعلين متماثلين صوتيًّا.

ج- لا + أفعله + ما + فعل + فاعل + و + معطوف على الفاعل

لا أفعله ما اختلفت السمر والقمر، ومثله: لا أفعله ما اختلفت الدرة والجرة.

نلاحظ هنا أن الانسجام الصوتي يتحقق بتكرار الفاعل في جملة طويلة وبدون تكرار (لا) كما في الأمثلة السابقة.

الاختلاف الإعرابي وغلبة الإعراب:

يحدث انسجام صوتي بين كلمتي الإتباع نتيجة اتفاق الكلمتين، كما في:

١- الوزن: أي التماثل الصوتي بين الكلمتين في الحركات والسكنات.

٢- الإعراب: حيث تتفقان في الإعراب بالرفع أو النصب أو الجر نتيجة اتفاقهما في الحالة الإعرابية من تكرار الخبر أو المفعول أو غيرهما، أو بالعطف على الكلمة الأولى التي هي فاعل أو مفعول أو غيرهما، وهذه مظاهر الانسجام الصوتي بين الكلمتين، ولكن قد يحدث اختلاف بين الكلمتين بسبب الإعراب، حيث تأتي الكلمة الأولى مرفوعة أو منصوبة والثانية مغايرة لها، نحو: (لا يعرف القطاة من اللطاة)[١] ما يعرف الخذروف من القُذْروف[٢].

وهنا استخدم (ما) مكان (لا) ولا فرق بينهما في التركيب النحوي (ما يعرف القاموس من الناموس)[٣] ومثلها:

١- ما يعرف هرًا من برًا. ٢- ما يعرف الخذروف من القذروف.
٣- الإيناسُ قبل الإبساس. ٤- ذهبت البليلة بالمليلة.
٥- عدل غير جدل.

وفي هذه الحالة إما أن تأتي الكلمة الثانية خاضعة للقاعدة النحوية كما في هذه الأمثلة، أو تخضع لما يجاورها، وهو كلمة الإتباع الأولى، حيث تتبعها في الإعراب

---

(١) الإتباع والمزاوجة، ١٢٥.

(٢) الإتباع والمزاوجة، ١٠٥.

(٣) المرجع السابق، ٨٢.

للتماثل الصوتي فيتحقق الانسجام الصوتي على حساب القاعدة النحوية، كما يقول د. أحمد كشك: «حين تحرص اللغة على التناسب الصوتي، فإنها تضحي بقضايا لغوية أخرى، فقد ضحت بقيمة التبعية الإعرابية في النعت، فيما سُمي الجر بالمجاورة في قولهم: هذا جحر ضب خرب، وهذا ماء شن بارد، بجر كلمتي خرب وبارد، وهما تابعتان لكلمتي جحر وماء المرفوعتين خبرًا...[1]».

ثانياً: النفي بـ (ما).

تدخل (ما) على الجملة الاسمية والجملة الفعلية، ولكل منهما تركيبها الخاص.

١- الجملة الاسمية:

وتأتي الجملة الاسمية مسبوقة بها، ويكون الخبر مقدمًا دائمًا وهو يكون: إما ظرفًا أو جارًا ومجرورًا نحو:

أ- ماله حلوبة ولا ركوبة – ما له هارب ولا قارب.

ما + جار ومجرور + المبتدأ المؤخر + و + لا + معطوف على المبتدأ.

ب- ما عنده شوب ولا روب – ما عنده ندى ولا سدى.

ما + ظرف + المبتدأ المؤخر + و + لا + معطوف على المبتدأ.

ج- ما زيدُ إلا خبرٌ أو لبزٌ.

ما + المبتدأ + إلا الملغاة + الخبر + أو + معطوف على الخبر.

د- ما هو بخل ولا خمر.

ما + المبتدأ + جار ومجرور (خبر) + و + لا + معطوف على المجرور

ما هو لك بأسيف ولا عسيف.

هـ- ما أقبحه وأشقحه – ما أعياه وأشياه.

ما (التعجبية) مبتدأ + فعل + و + فعل معطوف على الفعل الأول.

٢- الجملة الفعلية:

وتدخل (ما) على الجملة الفعلية، ويأتي في صور منها:

أ – أن يتكون من: ما + فعل + المفعول + و + لا + معطوف على المفعول.

١. ما ذقت علوسًا ولا بلوسًا. ٢. ما أعطاه حبرًا ولا تبرًا.

٣. ما ذاق شماجًا ولا لماجًا. ٤. ما سمعت له حسًا ولا جرسًا.

٥. ما يألون فلانُ خرشًا ولا مرشًا. ٦. ما يعرف هرًا ولا برًا.

(١) من وظائف الصوت اللغوي، ١٦.

ب – أن يتكون من: ما + الفعل + المفعول + إلا + الفاعل + و + معطوف على الفاعل، نحو: ما حثه إلا الصقر والبقر.

ج – أن يتكون من: ما + الفعل + أين + فعل + و + فعل.

ما أدري أين سقع وبقع، ومثله: ما أدري ما يحاول أو يزاول.

د – أن يتكون من: ما + الفعل + فاعل + مفعول + تمييز + و + لا + معطوف على التمييز، نحو: ما رزأْتُه قبالًا ولا زبالًا.

هـ – أن يتكون من: ما + الفعل + الفاعل + جار ومجرور + و + معطوف على المجرور، نحو: ما يخفى هذا على الهيدان والريدان.

من هذه الأنماط نجد أن الانسجام الصوتي في الجملة الاسمية المنفية إما أن يكون بتكرار المبتدأ، أو الخبر، أو جملة الخبر، أمَّا في الجملة الفعلية فيأتي الانسجام الصوتي نتيجة تكرار المفعول به، أو الفاعل، أو الجار والمجرور.

ما يوجد من أنماط النفي الأخرى:

لا يوجد في هذه العبارات النفي بليس، ولا يكون ولا لم، وهذا يعني أن هذه العبارات تأخذ نمطًا محددًا دون غيره للنفي، وهو ما ذكرته آنفًا فيما يخص نفي الجملة الفعلية والاسمية.

غلبة الانسجام الصوتي على القاعدة النحوية:

كما ذكرنا فيما سبق أنه قد يحدث اختلاف بين القاعدة النحوية والتناسب الصوتي في كلمتي الإتباع، وقد تغلب القاعدة النحوية، كما رأينا في أمثلة الإتباع السابقة، وقد يغلب الانسجام الصوتي على القاعدة النحوية، ولكن ليس في عبارات الإتباع، وقد وجدناها في الأمثلة النحوية فقط، وما استشهد بها النحاة بأمثلة من القرآن والحديث والشعر، لكن نادرًا ما يكون من أمثلة الإتباع.

نحو: هذا جُحْرُ ضب خرب، ونلاحظ هنا أن التناسب الصوتي قد أدى إلى جر المرفوع، لكنه ليس في جملة إتباعٍ رغم التناسب الصوتي بين ضبّ خَرب.

وأمثلة أخرى مثل: (والشفع والوتر والليل إذا يسر)، حيث جزم يسري لتناسب صوتيًّا كلمة الوتر، وهذا يعني أن الانسجام الصوتي يسعى إليه المتكلم في كلامه العادي، وفي أمثاله وعباراته، وكذلك جاء على هذه الصورة الصوتية المتناسقة في القرآن الكريم كما في صرف الاسم الممنوع من الصرف نحو

(سلاسلاً، وأغلالًا[1]) وغيرها.

والنماذج التي تؤكد التضحية بقيم لغوية للحفاظ على قيمة صوتية كثيرة، وهي تؤكد بوضوح لا يرقى إليه شك أن الأساس الصوتي حاكم يمكن الاعتماد عليه في توضيح قضايا لغتنا مهما كان فرعها[2]. لكن على مستوى العبارات الإتباعية لا يوجد خروج على القاعدة النحوية في سبيل تحقيق الانسجام الصوتي.

***

(1) الإنسان، ٤.

(2) من وظائف الصوت اللغوي، ١٧.

الباب الثاني

المعالجة العصبية للعبارة الإتباعية

الإتباع عبارة لغوية تصدر نتيجة انفعال ما يعيشه الفرد في اللحظة الآنية؛ فينطلق بهذه العبارة التي تصور انفعاله وتعبر عنه، ويشترك معه في هذه الحالة الانفعالية المتلقي كمستمع له (اتفقا أو اختلفا معًا في الرأي)، إنها عبارة تحمل دلالة ما في صورة تميزها عن العبارات الأخرى، إنها تخرج في صورة صوتية منغمة منسجمة صوتيًّا تعبر عن رأي المتكلم، وتفرغ ما بداخله من شحنة انفعالية؛ مما يحقق ارتياحًا نفسيًّا له ولسامعه (لو اتفقا معًا في الرأي).

وقد تطورت العلوم المعرفية لتدخل في أغوار عبارة الإتباع بالتحليل والدراسة؛ لذا ارتبطت العبارة الاتباعية بمجموعة من العلوم المعرفية تدرسها وتفهم طبيعتها؛ مما كشف اللثام عن العبارة الإتباعية بصورة أكبر، وكان لها الدور في فهمها بعمق أكبر، كعلم النفس وعلم الأعصاب؛ مما استوجب إعادة دراسة الإتباع في ضوء العلوم المعرفية، فكل علم يلقي الضوء على جانب منها.

لذا سنعيد دراستها في هذه الفصول.

الفصل الأول: معالجة ما قبل اللغة:انتباه. وعي. ما قبل الوعي. ذاكرة. نسيان.

الفصل الثاني: معالجة الدماغ لعناصر اللغة.

***

الفصل الأول
معالجة ما قبل اللغة
(الانتباه. الوعي. ما قبل الوعي. الذاكرة. النسيان)

عناصر خفية تصنع العبارة الإتباعية:

هناك عناصر غير منظورة تصنع العبارة الإتباعية، وتتمثل في جوانب لغوية، مثل: الصوت والدلالة، وفي جوانب غير لغوية، منها: عناصر نفسية (كالانفعال والنزوع بالميل لفعل أو قول يصور الواقع وربما يغيره)، وعناصر عصبية تحدث بين خلايا المخ من إثارة وكبح تلبية للحدث الآني وتفاعلاً من أحداث البيئة والمجتمع، لكن كيف يبدأ تفاعلنا مع العبارة الإتباعية لصنعها؟،

إن الأمر يبدأ بعمليات عقلية تسبق النطق بالعبارة تسمى: (معالجة ما قبل اللغة)، أي: مرحلة إعداد الذهن للنطق بالعبارة، إنها مرحلة تمهيدية يعد فيها الذهن نفسه (نفسيًّاوعصبيًّا) للنطق بالعبارة أو تلقيها، ومنها: الانتباه لما يحدث حوله فينفعل به، إنها عملية الإدراك للحدث ثم التفاعل معه، ثم تبدأ عملية ما قبل الوعي التي تحدث داخل الدماغ قبل أن ينطق المتكلم، إنها عملية إعداد الفرد نفسيًّا وعصبياً للنطق بالعبارة، واستحضاره لها من الذاكرة والنطق بها.

إنها عملية تتم في الدماغ في سرعة البرق؛ مما يجعلنا لا ندرك تفاصيلها، إلا إذا حدث خطأ ما في مرحلة من مراحلها هنا نسأل عن السبب، ونتمهل في دراستها بتفصيل أكبر؛ لأننا أدركنا أن مشكلة ما حدثت داخل مخنا أدت إلى فشلنا في استحضار أو صناعة العبارة، إنها مرحلة حاسمة في صناعة العبارة؛ لذا يجب أن نعرض للعمليات التي تسبق النطق بالعبارة؛ وذلك بغرض الوقوف على ما خلفها من عمليات (ما وراء الكواليس) قبل النطق بهذه العبارة الإتباعية.

أولًا: الانتباه

لكي ندرك ما حولنا لابد من وجود مثير/ منبه يلفت انتباهنا نحوه، فندرك أحداث البيئة المحيطة بنا، إننا نتفاعل معها ونستجيب لها، فطبيعة جهاز الإدراك الاستجابة للمنبه؛ لذا كان في القشرة المخية منطقة حسية ومنطقة حركية تختص الأولى بإدراك كل حركة حسية تحدث في بيئتنا، وتختص الثانية برصد كل حركة تحدث وتأمر أعضاء الحركة، إن القشرة المخية أساس حركة الأعضاء الحسية؛ لذا

تتم عملية الانتباه بآلية معينة نتيجة تفاعل مراكز المخ مع الحدث الخارجي؛ مما يجعلنا نتجه ناحية هذا الشيء وننتبه له دون سواه؛ فالانتباه أول مراحل معالجة المعلومة اللغوية وغير اللغوية لنتفاعل معها، واللغة أهم ما يثير انتباهنا نحو ما نسمعه حولنا؛ فننطلق بالتعبير عنه في عبارة إتباعية تصوره.

ثانيًا: الوعي

هو إدراك لما نفعل ونقول ونسمع وما يحدث حولنا، نتيجة خبرتنا السابقة، فتتم داخلنا عملية ذهنية ندرك بها الأشياء ونعيها؛ فخلف الإدراك والوعي عمليات ذهنية يتم بها فهم كلامنا وإعدادنا لما سنقول، إن الإدراك هو ما نبصر به أمور حياتنا في ظل وعي، وربما دون وعي، إذن هناك عمليات عقلية تتم داخلنا قبل إدراكنا لما نفعل أو نقول، فهي عمليات تفكير واعية تتم داخلنا وإن لم ندركها تجعلنا ننطق بالعبارة الإتباع، وكذا كلامنا اليومي ونقوم بكل أفعالنا.

ثالثًا: ما قبل الوعي

عمليات ما قبل الوعي:

"إنها مرحلة تفكير تحدث داخلنا قبل أن ننطق بالكلمة التي نفكر فيها أو نريد أن نعبر بها عن ذلك، إنها عملية تحدث داخلنا، ولكن ليس بإشراف من وعينا الشعوري، بل بعيدًا عنه ... تتضمن معلومات ما قبل الوعي الذكريات المخزنة التي لا نستخدمها في وقت معين، لكن بإمكاننا الوصول إليها حين نحتاج لها"[1].

إن إنتاجنا للغة يتم في إطار عملية معالجة دماغية تسبق كلامنا، تتم بوعي ما نقول في أغلب الأحيان أو دون وعي في أحيان أخرى، إنها عملية التهيئة اللغوية، حيث نستدعي فيها من الذاكرة المخزن فيها ألفاظ وعبارات وأشياء لا نحتاجها الآن، لكن عند الحاجة لها نجد الذاكرة تمدنا بها على الفور، فتحدث معالجة داخلنا تحدد لنا ما نطق به وما ندعه، وهذا حالنا عند النطق بالعبارة الإتباعية التي خزناها في ذاكرتنا ثم نستدعيها عند الحاجة.

ومن هنا نقول: إن عملية استشهاد المتكلم بعبارة الإتباع تسبقها عملية إعداد واستحضار واختيار لها من الذاكرة تسمى **(ما قبل الوعي).**

(١) المعالجة العصبية للغة:٢٠٨

١. التهيئة اللغوية:

"إنها مرحلة تدخل في إطار ما قبل الوعي، يعدُّ فيها الشخص ذهنه لما سيقول بآلية ذهنية واعية أو ربما غير واعية فيخرج كلامه في صورة منضبطة تحت إشراف محددات تسمى قيود القول، تحد من انطلاقه وتحدد له ما يقول وما يدع، فالتهيئة اللغوية هي إعداد الذهن لإصدار اللغة عن وعي تام بما سيقوله، إنها عملية إعداد الذهن وتهيئته للنطق باللغة، والتهيئة بشكل عام ترتبط بالاستعداد النفسي والعصبي تحدث داخلنا بعون من لغتنا، تمكننا من فعل هذا كله؛ فيظهر تأثيرها في بنيتنا النفسية والعصبية "[١].

تتمثل التهيئة اللغوية في العبارة الإتباعية في استحضار العبارة التي خزناها في ذاكرتنا، ثم نختار منها ما يناسب الموقف الآني؛ فينطلق بها لسان المتكلم؛ فيجد صداها لدى السامع الذي يوافقه في اختياره ويشاركه الرأي فيها ويأيده، فاستحسان السامع لعبارة المتكلم الإتباعية موافقة ضمنية لقول المتكلم ورأيه؛ لأن عبارة المتكلم موجودة في ذاكرة السامع، لكن ربما يختلفان في الرأي فقط.

٢. التهيئة النفسية:

لكن هل سينطق المتكلم هذه العبارة دون تهيئة أخرى هي التهيئة النفسية؟، إن الوسط الاجتماعي والحالة النفسية للمتكلم والسامع تجعلهما على استعداد تام لتلقي هذه العبارة، فقد "ارتبط فهم معنى الكلمة بعناصر كثيرة في الدماغ بتهيئة الفرد وإعداده لإدراك معنى ما سيقوله، إنها عملية تتم من قبل وعيه الإدراكي للأشياء، تمكنه من فهم معناها، فلابد من حدوث تهيئة ذَهنية من قبل الوعي الإدراكي للكلمة التي سيقولها من خلال مؤثرات تدفعه لاختيار هذا المعنى دون سواه، هذا الأمر يبين مدى سيطرة العمليات التي تحدث في المخ قبل نطق الكلمة وفهمها، إنها تحدث فيما يسمى بـ (قبل الوعي)، إنها عملية تفكير تعدنا لاختيار معنى كلمة ما من بين معانيها للنطق بها"[٢].

هذا الأمر يحدث عند تفاعل المتكلم والسامع معًا في إطار العبارة الإتباعية؛ فالمتكلم تحدث له تهيئة نفسية للنطق بالعبارة الإتباعية نظرًا لوجوده في حالة انفعالية معينة يعيشها الآن، فهو مهيأ نفسيًّا لاختيار هذه العبارة التي تناسب موقفه

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢٠٩

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٢١٠

الآني؛ فيختار من ذاكرته عبارة مناسبة لهذا الموقف، والسامع يشاركه في هذه التهيئة النفسية؛ وذلك بموافقته أو مخالفته فيما يقول، "والتهيئة: إعداد مسبق لما يحدث داخلنا ثم يصدر عنا من قول أو فعل، يعد له في نفسية المتكلم قبل الكلام"[1]، ويتفاعل معه ويستجيب له السامع، فيقول له: حقًا أحسنت أو أخلافك في الرأي.

٣.أخطاء الوعي اللغوية: (أخطاء العبارة الإتباعية)

ماذا يحدث عندما يخطئ المتكلم في نطق العبارة الإتباعية أو اختيار العبارة الصحيحة والمناسبة للموقف الآني؟، وما أسباب ذلك؟، وماذا يفعل المتكلم في هذه الحالة؟، "عندما نخطئ في نطق كلمة أو في اختيار اللفظ المناسب للموقف الآني، نقول إنها زلة لسان ... إنها عبارة نقولها عندما نخطئ أو عندما نعجز عن تذكر كلمة ما فنقول: كانت على طرف لساني، ... إنها صعوبة في جلب المعلومة من مستوى ما قبل الوعي إلى مستوى الوعي الشعوري، حين تسعى إلى استرجاعها من مخزن الذاكرة، لكن لا يمكن استرجاعها منها بسهولة"[2].

إن صعوبة جلب الكلمة الصحيحة أو العبارة المناسبة ناتجة عن الضبابية في ذاكرة المتكلم تجعله يعجز عن جلبها من ذاكرته، يحدث هذا للمتكلم، فماذا يفعل؟، إن هذا الأمر تتدخل فيه ما قبل الوعي عند اختيار الكلمات واستحضارها من الذاكرة؛ مما يؤدي إلى زلة اللسان، إنها عملية عقلية الأصل فيها أن تتحكم فيها الدماغ بتحديدها الكلمة الصحيحة قبل النطق بها **(ما قبل الوعي)**.

٤.عوامل اختيار العبارة:

"هناك عوامل كثيرة تؤثر على اختيار الفرد للعبارة، منها: انشغال الدماغ بمعنى معين سابق يسيطر عليه في هذه اللحظة، ويوجه اختياره نحوه؛ لأن الدماغ منشغل به؛ فيتوجه الاختيار نحوه لأنه يفكر فيه الآن"[3]، وهذا الشيء الذي يشغل دماغه هو منبه يدفع المتكلم لاختيار هذه العبارة الإتباعية؛ "مما يدل على سيطرة المنبه الأول على التفكير الآني للدماغ لأنه حاضر فيه"[4] فهو يختار هذه العبارة لأن هناك أحداث تعد المنبه الأول والأساسي له، تدفع الدماغ لاختيار هذه العبارة، وهي

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢١٠

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٢١٢

(٣) المعالجة العصبية للغة: ٢١١

(٤) المعالجة العصبية للغة: ٢١١

حاضرة في دماغه لا ينفك عنها، وتسيطر على اختياره.

رابعًا: الإتباع وظاهرة التوقع

أ. تعريف التوقع:

ما التوقع؟، وما قيمته بالنسبة للعبارة الإتباعية؟، إن "التوقع من عمل السامع في ذهنه، وهي عملية تستدعي التناظر بين ما يجري في الذهن مركبًا وفي الذهن محللاً، وهو منتظم وفق المراحل التالية متتابعة / أو متزامنة:

١. سماع جزء من الكلام والبقية في طريقها لم تنطق بعد من المتكلم.

٢. فك الشفرة بأنواعها الصوتمية والصرفية واقترانها بمداليلها ومفاهيمها المناسبة عن طريق الإنشاط (معجم الهات).

٣. التأليف بين هذه المفاهيم يوفر إطار التوقع، أي: استباق المفهوم الذي تستدعيه المفاهيم المنشطة قبل أن يحصل شكله الصوتمي في جهاز التحليل.

٤. ثم نطق اللفظ المتوقع، وهو أمر قد يكون ناجحًا أو فاشلاً وفق درجات المطابقة بين اللفظ الوارد أو المراد وما اهتدى إليه السامع متوقعًا إياه، وجميع ذلك جار على غاية من السرعة وفي أمدية زمنية قد تقصر أو تطول تبعًا لنوع الخطاب ومجاله، ولمعرفة السامع بذلك المجال ولمهارته فيه"[(١)].

هذا الأمر يحدث في العبارة الإتباعية، وهو يخص المتلقي، ماذا يفعل عندما يسمع المتكلم ينطق بالكلمة الأولى من العبارة الإتباعية؟، إنه يستبقه وينطق بالكلمة الثانية، ويكمل عبارة المتكلم الإتباعية، لماذا؟؛ لأنه إما أن يكون:

١. قد عرفها وحفظها من قبل.

٢. استطاع أن يستنتجها من حواره مع المتكلم وأحداث الموقف الآني.

٣. على علم بأسلوب المتكلم وطريقة تفكيره والعبارات اتي تدور في ذهنه سلفًا.

ب. مهارة التوقع:

"كيف يمكن التوقع؟، هل يختلف الناس في هذا؟، التوقع في المطلق مهارة عرفانية تستبق بها الذات الذكية الشيء المتوقع قبل حدوثه أو تحققه، وهي مهارة تبني الممكن على الحاصل، والمفترض على مقدمة قد تتنوع طبائعها من مخزنات التجربة، والتوقع جزء من الحياة اليومية البسيطة بأدق مظاهرها"[(٢)].

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢٢١

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٢٢٢

إن ما يعين المتلقي في استباق المتكلم في عبارته الإتباعية "السياق والمقام والمعرفة بالكون والتجربة فلهما دور مركزي في التوقع، فمهارة التوقع جارية وفق خطاطات عرفانية تشتغل بصورة آلية على بناء خطاطة مكتملة بالاعتماد على التوافر من العناصر توافرًا جزئياًّ، فالتوقع عملية إكمال أو ملء للفراغ في بنية خطاطية يكون إنشاطها بفعل ما ورد من منبهات في الخطاب أو في التجربة، وكذا الأمر في الخطاب يكون التوقع محكومًا بالعادة الثقافية عند الفرد أو الجماعة عامة أو مجموعة منها مخصوصة؛ فالتوقع هنا جزءًا من الروتين الجماعي، فالتوقع ناجح في الروتيني الذي يشتغل اشتغالًا آليًّا (التعود والدربة والمتداول المتواتر)، وغير ناجح فيما عدا ذلك، وهذا يجعلنا نرى القول المنطوق مرآة لأشياء خفية يعرفها المتحدثان فقط "(١).

ج. الفرق بين التوقع في الخطب والتوقع في الإتباع:

"إن خلف التوقع عمليات عقلية معقدة؛ فالذي يسمع لخطيب الجمعة أو لخطبة النكاح أو لقصيدة ما يستحضر قول الخطيب قبل قوله في ديباجة معروفة محفوظة نسمعها كل يوم جمعة، وكذا خطبة النكاح وقصيدة الشاعر (من خلال الاهتداء بوزنها وقافيتها)، أما التوقع الذي نعنيه هنا هو التوقع الآني السريع المفاجئ أثناء الحديث، فنحن في هذه اللحظة وهذا الموقف لانفعالي أو ربما العادي لا ندري ما سيقوله محدثنا؛ لذا فالتوقع في هذه الحالة يعتمد على ذكاء المتلقي وخبرته بالمتكلم، إن التوقع هنا مهارة وإبداع عقلي من المتلقي "(٢).

إن ما يحدث في العبارة الإتباعية هو اختبار لمهارة المتلقي وذكائه في معرفة الكلمة الثانية، فينطلق بالنطق بالعبارة؛ لأنه لديه ذكاء وسرعة بديهة يعتمد فيها على معرفته بالمتكلم والموقف الانفعالي الذي هما فيه، فالمتلقي يمتلك خلاياه العصبية السريعة في استجلاب الكلمة الثانية من وصلاتها العصبية، وقدرة على المقابلة بين الكلمة الأولى وما خُزن في ذاكرته من عبارات إتباعية سابقة؛ فتدفع إليه بالكلمة الثانية قبل نطق المتكلم بها؛ لذا يتوقع السامع أن يقول المتكلم كذا أو كذا، بناءًا على ما يعرفه عن المتكلم من أشياء، وهذا الأمر يُظهر الآتي:

أولًا: دور الانفعال في تحديد الكلمة الثانية، ففي الغضب نختار كلمة غير الفرح.

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢٢٢

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٢٢٥

ثانيًا: دور التداولية في تحديد الكلمة الثانية، فتظهر معرفة المتلقي بالمتكلم تمامًا.
ثالثًا: ذكاء المتلقي في فهمه لآلية تفكير المتكلم وطريقته في كلام والانفعال.
رابعًا: قيمة التوقع في إتمام الحوار بين المتكلم والمتلقي وسرعة تفاعلهما معًا.
خامسًا: يظهر الفروق الفردية بين أمخاخ البشر التخزينية والاستدعاء والحفظ.

د. كيف تنجح عملية التوقع في دماغ المتلقي؟:

إن التوقع مهارة عقلية لدى المتلقي يقوم من خلالها باستباق المتكلم بإكمال عبارته الاتباعية، فهل يمكن ملاحظة ظاهرة التوقع في العبارة الإتباعية من خلال الحوار الدائر بين المتكلم والمستمع؟، نعم يمكن هذا من خلال ملاحظة:

١. استباق المتلقي كلام المتحدث بالكلمة الثانية في اللحظة الآنية دون تفكير منه.
٢. التفاوت بين أفراد المجتمع الواحد في سرعة إكمال العبارة وتذكرها فورًا.
٣. خطأ المتلقي وصوابه في إكمال العبارة يدل على محاولته توقع الكلمة الثانية.
٤. رفض المتلقي لعبارة المتكلم بعد إكمالها يدل على أنه كان يتوقع كلمة أخرى.

خامسًا: الذاكرة والإتباع

الذاكرة خزانة المعارف كلها وأهمها اللغة، "فلا يوجد متكلم دون أن تكون له ذاكرة بشكل عام، ولغوية بشكل خاص، ولا يوجد سامع دون ذاكرة تماثل ذاكرة المتكلم تقريبًا كي يتواصلا معًا في إطار لغة واحدة تجمعهما"(١).

إذن ما علاقة العبارة الإتباعية بالذاكرة؟، إنها علاقة وثيقة تنطلق من أن العبارة الإتباعية في أصلها عبارة لغوية، يتم استدعاؤها من دماغ المتكلم؛ مما يمكنه من التعبير عن انفعاله الآني في عبارة لغوية منطوقة، فالذاكرة مخزن يمد المتكلم بالعبارة الإتباعية المخزنة فيها، ولدى المتلقي ذاكرة مماثلة للمتكلم.

إن توقف المتكلم عند نطقه بالكلمة الثانية من عبارته الإتباعية التي ينطقها الآن يدل على توقف ذاكرته عن إكمال العبارة المطلوبة، هنا ندرك قيمة الذاكرة عندما يعجز المتكلم عن إكمال العبارة، و"يمكننا النظر إلى الذاكرة على أنها مجموعة عمليات تتم في الدماغ تبدأ بالانتباه للمعلومة ثم ترميزها وتخزينها واستعادتها منها، بعضها يخضع لإدراك الفرد ووعيه، وبعضها يتم دون وعي منه؛ مما يؤدي إلى

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢٢٩

اختلاف في استجابة الذاكرة للحدث، فما يتم بوعي تقوده مفاهيم صريحة قادمة من الذاكرة، وما يتم بغير وعي تقوده معطيات حسية متضمنة داخل هذه المعارف، نصل إليه في الذاكرة عبر معارف حسية ضمنية "(١).

إننا لا نشعر بالحاجة إلى الذاكرة إلا عندما نعجز على إكمال العبارة الإتباعية؛ "فالذاكرة تعرف بوصفها التمثيل الدائم للمعارف، الذي يتجلى بوضوح في الأفكار والخبرات والسلوك، ويحدث هذا عادة في ظل حدوث مجموعة كبيرة من الأنشطة المخية، ومشاركة العديد من مناطق المخ "(٢).

سادسًا: النسيان والإتباع

ما النسيان؟، إنه فقد/ ضعف القدرة على استرجاع المعلومات أو جزء مما سبق ترميزها والاحتفاظ بها في الذاكرة طويلة المدى، فإذا فقد الفرد القدرة على النطق بالعبارة الإتباعية فلم ينجح في استحضارها كاملة فإنه يعجز في هذه الحالة عن إكمال عبارته.

أ. الانفعال والنسيان:

ما سبب النسيان؟، إن "العوامل الانفعالية تؤدي دورًا كبيرًا في عملية النسيان ... إن الانفعال هو الوقود الذي يحرك الفرد تجاه الأشياء والأحداث؛ فيصبح أسيرًا لها، ثم تأتي لغته لتصور انفعاله، والانفعال يجعلنا لا نتذكر الأحداث ومسمياتها فحسب، بل يجعلنا ننسى أو ربما نتناسى عن عمد الأحداث والأسماء المرتبطة بها أحيانًا لأنها مخزنة".

إن العلاقة بين الانفعال والعبارة الإتباعية تفسر لماذا ننسي الكلمة الثانية في العبارة الإتباعية؟، فكلاهما مرتبط بالآخر؛ إننا عندما ننفعل بموقف؛ ومن ثم ننطلق لنعبر عنه بعبارة الإتباعية فإن انفعالنا يجعلنا نرتبك وننسى باقي العبارة، ونعجز عن إكمالها، فالانفعال يدفعنا إلى النسيان فننطق الكلمة الأولى؛ ونعجز عن تذكر الثانية نتيجة انفعالنا الشديد الذي نحيا فيه الآن.

ب. كيفية إكمال العبارة الإتباعية عند النسيان:

عندما ننسى كلمة ما أو عبارة فإننا "نحاول استحضارها بأن نبدأ بتحديد الحرف الأول من الكلمة كمحاولة لتذكرها، ثم استحضار الهيكل التناغمي

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢٣٠

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٢٣١

للكلمة الذي سيمكننا من استحضار كل مقاطعها، ليس كعدد من المقاطع فقط، بل كهيكل تناغمي يبين نوع المقاطع وعددها وترتيبها في الكلمة الأصلية، ونحاول استحضار هيكلها التناغمي من دماغنا، ثم نطابقه بالكلمة الأولى لنتذكر الثانية.

هنا تبدأ الكلمة في الوضوح، فنكرر هيكلها التناغمي على لساننا فتنشط شبكة المخ المخزن فيها هذه الكلمة فنستدعيها منها، فتقدح خلايا المخ شبكتها لتقدمها لنا في التو واللحظة في صورة هيكل تناغمي مطابق للكلمة الأولى، وتبقي ثغرات في هذا الهيكل تتمثل في عدم وضوح بعض الحروف داخل بعض المقاطع، فنقوم بمحاولة سد الثغرات التي في هيكل الكلمة بوضع حروف أقرب للحرف الصحيح لهذه الكلمة في مكانه داخل المقاطع التي أصبحت معروفة لنا الآن؛ فينطلق اللسان بالنطق بها فجأة، وكأنه كان في قيد أوعثرة وانفك منها"[١].

كلنا نمر بهذه المراحل عند تذكرنا لكلمة ما نسيناها، وهو ما يحدث لنا عند محلولتنا إكمالنا العبارة الإتباعية، وتكون غالباً الكلمة الثانية من العبارة هي التي نسيناها؛ فالمتكلم يبدأ العبارة الاتباعية دائمًا بالكلمة الأولى ثم الثانية، وقد يفشل في تذكرها، فماذا يفعل في حالة نسيانه للكلمة الثانية؟، إنه يحاول الوصول إليها مستهديًّا بالكلمة الأولى من خصائصها الصوتية وهيكلها التناغمي، فيظل يكرر الكلمة الأولى مع محاولة استدعاء وتذكر الكلمة الثانية، ويكون هيكل الكلمة الأولى حاضرًا في ذهنه يتكرر مع كل مرة يحاول أن يتذكر فيها الكلمة الثانية، فيحدث أن يأتي إلى ذاكرته (كأحد الاحتمالات) كلمة:

١. هي الكلمة الصحيحة بصورة صحيحة.

٢. مطابقة لها في الهيكل التناغمي (مقطع. حركة. بعض حروف) ومعناها.

٣. مطابقة لها في الهيكل التناغمي (مقطع. حركة. بعض حروف) دون معنى.

٤. مطابقة في الهيكل التناغمي (مقطع. حركة. بعض حروف) ومعناهما متنافر.

هذا الأمر يفسر لنا عدة أمور هي:

١. لما تأتي الكلمة الثانية في بعض عبارات الإتباع بلا معنى؟.

لأن المتكلم نسيها أو لأن الكلمة الثانية في أصل وضعها كانت بلا معنى.

٢. لما يطابق الهيكل التناغمي للكلمة الثانية هيكل الأولى رغم أنها بلا معنى؟

---

(١) المعالجة العصبية للغة:٢١٣

لأن المتكلم حريص على تطابق الكلمتين في الصوت دون النظر إلى معنى الكلمة الثانية، لقد كانت غاية المتكلم من عبارته الإتباعية إحداث انسجام صوتي، فكانت نتيجة ارتباط المتكلم بالانسجام الصوتي والتنغيم أنه نطق بالعبارة دون التأكد من معنى الكلمة الثانية، وربما دون التفكير فيه؛ فالتوافق الصوتي عنده قبل المعنى وقبل أي شيء آخر.

***

الفصل الثاني
معالجة الدماغ لعناصر اللغة

ظاهرة الإتباع تنطلق من دوافع نفسية عصبية وتظهر في قالب لغوي خاص يسمى (العبارة الإتباعية)، وتظهر عناصر العبارة اللغوية أثر هذه الدوافع عليها في صور أنماط لغوية مختلفة نتيجة حدوث تفاعل بين الظاهرة والدماغ؛ مما ينتج عنه صور وأنماط عديدة للعبارة الإتباعية يميزها عن أنواع عبارات اللغة المختلفة؛ لذا سندرس أثر تفاعل الدماغ مع كل عنصر من عناصر اللغة على حدة، لمعرفة خصائص هذا النوع من العبارات، وما تتميز به فيجعلنا نقول عند سماعها: هذه العبارة إتباعية، نظرًا لتميزها بخصائص لغوية وغير لغوية ودوافع نفسية وعصبية أوجدتها؛ لذا خصصنا مبحثًا لجانب الصوت وآخر لجانب الصرف وثالث لجانب الدلالة؛ نظرًا لظهور أثرهم على العبارة بوضوح.

المبحث الأول: المعالجة الصوتية للعبارة الإتباعية

العبارة الإتباعية عبارة لغوية منغمة تصدر في لحظة انفعالنا بشيء ما؛ فتخرج في صورة صوتية متميزة جذبت الدارسين نحوها قديمًا وحديثًا، فألفوا فيها كتبًا باسم (الإتباع والمزاوجة)؛ لذا لزم أن نعيد النظر لها من هذا الجانب أعني الجانب الصوتي، وليس بالتفسير والتحليل لتكوينها الصوتي فحسب، بل بالنظر بصورة أكبر وأعمق للجانب الصوتي، فنسأل عن آلية تكوينها الصوتي في الدماغ، كيف يصنعها المخ بهذه الصورة داخله قبل النطق بها (آلية: إبداع عبارة إتباعية، واستحضار عبارة مناسبة للموقف الآني من الذاكرة)، ودافعها النفسي والعصبي الذي أدى إلى إصدارها بهذه الصورة الصوتية المتميزة، كيف نجمع بين كلمات ذات أصوات مختلفة ودلالات متنافرة لصنع عبارة ذات تركيب صوتي منغم منسجم وإبداع دلالي جديد؟ إننا في حاجة لفهم الأسس العصبية والنفسية التي تجعل المتكلم ينفعل فيندفع لينطق بالعبارة الإتباعية أو يبدعها في التو واللحظة، إنها حقًا عملية إبداع في الحالتين **(إبداع واستدعاء)** للعبارة المناسبة للموقف الآني من الذاكرة.

لذا سنعرض للظاهرة في الحالتين من خلال النظريات الصوتية لنرى ما قلته حولها من آراء، لنتمكن من فهم العبارة الإتباعية بصورة أعمق من دراسة أصواتها لغويًا فقط.

القسم الأول: الإتباع وصيحة الانفعال الفطري

١. مقدمة:

عبارة الإتباع تفاعل نفسي عصبي، يشترك فيها الجهاز العصبي والنفسي للمتكلم والسامع، ولا يمكن فهمها إلا إذا عدنا إلى تاريخ الإنسان الأول وطبيعته البشرية في تفاعله وانفعاله مع الأحداث التي تجري حوله منذ وجوده على الأرض، كيف تواصل مع أخيه؟ لقد كانت الصيحات التي يصدرها عند انفعاله بشيء ما أو رؤية عدو ما هي أداة تواصله مع غيره، ثم طور الإنسان المعاصر هذه الوسيلة وحولها إلى جمل لغوية نحوية مفهومة (كما قال فندريس): "قد ارتبط الإنسان منذ بداية تكوينه بالبيئة التي يحيا فيها؛ فبدأ يتأثر بما يحدث حوله، ويستجيب مخه لهذه الإثارة، وعبر عنها في شكل صيحات استغاثة، فكان الصوت متمثلاً في صيحاته وسيلته للتعبير عن انفعاله، إذن الصوت وسيلتنا التواصلية الأولى "[١].

"ثم أدرك الإنسان الحديث قيمة الصوت ووظفته في التواصل والتفاعل مع مجتمعه وفي شؤون حياته، بعد ما انتهت مرحلة الصيحات الفطرية البدائية، والتي لم تزل بقايا منها في لغة الإنسان الحديث، فهي تظهر في حالة الانفعال كصيحة الفرح والحزن أو الحدث المباغت، فطور الإنسان الحديث من الصيحة الفطرية، وانتقل بها لمرحلة الإفادة من الصوت الذي يصدره، والذي يسمعه بتوظيفه وتحويله إلى لغة حديث وحوار "[٢].

إن الصيحة وسيلة الإنسان للتعبير عن انفعاله بشيء ما، والعبارة الإتباعية هي انفعال في حقيقتها، تصدر من الإنسان نتيجة انفعاله بشيء ما، فلو عشنا للحظة مع هذا الانفعال وتصورنا أنفسنا مكان الفرد المنفعل بموقف ما ولاحظنا سلوكه في هذه اللحظة الانفعالية عند إبداعه عبارة أو استحضارها من ذاكرته، وملامح وجهه وطريقة تعبيره فإن هذا قد يفُسر لنا هذا الحدث؛ فنعرف أن خلفه حالة انفعالية معينة جعلته ينطلق بهذه العبَارة الإتباعية المنغمة فهي في أصلها صيحة انفعال مثل صيحة الإنسان الأول مع أي مصيبة تصيبه فيصيح مستغيثًا.

٢. دليل العلاقة بين الصيحة الفطرية والإتباع:

للتأكيد من أن الإتباع في أصله صيحة انفعالية سنعرض بعض عبارات الإتباع

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٠٢

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٤٠٤

تتضمن كل منها انفعالًا مختلفًا، لنبين العلاقة بين الانفعال والعبارة الإتباعية، وأننا يجب أن ندرس الإتباع على أساس هذه العلاقة لنستنتج الآتي:

- لا توجد عبارة إتباعية تخلو من انفعال؛ فكلها صادر عن انفعال ومتضمنة له.
- عبارات الإتباع تضم معظم انفعالات الفرد في حياته اليومية قديمها وحديثها.
- بعض عبارات الإتباع تحمل صرخات انفعالية يصدرها الفرد تجاه حدث ما.
- شعور الفرد بالراحة النفسية بعد نطقه بالعبارة؛ لأنها نفست عما فيه من هم.
- نشعر أحيانًا أن العبارة أخرجت صرخة مكبوتة في نفس المتكلم والمتلقي.

٣.أمثلة للعلاقة بين الإتباع والانفعال:

نعرض نماذج من العبارات الإتباعية تضم أنواعًا شتى من الانفعال مثل:

- انفعال الكره نحو (إني لأبغض الأملح والأقلح) أ/**٥٦**.
- انفعال الحب نحو: (رجل عاشق وامق) أ/**٦٥**.
- انفعال الصبر نحو (رجل هاع لاع) ب/**١٨٢،٨٢**. (هو جلد نجد) أ/**٦٥**
- انفعال الخوف نحو (وللجبان لهاع لاع). (هائع لائع) أ/**٩٧**.
- انفعال الحزن والندم نحو(نادم سادم) أ/**١٢١**. (نكدًا له وجحدًا) ب/**٣٦**، أ/**٦٣**.
- انفعال الغضب (قد هلع وشكح) ضجر أ/**١٠١** (رجل عابس كابس) ب/**٧٣**.
- سوء الخلق (إنه لفاضح ماضح) أي: عائب أ/**٥٨**(ولع تلع وزع) أ/**١٠٠**

هذه الانفعالات المتنوعة نشعر معها بصرخة استغاثة خفية من قائلها، وقد أتانا هذا الشعور من تكرار المقطع المتماثل تمامًا في نهاية كلمتي الإتباع، وكأن المتكلم يستغيث بسامعه من خلال تكرار هذا المقطع، بل إن بعض كلمتي الإتباع أتتْ في صورة مقطع واحد من النوع الرابع ليعطي للمتكلم فرصة لإخراج انفعاله؛ وذلك بمده المد الطويل بين الساكنين نحو (هاع/ لاع) بصورة كبيرة.

وبعضها جاء على وزن فعْل نحو (ولْع/ تلْع/ وزْع، جلْد/ نجْد، هلْع/ شكْح)، وهو وزن يدل على شدة الانفعال، وهذا الأمر يحتاج إلى دراسة مستقلة لبيانه بدقة.

القسم الثاني: الصوت ومعرفة معنى العبارة وصاحبها

هل يفيدنا معرفةُ السلوك الصوتي للمتكلم في معرفة أصوات الكلمة الثانية ومعناها في عبارة الإتباع قبل نطقها؟، كيف يتحول الصوت إلى سلوك يميز صاحبه عن أقرانه، ويصبح وسيلة تحديد وتمييز له؟، كيف يصبح الصوت سلوكا فرديًّا؟، إن الصوت لا يخلو من إشارات تعطي معلومات عن سلوك الفرد ومجتمعه؛ فيصبح الصوت سلوكًا لدى الفرد بما يحمله من معلومات يعبر عنها الصوت بالإيماءة وأوضاع الجسم، ويشير إلى المعلومات اللغوية وغير اللغوية التي يحملها الصوت؛ لذا يعد من الهاديات الصوتية، والصوت سلوك فطري؛ نظرًا لما يحمله من إشارات تدل على سلوك صاحبه، بل إن (ديكون) يرى في الصوت طاقات وقدرات انفعالية لا يمكن أن يحملها غيره من وسائل الاتصال المختلفة مثل: انفعال الخوف والغضب والإثارة الجنسية، يقول: "تحتوي المنظومة الطرفية على مناطق المخ المسؤولة عن الجانب الأكبر من الخبرة الوجدانية وعمليات الحفز وإثارة الانتباه والمسؤولة كذلك عن الاستجابات الهرمونية التلقائية المقترنة بها، ويعد التصويت الفطري . قبل أن يكون سلوكًا منعزلًا . أحد التجليات الظاهرة لحالة موحدة للإثارة الوجدانية والسلوكية"[١].

"ويشير برنارد إلى قيمة كبرى للصوت لا تحملها كل الأجهزة الصوتية التي صنعها البشر، فهو يحمل المعاني والمعلومات التي نستنتجها عند سماعنا لصوت المتكلم، أي: يمكن للأجهزة البشرية فهمها أو تفسيرها كالمعاني التداولية البرجماتية ... إنها (قراءة الصوت) كذا أطلقنا على فهم ملامح الوجه (قراءة الوجه)"[٢]، وهذا الأمر يصور القدرة الكامنة لدى المتلقي على فهم العبارة الإتباعية وما يعنيه المتكلم، والتنبؤ بالكلمة الثانية قبل إتمام العبارة؛ وذلك من:

١. ملامح وجهه.
٢. ملامحه الصوتية ونبرات صوته.
٣. الموقف الانفعالي الذي يعيشه المتكلم الآن.

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٣٩٤

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٣٩٥

٤. معرفة سلوك المتكلم الصوتي عند انفعاله: (الغضب، والفرح، والرجاء).

إن للسلوك الصوتي دورًا في التنبؤ بالكلمة الثانية، وتحديد معناها قبل استكمال العبارة الإتباعية؛ فعندما نسمع شخصًا ينطق بكلمة (فلان شيطان) فنفهم

الكلمة الثانية قبل النطق بها؛ وذلك بملاحظة ملامحه الصوتية وملامح وجهه عند نطقها من الموقف الانفعالي الآني هل: غاضب أو فرح أو سعيد أو ساخر؟.

قال برنارد: "أما الآن لنفترض أن تعيين معاني المعلومات التي يحملها الصوت لا يقتضي فك جهاز الكلام لرموز الفونيمات المفردة فقط، بل أيضًا فك رموز المعلومات الخاصة بـ (مَن) لكي يتم معرفة المتكلم، (ومتى) لكي يتحقق فهم الترتيب الوقتي لفونيمات الكلام، والمقاطع، والكلمات، والجمل ... وينبغي فك رموز هذه المعلومات بدقة، ... ومن الواضح أن جهاز الكلام يقوم بأداء كثير من الأشياء غير الترسيم البسيط للصوت نحو المعنى، ولا يمكن له أن يعتمد على الجوانب المادية للكلام بمفردها"[1].

القسم الثالث: آلية تفاعل المخ مع أصوات العبارة

كيف يتفاعل المخ مع العبارة الإتباعية بوصفها صوتًا يسمعه أو ينتجه (استقبالًا وإنتاجًا)؟، إن الأمر يبدأ بإدراك الفرد لموقف انفعالي ما يعيشه الآن؛ فينطلق في التعبير عنه بعبارة إتباعية تصور هذا الانفعال، أو يستمع لعبارة إتباعية من شخص آخر منفعل بموقف ما (فيكون هومتلقيًّا لها) فيحدث الآتي:

أولًا: الانفعال بموقف آني

١. الانفعال يحدث ما بعد إدراكه؛ مما يثير خلاياه العصبية (إثارة) فتنفعل به.

٢. تفرزمركبًاكيميائيًّا (الناقل العصبي) يختص بهذا النوع من الانفعال فقط.

٣. تُثار الخلايا بالمركب فتُقدح وتنقل إثارتها للخلايا المجاورة عبر وصلاتها.

٤. تجمع الوصلات كل ما خُزِّن فيها من كلمات ترتبط دلاليًّا بالانفعال الآني.

٥. تُجتمع الخلايا (تجمع خلوي) للبحث عن الكلمة الأقرب دلاليًّا للموقف الآني.

٦. يُخْتار الكلمة المناسبة لإكمال العبارة في ضوء محددات لغوية نفسية عصبية.

ثانياً: أساس اختيار الكلمة الثانية

إنها عملية عصبية نفسية تحدث داخل الدماغ، تتم بجمع الكلمات التي تتفق

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٣٩٦

صوتيًّا مع الكلمة الأولى من كلمتي الإتباع، دون النظر إلى معناها ومدى توافقه مع المعنى المراد التعبير عنه، أي: المعنى المقصود من العبارة؛ فتحقيق الانسجام والتوافق الصوتي بين الكلمتين هو الشغل الشاغل لمبدع العبارة الإتباعية، لماذا؟؛ لأن هذا يحقق جانبًا نفسياً لدى المتكلم، وهو الشعور بالراحة النفسية عندما يعبر عن انفعاله تجاه هذا الحدث الآني بصورة منغمة؛ لذا وجب الوقوف عنده في لحظة إبداعه؛ لنرى كيف يجمع هذه الكلمات وكيف يختار منها الأفضل لانفعاله؟.

ثالثًا: آلية إبداع العبارة الإتباعية صوتياً

إنها عملية عقلية تتم في الدماغ في سرعة البرق في الخطوات الآتية:

١. يضع المبدع الهيكل التناغمي للكلمة الأولى في بؤرة انتباهه (تركيز الانتباه) في تجمع خلوي يستدعي فيه من ذاكرته كلمات تتوافق صوتياً مع الكلمة الأولى.

٢ . يختار منها ما يحقق توافقًا بين الكلمتين (الأولى والثانية) دون النظر لمعناها، ومن هنا نفهم لماذا الكلمة الثانية في الإتباع قد لا يكون لها معنى، لماذا اختارها المبدع؟؛ لأنها تحقق غرضه الأساسي وهو التوافق الصوتي، وتحقيق الانسجام بين كلمتي العبارة؛ فنسمع الكلمة الأولى مرة أخرى كصدى صوت في الثانية التي تماثلها صوتياً مع اختلاف في حرف أو مقطع في أول الكلمة.

٣. والأمر يرتبط بالحالة الانفعالية للمتكلم؛ لذا نراه (حسب شدة انفعاله) إما أن:

أ. يكرر كلمة الإتباع. ب. أو يأتي بكلمة إتباع ثانية وثالثة تتوافقان مع الأولى.

رابعًا: كيفية إدراك أصوات العبارة وإنتاجها

عند انفعال المتكلم بموقف ما فإنه يفكر في عبارة إتباعية تعبر عن انفعاله الآني فيستدعيها من الذاكرة، وعند سماع المتلقي عبارة المتكلم فإنه:

في الحالة الأولى: (حالة التكلم بالعبارة)

عند استحضار المتكلم لعبارة إتباعية تناسب الموقف الآني، فإن خلاياه العصبية تجمع من وصلاتها ما يماثل الكلمة الأولى في الصوت أولًا دون مراعاة لأي شيء آخر؛ لذا فقد يحدث الآتي:

أ. ينطق كلمة مما حفظ بذاكرته من عبارات سابقة؛ مما يدل على سرعة بديهته.

ب. يأتي بكلمة لا معنى لها لمجرد أنها تطابق الكلمة الأولى في أصواتها.

ج. يبدع كلمة على الفور، مطابقة للأولى في الصوت فقط.

د. يبدع كلمة مطابقة لها في الصوت والمعنى، فتكون (مضادة مرادفة متنافرة).

إن المتكلم قادر على إكمال العبارة بعدة صور؛ مما يفسر تعدد أنماط العبارة الإتباعية؛ نظرًا لاتساع فرصة الاختيار أمامه، وهو في ذات الوقت يشكل حيرة للمتكلم عند إكماله العبارة الإتباعية.

هذا الأمر يؤدي إلى صراع داخلي لديه بما يعرف بالكلام الداخلي الذي يحدث به المتكلم نفسه قبل نطقه بالكلمة الثانية، فالكلام الداخلي هو عملية تفكير مماثلة لعملية النطق بالكلام مثل عملية استقبال الكلام وفك شفرته، حيث تثار خلايا القشرة المخية السمعية مع الكلام الداخلي كما يحدث عند الكلام المنطوق؛ لذا نجد منطقة واحدة في المخ تقوم بالعمليتين (استقبال الكلام/ إنتاج الكلام)، وهي منطقة القشرة المخية السمعية حيث تتم فيها العمليتان"[1].

في الحالة الثانية: (حالة التلقي)

عند سماعنا الكلمة الأولى ككلمة: حار ... شيطان ... هنيئًا... فيحدث أننا نتوقع الكلمة الثانية صوتيًّا (مثل القافية المتوقعة)؛ وذلك نتيجة أنها مرت علينا سابقًا فهي مسجلة في وصلاتنا العصبية بين خلايا المخ؛ لذا نستحضرها على الفور فنقول: حار يار، شيطان ليطان، هنيئًا مريئًا؛ فذكْر الكلمة الأولى يستدعي الكلمة الثانية من الذاكرة على الفور كأنها صدى لأصوَات الكلمة الأولى.

(المبحث الثاني) المعجم الذهني والعبارة الإتباعية:

يقدم المعجم الذهني للمبدع كلمات وعبارات مناسبة لانفعاله الآني في آلية عصبية ونفسية كبيرة، تظهر من خلال استحضار الكلمة المناسبة من كل الأوجه للموقف الآني، وتتشابك معًا عدة خيوط في اختيارها؛ لذا يجب ألا نغفل كل هذه الخيوط التي تتحكم في اختياره للكلمة والعبارة المناسبة وتبدع فيها، وإن خلف هذا العمل ذاكرة قوية منفتحة على معجم في دماغ المتكلم كذا لدى المتلقي، وهو ما سميناه المعجم الذهني.

لذا يجب معرفة دور المعجم الذهني في إمداد المتكلم بالكلمات والعبارات المناسبة لانفعاله الآني كي يفرغ المتكلم انفعاله فيها لتعبر عنه، ويستجيب المتلقي للعبارة فيفهم ما تحمله من انفعال قد يتفق معه فينفعل به.

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٣٣. ٤٣٥.

أولًا: المعجم الذهني

"ما زال الباحثون لا يعرفون الدماغ معرفة تكفي لكشف مغاليق المعجم الذهني ... إنه معجم تصوري موجود في أدمغتنا كفرض علمي أتي من بحوث العلوم المعرفية"[1]، و"المعجم الذهني: آلة لمعالجة هذه الخيوط معًا في آن واحد؛ لتفسير الأجرأة اللغوية، أي: الأعمال اللغوية التي تتم في الدماغ لفهم اللغة"[2].

ثانيًا: المعجم الذهني والدماغ

"إذا افترضنا أن المعجم يشمل كل المعلومات اللغوية فإنه من الضروري تفسير الشبكة الموزعة في الدماغ التي تقوم بالتفاعل مع هذه المعلومات وتعالجها، وتشمل: مجال بروكا وفيرنيك التقليديين، ومجال الصورة البصرية بالنسبة إلى اللغة المكتوبة، ومناطق نصف المخ الأيمن إلى الترميز الدلالي الدارج، وأجرأة الخطاب والتداولية.... إلخ من وجهة النظر هذه، ويبدو المعجم الذهني أقرب ما يكون إلى جهاز نظري أنشئ لتفسير الأجرأة اللغوية الذهنية أكثر مما هو بنية حقيقة"[3].

ثالثًا: آلية استدعاء كلمتي الإتباع من المعجم الذهني

أ. مقدمة:

المعجم الذهني: "شبكة عُجر مترابطة فيما بينها مماثلة للحزم العصبية في الدماغ استدلت آيتشسن على أن المعجم الذهني ... يهتم، أولًا وقبل كل شيء، بالروابط لا بالمحلات، ولاحظت أن ترابطات المعجم الذهني هي أبعد عما نتخيل عادة أن يكون عليه القاموس أو معجم ما، فعندما تفعّل كلمة من الكلمات تفعل معها كلمات أخرى تشبهها في الصورة والمعنى والتركيب والإملاء والمحتوى الانفعالي؛ مما يوحي بأن المعجم الذهني معقد ومترابط بشكل متداخل وبدرجة عالية"[4].

ب. آلية استدعاء العبارة من المعجم الذهني:

هذا تصور أولي لاستدعاء العبارة من الدماغ، حيث تتم على مراحل تسبقها:

١. تذكرالكلمة الأولى يستدعي شبيهَها في: الصورة والمعنى والتركيب والإملاء.

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٦٥
(٢) المعالجة العصبية للغة: ٤٦٦
(٣) المعالجة العصبية للغة: ٤٦٥
(٤) المعالجة العصبية للغة: ٤٦٨

٢.عملية نفسية في قوله (المحتوى الانفعالي)، فوراء العبارة انفعال يدفع لقولها.
٣.عملية ترابطية تجمع ما سبق معًا بالدماغ للوصول للعبارة المناسبة لانفعاله.
٤.عملية تنشيط لذاكرة المتكلم لاستدعاء العبارة المناسبة للانفعال الآني منها.

إن عمل المخ وآليته العصبية عند استدعاء العبارة الإتباعية لدى المتكلم والمتلقي هي ذاتها الآلية التي تستدعي بها الكلمة من المعجم الذهني، حيث إن "الوصول إلى الكلمة في المعجم الذهني يمر بمرحل تظهر أثر الترابط بين خلايا التجمع الخلوي، تبدأ عملية التفاعل مع الكلمة والبحث عنها في المعجم الذهني بإثارة موضع صغير في القشرة المخية، يحدث معه **تفعيل متزامن** في مناطق أخرى من القشرة المخية وعلى قدر هذا التفعيل تكون قوة الترابط بين خلايا التجمع إنها تعمل معًا ككتلة واحدة تنفعل وتنشط معًا، لكن إذا حدثت إثارة لجزء واحد ك(خلايا قبل. الشبكية وحدها) فسيؤدي هذا إلى إضعاف الترابط المشبكي، أي: الترابط بين خلايا التجمع، فلا تفعل معها؛ لذا نضيف إلى ما سبق **تأثير قوة الإثارة** إلى العوامل التي تؤدي إلى قوة الترابط بين الخلايا عند تنشيطها؛ لذا يجب تعديل قوة الترابط بإثارة الخلايا المترابطة معًا"[(١)].

وعند استدعاء عبارة إتباعية من معجمنا الذهني نمر بالمراحل التي تحدث عند استدعاء الكلمة، وهذه العملية تقوم على قوة تأثير إثارتنا للتجمع الخلوي، وعلاقة الروابط بين التجمع الخلوي التي جمعناها عند استدعاء هذه العبارة؛ فنقوي الترابط لاستدعاء الكلمة، ولكن ماذا نعني بتقوية الترابط هنا؟، إننا نعني أننا نقوي تركيزنا عند التفكير في العبارة واستدعائها من بين مشابكنا العصبية، فعند التفكير فيها وتذكرها، إننا (نُفَعِّل. نُعْمِل. نُركز) تفكيرنا حولها لنستدعيها، إنه ما نشعر به عند التفكير في شيء ما؛ فإننا ننعزل عن محيطنا ولو لبرهة؛ لنقوي ونفعل روابط التجمع الخلوي للوصول له (تذكر حالك عند استدعاء كلمة أو عبارة نسيتها).

ج.سر قوة الترابط عند استدعاء العبارة:

"إن قوة الترابط في التجمع الخلوي آت من قوة التعالق، أي: الترابط بين الخلايا وتعاونها في فهم المعلومة، وهذا التعالق يؤدي إلى إثارة المعلومات التي تتصل بهذه

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٧٢

المعلومة، فعندما نفكر في معلومة ما نجد أنفسنا نتجه إلى معلومات أخرى تتصل بها؛ لماذا؟؛ يحدث هذا نتيجة الترابط الحادث بين الخلايا العصبية؛ فعندما تثار بمعلومة ما تنشط خلايا أخرى مرتبطة بها، فتنشط وتنفعل معها؛ نتيجة دفع المعلومة إلى بؤرة تفكيرنا بسبب الخلية النشطة؛ فتنشط الخلايا الأخرى لتقدم ما لديها من معلومات تتصل بهذه المعلومة؛ لأنها تعمل بصورة مترابطة، إذن فالتعالق هو الترابط بين المعلومات الذي يظهر من خلال الترابط والتعالق بين الخلايا الأخرى؛ مما يؤدي إلى تفريعنا في التناول من معلومة لأخرى "(١).

هذا الأمر يحدث عند استدعاء عبارة إتباعية من الذاكرة، إننا نشعر بأن سيل من العبارات تنهمر علينا من خلايانا العصبية، وكلها عبارات تصلح لانفعالنا الآني؛ مما يجعلنا. في كثير من الأحيان.

في حيرة اختيار العبارة المناسبة لهذا الموقف، إنها آلية يصنعها المعجم الذهني الذي نملكه ويعج بالكلمات والعبارات المختلفة، ونحاول اختيار أنسبها لانفعالنا في سرعة بديهة منا تعتمد على علاقة ما تربط بين العبارات التي جمعناها في معجمنا الذهني، وهذه التعالقات تجعلنا نفكر عند اختيار هذه العبارة أو تلك، إن المعجم الذهني أساس عملية اختيار واستدعاء العبارة مما خُزن فيه ضمن الذاكرة، كيف تقوم خلايانا بالمعالجة والاختيار؟.

"تظهر قوة الترابط نتيجة الإثارة المتزامنة التي تحدث في زمن واحد للخلايا العصبية كلها معًا، ومدى قوة الترابط بين هذا الموضوع والموضوعات الأخرى؛ مما يؤدي إلى تنشيط الخلايا التي تحمل معلومات تتعالق مع هذا الموضوع، وقوة الترابط لا تشتمل فقط على المعلومة الخاصة بتواتر الإشغال المتزامن للخلايا العصبية، بل تشتمل أيضًا على المعلومة الخاصة بمدى قوة التعالق القائمة بين عمليات التفعيل الخاصة بها"(٢).

وهذا التدافع للمعلومات التي تتصل بالموقف الآني تفسر سبب الارتباك الذي يصيب المتكلم عند استحضاره عبارة إتباعية ما تناسب هذا الموقف الانفعالي، إنه يرتبك نتيجة تدافع العبارات المتعلقة مع انفعاله الآني وصعوبة الاختيار.

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٧٣

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٤٧٣

رابعًا: تعدد المعاجم الذهنية

لماذا لدينا قدرة على اختيار العبارة الإتباعية المناسبة للموقف الانفعالي الآني من العبارات الإتباعية الكثيرة المخزنة في الدماغ؟؛ لأن داخل أدمغتنا معاجم ذهنية متعددة، فعند استدعاء أي عبارة إتباعية منه فإن الدماغ يوجهنا إلى المعجم المختص بهذا الجانب، إما أن يكون جانبًا دلاليًّا أو تركيبيًّا أو صوتيًّا)، فيحضر العبارة المناسبة كاملة من المعجم المختص بهذا الجانب، "فالمعجم الذهني ليس مخزنًا للكلمات والمعارف تخزن فيه بصورة عشوائية، إنه مستودع منظم توضع فيه المعارف اللغوية بصورة منظمة، حيث يختص كل جزء منه بجانب من جوانب اللغة، إنه مكان منظم بصورة دقيقة (توجد معاجم مختلفة باختلاف نوع المعلومة التي تخزنها: يجري تخزين المعلومة **الدلالية** في مجموعة من مناطق الدماغ والمعلومة التركيبية في مكان آخر و**الفونولوجية** في مجموعة ثالثة من مناطق الدماغ "[١].

هناك عملية تخزين منظمة للعبارات الإتباعية تحدث في الدماغ، يتم تخزين ما لدينا من العبارات الإتباعية فيها حسب موضوعها، فإن كان المتكلم يتحدث عن موضوع عن الفقر أو المرض وجهه معجم الدلالة إلي العبارات التي تقال في مثل هذه الحالة، وإذا كان المتكلم قد نسي بعض أصوات الكلمة الثانية فإن معجم الأصوات يعاونه في تذكرها، وكذا عند بناء الجملة يلجأ جانب النحو.

هذا التنوع في المعاجم الذهنية يفسر شيئًا آخر هو ما يحدث في الدماغ عند استدعاء أو إبداع عبارة إتباعية، حيث تنتابنا لحظة صمت للتفكير عندما نحاول تذكر أو اختيار العبارة من الدماغ، إنها عملية بحث تتم في المعاجم الذهنية عن العبارة المناسبة مما خزناه بمعاجمنا منها، وبالفعل فإن المتكلم يشعر بعملية البحث التي تتم في دماغه عند نطق العبارة، وبعملية الاستدعاء التي تتم داخله.

"إن تعدد المعاجم الذهنية في الدماغ مكننا من الفصل بين الأقسام اللغوية في الدماغ؛ مما يسر لنا استحضارها من الدماغ في سرعة كبيرة؛ وذلك بتحديد نوع القسم اللغوي الخاص به لنصل إليه"[٢]، ويحدث هذا في بعض الأحيان، لكن في أغلب الأحيان يجد المتكلم أن العبارة المناسبة تُلقي على لسان وتُقذف قذفًا؛ مما يجعله هو يتعجب من سرعة استحضارها من المعجم الذهني، ويرجع الأمر إلى أنه

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٧٠

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٤٧١

نطق بها منذ وقت قصير أو أن هذا الموقف الانفعالي متكرر لديه ربما بصورة يومية أو أن معجمه الذهني كبير؛ لذا يجدها حاضرة فورًا على لسانه.

خامسًا: المعجم الذهني وإبداع العبارة الإتباعية

كيف يمكن أن تكون العبارة الإتباعية وسيلة إبداع لغوي؟؛ فيصبح المتكلم بالعبارة الإتباعية مبدعًا لغويًّا؟، وما دور المعجم الذهني في هذه الحالة؟، "يظهر دور العملية الترابطية بين خلايا التجمع الخلوي من خلال ما تقوم به محاور الخلية العصبية من تحقيق الترابط والتواصل بينها؛ مما يمكنها من عملية الإبداع الدلالي ... كل خلية لها محاور تمتد لمسافات بعيدة لتربطها بالخلايا الأخرى؛ مما يحقق لهم التواصل والترابط معًا، وهذا ما يفسر: لماذا نربط في حديثنا الآني بين عدة موضوعات مختلفة؟، وكيف نخلق من هذا الترابط إبداع علاقة جديدة غير متوقعة؟، يحدث هذا نتيجة التفاعل بين الخلايا وامتدادها (محاورها) وتعاونها وترابطها معًا عبر محاورها؛ مما ييسر التواصل الفوري بينها، وهو الدور الحيوي للمحاور في عملية الخلق والإبداع.

ومفهوم المعجم الذهني ينطلق من دوره في عملية الإبداع اللغوي بخلق مفردات ودلالات جديدة، ويمد المتكلم بكل ما هو مُخزن في شبكته العصبية من كلمات ومعانيها؛ فيتجه المتكلم المبدع إلى خلق علاقات دلالية بين الكلمات نتيجة لوجود التضاد أو التنافر أو الترادف بينها، وهنا تبدأ عملية الإبداع اللغوي، ويبدأ المعجم الذهني في عملية الإبداع، إذن أساس الإبداع اللفظي هو المعجم الذهني "(١).

والآلية المتبعة في إبداع الكلمات بالدماغ هي الآلية المتبعة عند إبداع العبارات الإتباعية، حيث يجمع المتكلم ما في تشابكات خلاياه العصبية في معجمه الذهني من عبارة ترتبط بالموضوع المماثل لانفعاله فيربط بينها ويخرج بعبارة إتباعية جديدة، هي نتاج التفاعل والتلاقح بين العبارات المخزنة في شبكات ومحاور خلاياه العصبية، وقد لا نتوقع صدورها منه وربما لا يتوقع هو.

سادسًا: المعجم الذهني وترابطية الإتباع (التلازمية والعطفية)

ماذا يحدث عند استدعاء العبارة الإتباعية؟، إن المتكلم يتذكر الكلمة الأولى منها؛ فيفاجأ بالكلمة الثانية تلقي في ذهنه، لماذا؟، ربما لوجود علاقة ترابطية بين الكلمتين، فتستدعي الأولى الثانية نتيجة هذه العلاقة الترابطية، إنها علاقة ناتجة عن

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٧٥

آلية تخزين العبارة في المعجم المتكلم الذهني؛ مما يسر سرعة تذكرها، وهذه العلاقة إما أن تكون علاقة تلازمية أو ربطهما بحرف عطف؛ مما جعلهما متلازمتين يستدعي ذكر الأولى الثانيةَ فورًا، إننا نراه يحدث بكثرة في العبارات الإتباعية المختلفة من الترابط الآتي من التلازم بين الكلمتين أو عطفهما معًا.

"إن الكلمات يتم تخزينها وتذكرها في شبكة من الترابطات، هذه الترابطات يمكن أن تكون متعددة الأنواع ومتعالقة بطرق مختلفة، فالكلمة ترتبط في معجمنا الذهني ببعضها البعض، ليس فقط على مستوى المعنى والشكل والصوت، ولكن أيضًا على مستوى الرؤية ... إن الترابطات التي يحدثها الفرد بين الكلمات عند تخزنها في معجمه الذهني تتمثل في أنواع، منها: الرابطيات التلازمية والعطفية. فعند تخزين الكلمة في المعجم الذهني فإننا نربط الكلمة بـ:

١. الأشياء الملازمة لها: فعند ذكر كلمة (فلاح) نجد أنها تستدعي الأشياء الملازمة لها مثل: (الفأس، والمعول، والمحراث، وغيرها من الكلمات التي تتصل بحقل الفلاحة)؛ لذا يلجأ معلمو اللغة الثانية إلى ربط الكلمة المراد حفظها بذاكرة تلاميذهم بالشيء الملازم لها؛ ليسهل حفظها بمعجمهم، واستدعاؤها منه.

٢. العطف: إننا نربط الكلمة المراد تخزينها بكلمة شائعة معروفة بالعطف ليسهل استدعاؤها بعد تخزينها معطوفة على الكلمة الشائعة (كأنها كتلة صوتية واحدة تُدفع من الدماغ كصندوق واحد داخله كلمتان مرتبطان معًا بالعطف كما تعودنا ذكرهما من قبل بهذه الصورة)، كما نربط بين: السماء والأرض، الصغير والكبير، كذا نفعل في العبارة الإتباعية نقول: جاء بالغور والمور، وجاء بالضيح والريح، ولا دريت ولا تليت، سقاه الله ورعاه)، كذا نربط بين علمي التاريخ والجغرافيا بحرف العطف، فنقول: التاريخ والجغرافيا، ونقول ساخرين: لا تاريخ ولا جغرافيا في الموضوع.

إن الوحدات المعجمية يتم تخزنها مترابطة بشكل وثيق في المعجم الذهني. كما كشفت نتائج اختبارات جمع الكلمات أن الترابطات التلازمية والروابط العطفية هي أقوى الروابط؛ ذلك أن الروابط التلازمية من السهل تفعيلها؛ فالكلمات التي تقوم بينها مثل هذه الروابط ترد بشكل متكرر مع بعضها؛ ومن ثم وجود واحدة يستدعي الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة للروابط العطفية هي أيضًا قوية بين الكلمات ليسهل تفعيلها"[١]، تذكر عبارة (من جدَّ...) فستجد أن الكلمة الأولى تستدعي الثانية (وجد)، كذا عبارة: لا صالح ولا ...؛ نقول فورًا: طالح.

---

(١) المعالجة العصبية للغة: ٤٨١

الباب الثالث
نظرية الحقول الدلالية والعبارة الإتباعية

مقدمة:

ارتبطت العبارة الإتباعية بمجموعة من الألفاظ والعبارات التي كونتها، وولدت منها دلالات مختلفة، وقد نظرنا آنفًا إلى العلاقة الأساسية في العبارة الإتباعية وهي العلاقة الصوتية **(الجانب الصوتي)**؛ وبقي أن ننظر إلى العبارة من جانب آخر ونعني به **(الجانب الدلالي)** الذي من أجله جمع المتكلم بين كلمتين متضادتين أو متنافرتين أو مترادفتين لصنع دلالة ما، ويعبر بها عمّا في نفسه من انفعال في عبارة منغمة تشعره بالراحة النفسية بعد أن ينطق بها.

قامتْ نظرية الحقول الدلالية بالعناية بالجانب الدلالي، فكان هدفها من دراسة اللغة هو جانب الدلالة؛ فصنفت كلمات اللغة حسب دلالتها والعلاقات التي بينها؛ مما مكننا من الربط بين كلمات اللغة وجمعها تحت مظلة واحدة (حقل دلالي واحد)، ثم صنعت معجمًا دلاليًّا جديدًا يقسم كلمات اللغة (حسب تصور نظرية الحقول الدلالية) إنه يقوم على تقسيم كلمات اللغة إلى حقول متعددة كبرى تتفرع منها حقول أصغر تربط بينها علاقات متعددة.

إذا كان هذا هو مفهوم نظرية الحقول الدلالية بصورة مبسطة، فهل يمكن تطبيق هذه النظرية على العبارة الإتباعية؟ وهل يمكن أن يمتد هذا المنهج لنطبقه على أنماط أخرى من العبارات اللغوية التي وردت في التراث العربي في شكل عبارات مجمعة تحت أسماء مختلفة مثل: كتب المتضايفين (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي وغيره)، وفي كتب العبارات العربية القديمة مثل: (الفاخر للفضل بن أبي سلمة، والزاهر في معاني كلام الناس لابن الأنباري)؟.

هذا الأمر يمكن تحقيقه من خلال بحوث جادة يرغب أصحابُها في دراسة التراث العربي في ضوء النظريات الحديثة؛ مما سيفتح لهم أبوابًا كثيرة للنظر إلى علماء العربية وكتبهم اللغوية (في جانب الدلالة) بصورة أعمق وأشمل من خلال نظرية لغوية حديثة تلقي الضوء على جانب في الدلالة لم يكن مطروقًا من قبل[1]، وقد قمت في عدة بحوث بدراسة بعض كتب تراثنا بجانب الدلالة من خلال

(١) انظر كتب عطية سليمان أحمد: الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة/ اللغة والسلوك الاجتماعي/ الإتباع والمزاوجة.

نظرية الحقول الدلالية، واليوم أعيد دراسة بعضها راجيًا من طلابي إكمال ما بدأته، مشيرين إلى أن هذا الجانب لازال خصبًا يحتاج لباحثين كُثْر لإكماله.

ففي إطار العبارات الإتباعية يمكن صنع معجم دلالي لعباراتها، تصنف فيه حسب تصنيف نظرية الحقول الدلالية؛ نظرًا لأن العبارة الإتباعية في حقيقتها عبارة لغوية تمس كل شؤون حياة الفرد والمجتمع، وقد تضمنت أغلب الألفاظ والعبارات المتداولة بكثرة على ألسنة الناس في هذا المجتمع، فهي تصور حياة الناس وسلوكهم وما على ألسنتهم من كلمات وعبارات؛ لذا يمكن تصنيفها في معجم دلالي خاص بها ليكون أول معجم يسير على منهج نظرية الحقول الدلالية في تقسيمه لكلمات اللغة، ويبين إرتباط عبارة الإتباع بكل شؤون حياة الناس.

ارتبطت كلمات العبارة الواحدة معًا بعلاقات مختلفة، وتعاونها معًا لصنع دلالة جديدة، ويمكن دراستها من جانب العلاقات التي تربط بين كلمات الحقل الواحد، فقد سعت نظرية الحقول إلى بيانها في تحليلها لعلاقات في الحقل الواحد.

وقد جاء هذا الباب لبيان العلاقة بين نظرية الحقول والعبارة الإتباعية، وكيفية توظيفها، والإفادة منها في عدة فصول، هي:

الفصل الأول: مفهوم نظرية الحقول الدلالية.

الفصل الثاني: علاقة العبارة الإتباعية بنظرية الحقول الدلالية

الفصل الثالث: الحقول الدلالية في الشبكة العصبية.

الفصل الرابع: العبارة الإتباعية والإبداع اللغوي والعصبي.

الفصل الأول
مفهوم نظرية الحقول الدلالية

كان من الضروري عرض مفهوم نظرية الحقول الدلالية في صورة مبسطة كي يدرك القارئ مفهوم النظرية وآلية عملها، ويتبين فائدتها في تقسيمها ألفاظ اللغة حسب تصنيفها، وكيف شملت العبارات الإتباعية أغلب كلمات اللغة في تصنيفها؟، وكيف شاع الإتباع على ألسنتنا وشمل كل أنماط حياتنا اليومية؟.

أ. تعريف الحقل الدلالي:

"الحقل الدلالي Semantic field أو الحقل المعجمي Lexical Field هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها مثال ذلك كلمات الألوان في اللغة العربية؛ فهي تقع تحت المصطلح العام (لون) وتضم ألفاظًا مثل: أحمر - أزرق - أخضر - أبيض..."[١].

وعرفه أولمان بأنه: «قطاع من المادة اللغوية، ويعبر عن مجال معين من الخبرة»[٢]، وتقول هذه النظرية: كي نفهم معنى كلمة يجب أن نفهم كذلك المجموعة المتصلة بها دلاليًّا[٣].

إن هدفنا من تحليل العبارات الإتباعية وفق نظرية الحقول الدلالية هو:

١. جمع الكلمات والعبارات الإتباعية التي تخص كل حقل معين على حدة.

٢. الكشف عن صلاتها، الواحد منها بالآخر، وصلاتها بالمصطلح العام Semanties Fields.

٣. بيان قدرة العبارة الإتباعية على توليد الدلالات الجديدة من كلمات محددة.

٤. بيان تنوع العلاقة داخل العبارة إما أن تكون (ترادف أو تضاد أو تنافر).

ب. مبادئ نظرية الحقول الدلالية:

يتفق أصحاب النظرية - إلى جانب ذلك. على جملة مبادئ منها:

١ - لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل.

٢ - لا وحدة معجمية لا تنتمي إلى حقل معين.

---

(١) علم الدلالة، ٧٩.

(2) S.ullmann: Meaning and style. P.26-27.

(3) Ierin: semantics: the theory of meaning in P.14 S.R.

٣- لا يصح إغفال السياق الذي ترد فيه الكلمة.
٤- استحالة دراسة المفردات مستقلة عن تركيبها النحوي.
وقد وسع بعضهم مفهوم الحقل الدلالي ليشمل الأنواع الآتية:
١- الكلمات المترادفة والكلمات المتضادة.
٢- الأوزان الاشتقاقية، وأطلق عليها اسم الحقول الدلالية الصرفية.
٣- أجزاء الكلام وتصنيفاتها النحوية.
٤- الحقول السنتجمانية: وتشمل مجموعة الكلمات التي تترابط عن طريق الاستعمال ولكنها لا تقع أبدًا في نفس الموقع النحوي[١].

هذه المبادئ بينت الأسس التي تلتزم بها هذه النظرية عند تقسيمها لكلمات اللغة التي تشرع في تقسيم كلماتها وفق نظرية الحقول الدلالية، فهي تفرض على المادة اللغوية لهذه اللغة الالتزام بها عند صنعها معجمًا لكلماتها وفقًا لها.

يمكن دراسة العبارات الإتباعية في إطار نظرية الحقول الدلالية، حيث إن العبارة الإتباعية قد تشمل كلمات ذات علاقات دلالة مختلفة: مترادفة أو متضادة أو متنافرة. فكل من كلمتي الإتباع قد يجمعهما حقل دلالي واحد، فتكون الكلمة الثانية مرادفة للأولى، أو مضادة لها في المعنى، أو متنافرة معها في المعنى، أو بدون معنى، أو يجمعهما حقل دلالي غير منطوق في الكلمتين، ولكن يمكن استنتاجه من اجتماعهما نحو (لا حلوبة له ولا ركوبة)، فكلا الكلمتين تشيران إلى أقل ما يمكن أن يمتلكه الإنسان من عرض الدنيا، وحتى هذا الشيء البسيط لا يمتلكه هذا الشخص، وهذا يعطي دلالة ثالثة غير منطوقة في العبارة، وهي أنه فقير جدًّا، ولكن اجتماع الكلمتين في عبارة واحدة أعطانا هذا المعنى الثالث غير المنطوق في العبارة، بل يفهم من اجتماعهما.

ج. كيفية صنع معجم الحقول الدلالية للعبارات الإتباعية:

لذا يجب دراسة العبارة الإتباعية في إطار هذه النظرية لصناعة معجم يشمل هذه العبارات، ويصنفها حسب موضوعها، أي: الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه؛ مما ييسر لنا الوصول إلى العبارة المناسبة للموقف الآني بالرجوع إلى حقلها الدلالي. لكن كيف يتثنى لنا فعل هذا؟، هناك ثمة قضايا متعلقة بالنظرية نستعين بها في سبيل صنع هذا المعجم نعرضها، وهي:

(١) علم الدلالة، ٨٠-٨١.

١- حصر الحقول الدلالية الموجودة في العبارات وتصنيفها:

يقول د. أحمد مختار عمر: «لعل أشمل التصنيفات التي قدمت حتى الآن، وأكثرها منطقية الذي اقترحه معجم Greek New Testament، ويقوم على الأقسام الأربعة الرئيسة:

١) الموجودات entities ٢) الأحداث events.

٣) المجردات abstracts ٤) العلاقات relations.

وتحت كل قسم نجد أقسامًا أصغر، ثم يقسم كل قسم إلى أقسام فرعية[1]؛ ولهذا سوف نقسم العبارات الإتباعية حسب أقسام هذا المعجم إلى (موجودات – أحداث – مجردات – علاقات).

٢.تقسيم الكلمات داخل الحقل الواحد إلى قسمين:

الكلمات الأساسية والكلمات الهامشية، حيث إن الكلمات داخل الحقل الواحد ليست في وضع متساو؛ ومن ثم جاء هذا التقسيم، وقد وضع العلماء معايير مختلفة للتمييز بين القسمين، ومن هذه المعايير: ما وضعه كل من كاي وبيرلن Kay. Berlin من مجموعة مبادئ للتفريق بينهما على النحو الآتي:

الكلمة الأساسية إما أن:

- تكون ذات لكسيم واحد monolexemic، أي: وحدة معجمية واحدة.
- لا يتقيد مجال استخدامها بنوع محدد أو ضيق من الأشياء.
- تكون ذات تمييز وبروز بالنسبة لغيرها في استعمال ابن اللغة.
- لا يمكن التنبؤ بمعناها من معنى أجزائها بخلاف كلمات كـ blugeen، برمائي.
- لا يكون معنى الكلمة الأساسية متضمنًا في كلمة أخرى ما عدا الكلمة الرئيسة.
- الكلمات الأجنبية الحديثة الاقتراض من الأغلب ألا تكون أساسية.
- الكلمات المشكوك فيها تعامل في التوزيع معاملة الكلمات الأساسية.

٣.العلاقات داخل الحقل المعجمي:

لابد أن نعرف العلاقات داخل كل حقل معجمي لتتضح العلاقة التي تربط بين كلمتي الإتباع، ويحدد علماء نظرية الحقول الدلالية أنواع العلاقات داخل كل حقل معجمي فيما يأتي:

(١) علم الدلالة، ٨٧.

١) الترادف Nymonymy.   ٢) التضاد Antonymy.

٣) الاشتمال أو التضمين Hyponymy ٤) التنافر Incom – Patibility.

٥) علاقة الجزء بالكل Pakt wole relation، وليست الحقول الدلالية سواء في احتوائها على هذه العلاقات، فبعض الحقول الدلالية تحوي كثيرًا من هذه العلاقات، في حين أن حقولًا أخرى لا تحويها[1].

---

(١) علم الدلالة: ٩٨.

الفصل الثاني
علاقة العبارة الإتباعية بنظرية الحقول

١.الإتباع والحقول الدلالية:

العبارة الإتباعية تركيب لغوي متجانس الألفاظ يُحدث انسجامًا صوتيًّا داخل هذا التركيب، لكنه في أصله هو رسالة لغوية تحمل معنى يريد المتكلم إيصاله لسامعه مع محاولة إقناعه برأيه المتضمن في هذه الرسالة من خلال مُؤثرات صوتية تنقل انفعاله له؛ مما يجعله مشاركًا له في الرأي حول هذا الموضوع؛ لذا يعد جانب الدلالة في العبارة الإتباعية على درجة كبيرة من الأهمية، ويعد نجاح المتكلم في اختياره للعبارة الإتباعية المناسبة للموقف الآني نجاحًا للحوار كله؛ لأنه توافق مع الحدث الآني، وقد أكده بعبارة إتباعية منغمة؛ وذلك لجذب انتباه السامع إليها، وربما وافقه في الرأي؛ مما يجعل العبارة الإتباعية أكثر تأثيرًا.

والعبارة الإتباعية على اختلافها وتنوعها تعد نسيجًا غريبًا في صناعة المعنى حيث يرد في تراكيب مختلفة، وأنماطًا متنوعة وإن كانت محددة إلا أنها في مجملها تسعى بهذا التنوع التركيبي إلى توليد معنى جديد في كل عبارة، حيث تتآزر في تكوينه كل وحدات التركيب؛ لذا وجب معرفة المعنى المستهدف من العبارة (أي: ما يقصده المتكلم من المعاني المختفية وراء عبارته) قبل البحث عن المعنى الخاص لكلمات العبارة، وهذا المعنى الجديد الذي ولدّه التركيبُ في عبارة شارك في صناعتها عناصر غير لغوية، مثل: العناصر التداولية (قصدية المتكلم، افتراض مسبق ...)، وعناصر صوتية (النبر والتنغيم ...)، وهي عناصر تضيف كثيرًا من المعاني إلى المعنى المعجمي للعبارة؛ فنفهم منها ما لم تزودنا به المعاجم؛ مما يظهر أثر الانفعال النفسي على معنى العبارة الإتباعية.

إن نظرية الحقول الدلالية آلية جديدة لتقسيم ألفاظ اللغة وعباراتها دلاليًّا، وبيان ما فيها من المعان المختفية داخلها، يولدها السياق ويبدعها المتكلم، ويمكن أن نفهم ذلك بتقسيم ألفاظ اللغة إلى حقول، تجمع داخلها كل ألفاظ اللغة في شكل حقول دلالية، ونبين ما بين ألفاظ كل حقل من علاقات دلالية (تضاد، أو ترادف، أو تنافر)، هذا الأمر في حقيقته جمع للدلالات المترابطة بعلاقة ما ضمن حقل واحد يشملها؛ مما يمكننا من الوصول للكلمة المناسبة للموقف الانفعالي

الآني؛ وذلك بتحديد الموضوع والحقل الدلالي الذي تنتمي له.

يمكننا أن نحدد موضع العبارة الإتباعية من معجم الحقول (إذا طبقنا تقسيم الحقول على عبارة الإتباع)، فتبدو في ثوب جديد هو شكلها الحقيقي كوحدة دلالية لا كوحدة معجمية، فهي تختلف هنا عن المعاجم القديمة، إنها كلمة ذات دلالات متعددة بسبب ترابطها دلالياً مع كلمات أخرى في ذات حقلها الدلالي، وقد تكون العلاقة: تضاد، أو تنافر، أو ترادف، أو اشتمال، جمع المتكلم المبدع بينها فصنع منها نغمًا متجانسًا يعطي إيقاعًا خاصًا، مع خلق دلالات جديدة ناتجة عن اجتماعهما؛ لذا يمكن بواسطة هذه النظرية تقسيم العبارات الإتباعية إلى حقول دلالية تمكننا من حصر ألفاظ الإتباع ضمن حقول محددة تدور حولها العبارات الإتباعية، والمجالات الحياتية التي اخترقتها عبارة الإتباع، والثغرات اللغوية التي توجد في لغتنا العربية، والتي قامت العبارة الإتباعية بسدها، وبيان فرق بين اللهجات القديمة والمعاصرة في إبداعها للعبارة الإتباعية ولغتهما.

٢. دراسة العبارة الإتباعية في ضوء الحقول الدلالية:

يجب دراسة دلالة عبارة الإتباع وفق نظرية دلالية حديثة تمكننا من تصنيف هذه العبارات في إطارها، وبتوجيه من منظورها حتى نتمكن من الوصول للعبارة المطلوبة واستحضارها في الموقف الآني؛ مما يمكننا من اختيار العبارة الإتباعية المناسبة في الدماغ وفق آلية عصبية خاصة، والإفادة فيها من منهج نظرية الحقول والنظريات الدلالية الأخرى، وآليتهم في ترتيب واستحضار العبارة من الدماغ، إننا الآن في سبيلنا لصنع معجم دلالي لعبارات الإتباع، فما النظرية المطلوبة؟.

نظرًا لتعاون المعاني المعجمية للكلمات مع الأشياء السابقة لتكوين معنى آخر جديد غير منطوق، يمكن تفسير ارتباط معاني العبارة الإتباعية والعلاقات التي بين كلماتها من خلال نظرية كبرى تمكننا من تحقيق هذا، إنها نظرية الحقول الدلالية، فقد لاحظت نظرية الحقول ارتباط معاني كل مجموعة من الكلمات بحقل دلالي واحد يجمعها، وفسرت العلاقات التي تربط بين كلمات هذا الحقل، واستطاعت صنع دلالات جديدة من إبداع المتكلم الآني.

وقد أشار إلى ارتباط العبارة الإتباعية بنظرية الحقول الدلالية د. حسام البهنساوي. ضمن حديثه عن مؤلفات أبي الطيب اللغوي. قال: «نجد له[١] أعمالًا أخرى ورسائل متنوعة، تعد بحق من المؤلفات اللغوية الداخلة بجرانها في إطار

(١) الضمير يعود على أبي الطيب اللغوي مؤلف كتاب الإتباع.

الحقول الدلالية نذكر منها كتابه الإتباع الذي وقفه على حقل الكلمات المؤكدة[1] تأكيدًا لفظيًّا بكلمات مساوية للكلمة المؤكدة، بقصد الزينة اللفظية، أو المساوية في القافية، مع تأكيد المعنى»[2].

فالدكتور حسام يُعد العبارةَ الإتباعية داخلة بقوة في نظرية الحقول الدلالية، فتتفق كلمتا العبارة على أنهما **تنتميان إلى حقل دلالي واحد**؛ فترتبط الكلمتان اللتان آتيا من مواد معجمية مختلفة بحقل دلالي واحد يجمعهم، ولا يمكن معرفة هذا إلا بالرجوع إلى مادتهما في المعجم، ومعانيهما التركيبية الجديدة التي تولدها العبارة منها فيما يعرف بالتوليد الدلالي الذي «هو إبداع المتكلم دلالات معجمية، وتراكيب دلالية جديدة تختلف عن تلك الدلالة، التي تفيدها الوحدة أو البنية المعجمية المعروفة والمألوفة، بين أفراد الجماعة اللغوية، حيث يقوم أفراد هذه الجماعة اللغوية، بتوليد معاني جديدة، تحمل قيمًا دلالية جديدة لأبنية معجمية موجودة من قبل، استوجبتها سياقات ومقامات وظروف وملابسات لغوية، ولم تكن تتحقق في مدلول البنية المعجمية قبل ذلك»[3]، إنه المفهوم الحقيقي للمعنى الذي تبحث عنه العبارة الإتباعية لتصنعه من لفظين أو أكثر ويحققه المتكلم بها.

٣. قيمة نظرية الحقول الدلالية:

يمكن توظيف نظرية الحقول الدلالية في دراسة كثير من كتب التراث التي جَمعتْ في متونها عبارات لغوية متنوعة ككتب الإتباع والمثنيات والمتضايفين والأمثال والكنايات والعبارات العامية التي في الأدب العامي القديم والمعاصر وغيرها، ودراسة كل منها على حدة، بغرض تقسيم ما حواه كل نوع من هذه الكتب من العبارات، ونصنفها حسب نظرية الحقول الدلالية؛ مما يمكننا من كشف كثير من أسرار الحياة اليومية لهؤلاء القوم في عصورهم السالفة، وبيان ما في بيئاتها من ألفاظ وعبارات ونقارنها باللغة المعاصرة؛ لذا نحاول هنا بيان قيمة نظرية الحقول الدلالية وأهميتها في خدمة البحوث اللغوية.

---

(١) سوف أناقش من خلال هذا البحث هل الكلمة الثانية جاءت للتوكيد فقط أو بلا معنى لمجرد إحداث انسجام صوتي؟ أو لتكوين معنى جديد مع الكلمة الأولى.

(٢) التوليد الدلالي، ٣،

(٣) التوليد الدلالي، ٧.

أولًا: الحقول تكشف عن العلاقات بين ألفاظ الشبكة الدلالية الواحدة

الكشف عن العلاقات وأوجه الشبه والخلاف بين الكلمات التي تنضوي تحت حقل معين وبينها وبين المصطلح العام الذي يجمعها: فالمنهج التحليلي يوضح العلاقات بين المعاني المختلفة، مثال: المجموعات المترابطة، وهي مجموعة من الكلمات التي تنتمي إلى مجال معين، مثل: كوب وكأس وفنجان وكوز وزهرية وإبريق كلها كلمات تدل على أنواع من الأوعية، ولهذا تدرس جميعها ككلمات تنتمي إلى مجال واحد، وبهذا يمكن توضيح أوجه التقابل والتشابه في الملامح داخل المجموعة"(١).

إن الكشف عن العلاقات بين الكلمات يجعلنا ننظر إلى الكلمة في إطار ما يحيط بها من كلمات وأشياء نستدعيها عند ذكر هذه الكلمة، هنا تعمل الشبكة العصبية الدلالية ووصلاتها التي توجد بين خلايا المخ على استدعاء الكلمات التي ترتبط هذه الكلمة معها دلاليّا، فنشعر أننا أمام شبكة من الكلمات التي ترتبط بهذه الكلمة أو بهذا المعنى، فإذا سمعنا كلمة كوب فإن هذا الأمر يستدعي كل ما في وصلات خلايانا العصبية من كلمات الأوعية التي تشبه الكوب أو تشترك معه في بعض الصفات، وهنا يظهر عمل نظرية الملامح لتبين لنا لماذا استدعينا كل هذه الأوعية التي تشترك مع الكوب في الاسم أو الصفة؟؛ لأنها تتفق معها في الملامح أو الوظيفة. إن نظرية الحقول تجعلنا ننظر إلى معنى الكلمة في إطار الشبكة العصبية الدلالية التي ترتبط بها، وهي ما نسميه بالحقل الدلالي فهي مخزنة في الدماغ في شكل حزم نعد كل حزمة حقلاً مستقلاً، ونظرية الحقول الدلالية تقوم على النظر للروابط التي بين الكلمات والتي تنشئ العلاقات بين أفراد الحقل الواحد؛ لتجعله قسمًا أو مظلة تضم تحتها كل الكلمات التي تتصل بها دلاليًّا؛ مما ييسر استدعاء الكلمة من الذاكرة والكلمات المشابهة لها في التو واللحظة بمجرد سماع الكلمة.

ثانيًا: الكشف عن الفجوات المعجمية في اللغة:

كل لغة تحوي عددًا محددًا من كلماتها تشير بها إلى موجودات ومجردات وأحداث عالم هذه اللغة، لكن قد نكتشف بهذه اللغة فجوات معجمية، لا ندركها إلا عندما نحتك بلغات أخرى، فنجد بها ما ليس في عالمنا من الأشياء ، لهذا لن نجد لها أسمًا في لغتنا، هنا تظهر في لغتنا فجواتها اللغوية، وهذه النظرية تكشف عن الفجوات

(١) الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة: عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠١٨م، القاهرة، ص١٩.

المعجمية التي توجد في لغتنا، حيث توجد حقول دلالية وألفاظ تنتمي إليها لا توجد في لغتنا، فلا نجد الكلمات المطلوبة لشرح فكرة ما أو التعبير عن شيء، تسمى هذه بالفجوة الوظيفية، فنجد في العربية كلمات للإنسان تشير لعمره مثل: (رجل، امرأة، ولد، بنت)، ولكنها لا تفعل ذلك بالنسبة لكل الحيوانات؛ مما يظهر عددًا كبيرًا من الفجوات في المفردات المعجمية، لا في العربية وحدها، بل في كثير من اللغات.

ثالثًا: التمييز بين الألفاظ المتشابهات

تحليل الألفاظ في ضوء هذه النظرية يمدنا بقائمة من الكلمات لكل موضوع على حدة كما يمدنا بالتمييزات الدقيقة لكل لفظ؛ مما يسهل على المتكلم أو الكاتب في موضوع معين اختيار ألفاظه بدقة، وهو ما صنعه علماء المعاجم العربية من تأليف معاجم تكون وظيفتها أن تمد المتكلم بالألفاظ التي تخدم موضوعه أو أدبه.

رابعًا: الكشف عن العموميات في اللغات

تطبيق النظرية كشف عن كثير من العموميات والأسس المشتركة التي تحكم اللغات في تصنيف مفرداتها، كما بين أوجه الخلاف بين اللغات بهذا الخصوص.

خامسًا: تعكس حضارة الأمم

إن دراسة معاني الكلمات على هذا الأساس تعد في ذات الوقت دراسة لنظام التصورات للحضارات المادية والروحية السائدة، وللعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية، كما أن دراسة التطورات أو التغيرات داخل الحقل الدلالي تعني في الوقت نفسه دراسة التغيرات في صورة الكون لدى أصحاب اللغة"[١]، أي: دراسة فكر وثقافة وحضارة الشعوب، كيف تفكر وتنفعل؟ وعاداتها وتقاليدها الموروثة.

سادسًا: حصر مفردات اللغة في حقول

هذه النظرية تضع مفردات اللغة في شكل تجمع تركيبي ينفي عنها التسيب المزعوم، أي: أن مفردات اللغة يمكن حصرها في معجم واحد في شكل حقول دلالية، تضم كل مفردات اللغة، وتحليل ما بينها من علاقات تربطها ببعض (ترادف، أو تضاد، أو تنافر، أو اشتمال، أو تضمين)؛ فمفردات اللغة لا توجد في صورة عشوائية، بل تقوم بينها علاقات وروابط تجمعها هي الحقول الدلالية المختلفة.

(١) نقلا عن كتاب علم الدلالة: ١١١.١١٣

الفصل الثالث

الحقول الدلالية في الشبكة الدلالية العصبية

١.الإتباع والنظريات الدلالة الحديثة:

ظهرت نظريات دلالية كثيرة تناولت تفسير الدلالة وتحليلها بعمق كبير وصلت بعضها إلى أعماق الدماغ البشري سعيًّا إلى تفسير دقيق للدلالة وآلية صنعها في المخ، وكان تطبيقها وتحليلها في أكثر الحالات يستعين بنظرية الحقول الدلالية في تفسيره لبناء المعنى ونموه في الدماغ، كما أن عملها كان منصبًا على تحليل دلالة الكلمة والعبارة إلى جانب تحليله لآلية صنع المعنى الجديد في العبارة وفي الكلمة وهو الجانب الإبداعي والخلاق في دلالات جديدة في اللغة، ومن هذا وذاك وجب علينا دراسة عدة أشياء هي:

- النظريات الحديثة التي تناولت تفسير المعنى وآلية إبداعه.
- تناول موقع نظرية الحقول الدلالية في هذا العمل (الإتباع).
- تناول عبارات الإتباع كتطبيق للنظريات الحديثة ومنها الحقول الدلالية.
- بيان العلاقة بينهم جميعًا (الإتباع، النظريات العصبية{الحقول}،الإبداع)

ألقت النظريات الدلالية الحديثة الضوء على جوانب جديدة حول آلية صُنْع الدلالة في الدماغ، وكيف يستخدم المخ فكرة نظرية الحقول الدلالية في تقسيمها الألفاظ إلى حقول، حيث ينتقل المخ في البحث عن الكلمة أو العبارة ويصل إليها من الحقل الأكبر إلى الأصغر، فكيف يتعرف على الكلمة من ملامحها، أو الفئة التي تنتمي إليها؟، وقد ظهر هذا من خلال نظرية: الشبكة العصبية والملامح والفئات؛ مما بين آلية عمل المخ والشبكة العصبية الدلالية في تخزين الدلالة واستدعائها وإبداعها داخله؛ لذا وجب علينا تقديم دراسة أشمل وأوسع مما سبق حول العبارة الإتباعية وآلية صنعها في الدماغ لدى مبدعها الأول (قد يكون شاعرًا أو خطيبًا أو إنسانًا من العامية، فهو في النهاية إنسان لا نعرفه؛ مما يجعل العبارة الإتباعية من التراث الثقافي للشعوب)، كيف يستدعي من ذاكرته العبارة المماثلة للمواقف والحدث الآني؛ مما يجعل سامعه يقول له: صدقت، هذا الموقف لا يصلح فيه إلا هذه العبارة الإتباعية التي قلتها الآن.

إننا في حاجة لإعادة تحليل العبارات الإتباعية وفق نظرية الحقول مرة أخرى؛ نظرًا لما استجد من بحوث عصبية حول الدلالة في الدماغ بينت أن مركز الدلالة في

الدماغ تتبع في ترتيبها للكلمات بالشبكة العصبية الدلالية وآلية الوصول لها المنهج الذي تتبعه نظرية الحقول في ترتيبها للكلمات بتقسيمها إلى حقول في شكل هرمي (كما سنرى)، كذا عند إبداعه كلمة جديدة وعند استرجاعها من الشبكة العصبية للمتكلم؛ فتسير وفق هذا التنظيم الحقول الدلالية؛ لذلك سنعرض لهذا المنهج بالتفصيل لبيان آلية الدماغ في فعل هذا الأمر.

إن التصور النفسي واللغوي لظاهرة الإتباع لا يكفيان لبيان حقيقتها؛ فإن لها أصل عصبي يشير إلى عمل الجهاز العصبي في تفاعله مع هذه الظاهرة، يتمثل في تفاعل مخ المتكلم مع الحدث الآني؛ مما يجعله ينطلق بهذه العبارة الإتباعية، وهذا هو الجديد في الدراسة، ويُضاف إلى ما سبق من تحليل لغوي ونفسي، وهو التحليل العصبي الذي ينقب خلف الظاهرة في الدماغ لبيان حقيقتها، وتفاعل الدماغ معها ومع مراكزه المختلفة، ولا يعني هذا إلغاء المنهج النفسي أو اللغوي.

٢.علاقة الإتباع والحقول الدلالية بالشبكة الدلالية العصبية:

كان لنظرية الحقول الدلالية – (بتقسيمها كلمات اللغة حسب معناها إلى حقول دلالية، ثم تقسيم هذه الحقول وتفريعها لحقول أصغر وبيان ما بين الحقول من علاقات)- دور كبير في جمع كلمات اللغة وتنظيمها في إطار حقول دلالية تجمعها، وكانت الغاية من هذا التقسيم سرعة الوصول عند البحث عن دلالة الكلمات، وكيفية الوصول إليها، وكيفية الربط بين كلمات متنافرة ومتضادة ومترادفة بعلاقات تسمح بالجمع بينها في عبارة إتباعية على الرغم من تنافره.

ثم ظهرت الحاجة إلى معرفة آلية الدماغ في معالجتها الكلمات والعبارات؛ لنعرف ما يفعله الدماغ عند بحثه عن الكلمة فيه؟، وكيف يصل لها في سرعة كبيرة فور سماعها، وكذلك كيف يتم الوصول إلى العبارة الإتباعية المطلوبة في الدماغ؟، هنا تظهر الحاجة إلى تفسير من النظريات الدلالية العصبية لبيان كيف يصل الدماغ إلى العبارة الإتباعية المخزنة فيه؟، وهذا ما سنحاول معرفته.

٣. الشبكة العصبية الدلالية والحقول الدلالية:

أسهم اللغويون الأنثربولوجيون في تقديم نظرية الحقول الدلالية عن طريق التصنيفات العامة التي قاموا بها في مجالات ثقافية متنوعة، كما قام كل منهم بدراسات ترتكز على أساس سؤال الفرد أن يصف الألفاظ داخل مجال ما؛ وذلك

من أجل تحديد التعريفات في داخل التركيب المعجمي، وهذه التعريفات تكشف عن تصور المتكلم لكيفية تنظيم الأشياء الموجودة في العالم من حوله في دماغه.

هذا السؤال بين كيف تُرتب الألفاظ في مخ المتكلم، فعند سؤال الفرد عن معنى ما في مجال معين فإنه يقوم بإثارة خلاياه العصبية وما بينها من وصلات دونت فيها سلفًا كل معاني ألفاظ لغته؛ فيترك الدماغ كل هذا ليتجه إلى المجال الذي تنتمي إليه هذه اللفظة، فيبدأ بعرضها على خلاياه العصبية التي تقوم بترتيب ما لديها من كلمات حسب قربها من معنى هذه اللفظة؛ لتقدم نتيجة بحثها في صورة كلمات ذات معان قريبة منها أو تدور في وسطها، ليبدأ المتكلم في الإجابة عن السؤال الموجه إليه حول معنى هذه اللفظة، فلو نظرنا لإجابته فنجد أنها لا تخرج عن هذا المجال، ولا المعاني المتصلة به؛ لذا فنظرية الحقول الدلالية عملية كشف وبحث عن المعاني المتعددة للفظة في الدماغ بالرجوع للمجال الذي تنتمي إليه، إنها عملية البحث التي تتم في الدماغ لمعرفة معنى الكلمة على أسس عصبية، وهي خلفيتها اللغوية التي تقوم بجمع الألفاظ المتصلة بهذه الكلمة وبهذا المجال الدلالي والحقل الذي تسكن فيه هذه الكلمة وتنتمي إليه.

إننا في بحثنا عن معنى العبارة الإتباعية وتصنيفها في إطار نظرية الحقول الدلالية نسأل عن المعنى الذي في الدماغ: "هل توجد شبكة عصبية في الدماغ اختصت بمعالجة الدلالة؟، وكيف يتواصل البشر معًا من خلال شبكة دلالية تدون بها معارف البشر جميعًا، وتستدعى للتواصل بها؟، وهل توجد شبكة عصبونية خاصة بالدلالة؟، إنه سؤال يدخلنا بعمق إلى دراسة الدلالة والمراكز التي تتفاعل معها لتصنعها بالدماغ، وآلية عملها في معالجة دلالة الكلمة"(١).

إن "الشبكة الدلالية نموذج تُصور فيه معاني الكلمات وعلاقاتها الشبكية، وتستند بنية الشبكة إلى استعمال مجموعة من العقد المتصلة فيما بينها بأقواس وروابط الشبكات الدلالية التي تمتلك هذه البنية تُستعمل إما في تصور المعارف ... وإما في البسيكولوجيا المعرفية لنمذجة المعجم الذهني وفهم اللغة"(٢).

هذا القول يشير إلى وجود شبكة دلالية تصور في أمخاخنا معاني الكلمات، وتقيم

---

(١) المعالجة العصبية للغة: د.عطية سليمان، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٢٢م ، القاهرة، ص٥٠٨.

(٢) المعالجة العصبية للغة٥١٠

هذه الشبكة روابط بين معاني الكلمات بغرض: إبداع معاني جديدة للكلمة أو استدعاء معاني مرتبطة بها، إنه وصف لتكوين لشبكة الدلالية وآلية عملها وكيفية تفرع المعنى (العقدة) إلى معاني عديدة، معتمدة على روابط وأقواس بينها تفرع المعنى وتولد منه معاني جديدة، فهي مكونة من عقد وأقواس وروابط لكل منها دوره في صنع المعنى وتوليده"[١]، وهذا التفريع أساس نظرية الحقول في تفرعها للكلمات اللغة وبيان ما بينها من علاقات: (تضاد. تنافر. ترادف).

٤ .الشبكة العصبية الدلالية وترتيب الحقول الدلالية فيها:

إن وجود الدلالة في شبكة من الوصلات التي بين الخلايا العصبية جعلنا نسأل عن هذه الشبكة العصبية الدلالية وكيف تعمل؟، وكيف نوظف معطيات هذا التصور العلمي لفهم آلية صنع العبارة الإتباعية في الدماغ حين يعقد المتكلم العزم على إبداع عبارة إتباعية من دماغه في التو واللحظة، تتوافق مع الحدث الآني؟، لقد "طرح علم النفس المعرفي مفهومه عن الشبكة الدلالية لتفسير كيفية اكتساب الدلالة ومعالجتها، وهي تدرس كيف يبنى المخ صورة لدلالة الكلمة في نفس المتكلم قبل نطقها؟، وكيف يستحضرها؟، وكيف يبحث عنها في الذاكرة؟ ... تقترح نماذج **الشبكة الدلالية** أن المعرفة يتم تمثيلها في عقولنا في شكل مفاهيم ترتبط ببعضها البعض في شكل شبكة عنكبوتية، إنه تصور للمعرفة على أنها مودعة في شبكة من المفاهيم الدلالية المترابطة معًا.

إن علم النفس المعرفي ينطلق في معالجته للدلالة على أنها تمثيل للدلالة في المخ من خلال تخيلها وتصورها داخل النفس؛ مما يجعلنا نتمثلها في عقولنا ونبني لها صورة مُجسدة في فضائنا الذهني ...

إن الدلالة بناء يُصنع في المخ قبل النطق به، ينمو به ويرتبط بغيره من الأبنية ذات الدلالات والمفاهيم المختلفة، وينتج عن هذا الترابط شبكة دلالية تشبه الشبكة العنكبوتية يصنعها الفرد في مخه حول المعنى الواحد"[٢].

هذا التصور يبين أننا نمتلك الدلالة في مخنا أولًا ثم نستخرجها تلبية للموقف الآني؛ لذا ليس بمستغرب أن يبدع المتكلم عبارته الإتباعية في إطار ما يمتلكه من

(١) المعالجة العصبية للغة ٥١٠

(٢) المعالجة العصبية للغة: ٥٢٢

كلمات لها دلالات محددة مرتبطة به وببيئته ونشأتها مُخَزن في ذاكرته.

٥.الحقول الدلالية واستدعاء الدلالة: (النموذج الشَبكي الهرمي):

كيف نستدعي الدلالة من مخنا في سرعة؟، لقد "استغل علم النفس المعرفي نظرية الشبكة الدلالية بتوظيفها لتحديد سرعة استجابة المخ عند استدعاء دلالة كلمة من الذاكرة، فوضع تصورًا لعملية استدعاء الدلالة من الذاكرة، ورأى أن العملية تتم في صورة هرمية متدرجة من تصنيف كبير إلى تصنيف فرعي أصغر في التصنيف، واستعان **بنظرية الحقول الدلالية** وتصنيفها الكلمات لأصناف ثم تفرع الأصناف لفروع متعددة"(١).

إنه تصور لآلية استدعاء معنى الكلمة من الدماغ، يقوم على تصنيف نظرية الحقول الدلالية، فهي تصنف في شكل هرمي، أي: أنها تصنف الكلمات وتُقسمها إلى حقول أو فئات، تبدأ من الحقل الكبير (الأعلى في التصنيف) الذي يضم عددًا من الحقول الفرعية أو الصغيرة التي تدخل تحت الحقل الكبير، وهنا يظهر عمل الشبكة الدلالية العصبية في بيان الترابط بين المعاني الكبرى والمعاني الفرعية التي تدخل تحته؛ مما ييسر عملية استدعاء الفرع؛ وذلك بالعودة إلى الحقل الأكبر الذي يضم هذه الفروع نحو: حي « حيوان « ثدييات « قطة.

لقد استعان الباحثون بالنموذج الشبكي الهرمي لتفسير سرعة الاستجابة عند البحث عن معنى اللفظة وما يتصل بها؛ فهو يحقق سرعة كبيرة في استحضار الدلالة من المخ، أي: يحقق اقتصادًا في الوقت عند استدعاء الدلالة من المخ، "يبدو النموذج الشبكي الهرمي نموذجيًّا بالنسبة لكثير من الباحثين، ويمكننا في ظل التدرج الهرمي القيام بتخزين فعّال للمعلومات التي تنطبق على كل أعضاء فئة ما عند أعلى مستوى ممكن من التدرج، ولا يلزمنا تكرار المعلومات في المستويات الدنيا والمستويات العليا من التدرج؛ لهذا يوفر نموذج التدرج الهرمي إمكانية الوصول إلى أقصى درجة ممكنة من الاقتصاد المعرفي، حيث يسمح هذا النسق باستخدام فعّال لكل ما يوفره من إمكانات وبأقل درجة ممكنة من تكرار الأشياء؛ ولذلك إن كنت تعرف أن الكلاب والقطط ثدييات سوف تخزن كل ما تعرفه عن الثدييات عند مستوى الثدييات، وينطوي هذا المفهوم على طبيعة الإرثية على فكرة مفادها أن البنود في المستويات الدنيا ترث خصائص البنود في المستويات العليا،

(١) المعالجة العصبية للغة: ٥٢٢

وهذا المفهوم بدوره بمثابة ركيزة الاقتصاد المعرفي في النماذج الهرمية"(١).

عند ذكر شخص كلمة أسد أمامي فإنني استدعي في ذهني تصوري عن هذا المخلوق؛ مما يجعلني أخلع عليه الصفات التي أتوقعها منه، بناءً على الفئة التي ينتمي إليها؛ لذا فأنا أصنفه تحت قسم الثدييات؛ لذا فمن الممكن أن يلد، وله جلد وشعر، لكنه لا يمكن أن يكون له ريش، أو فروع أو سيقان؛ لذا وضعته ضمن تصنيف يحدد صفاته (الثدييات)، فقد دون في مخي أن الصنف الأصغر يأتي حاملاً خصائص الصنف الأكبر، فكل ما يوضع في صنف الثدييات فهو يلد ولا يبيض وله شعر أو وبر، ولا يكون له أغصان أو أوراق، فمن الذي خلق في أدمغتنا هذه الطريقة؟ إنه أرثنا في فهم الأشياء، والتدرج الهرمي بالمخ، وهذه الفكرة ترجع لتصنيفنا الكلمات في شكل حقول تمكننا من الوصول لمعناها فورًا.

٦. آلية استحضار المعنى من الدماغ باستخدام الحقول الدلالية:

كيف نستخرج الكلمة من الذاكرة باستخدام نظرية الحقول الدلالية؟، "في دراسة رائدة قام بها باحثان بعرض جمل على المشاركين تتعلق بمفاهيم محددة، مثل: (سمكة القرش من الأسماك) و(سمكة القرش من الحيوانات)، وطلبا منهم تحديد صحة الجمل وبطبيعة الحال، كان بعض هذه الجمل صحيحًا وبعضها الآخر لم يكن صحيحًا. ويفترض أنه كلما كان اللازم تصنيفه أبعد في تدرجه عن اسم الفئة المذكورة كلما استغرق الأشخاص وقتًا أطول في تحديد صحة الجملة؛ لذلك من المتوقع أن يستغرق الأشخاص وقتًا أطول في تحديد صحة الجملة (سمكة القرش من الحيوانات) بالمقارنة بجملة (سمكة القرش من الأسماك)، والسبب في هذا أن السمك فئة تسبق في الرتبة سمك القرش مباشرة، والحيوان، ومع ذلك فهي الفئة الأبعد في ترتيبها، وقد استنتج كولينز وكوليان أن تمثيل الشبكة الهرمية يقدم تفسيرًا ملائمًا لأزمنة الاستجابة في دراستهما.

"درس علم النفس المعرفي بعناية خاصة الاستدعاء ومدى سرعته، لماذا؟؛ لأن الاستدعاء والتذكر يرتبطان بصورة قوية بنفس المتكلم وحالته المزاجية؛ مما يؤثر على سرعة تذكره لدلالة الكلمة، كما أن الاستدعاء يتم من خلال شبكة دلالية تتحكم في سرعة استحضار الدلالة المطلوبة ... الشخص يجول في داخل نفسه

(١) المعالجة العصبية للغة: ٥٢٤

بحثًا عن دلالة الكلمة، كأنه يسير في شارع طويل يتنقل فيه من مكان إلى آخر بحثًا عن المعنى المطلوب، فربما يجده مختبئًا في زاوية ما في الشارع.

"ويفسر التجربة التي ذكرها بأن الأمر يرجع إلى طرق تخزين الدلالة في الذاكرة، وأنها تقوم على عملية تصنيف ترتيبية من الأعلى إلى الأدنى، فعند تخزيننا في الذاكرة العلاقة بين الكلمات: (سمك، حيوان، سمك القرش) جعلنا الحيوان في تصنيف أعلى رتبة من السمك؛ لأنه يشمل الأسماك وغيرها من الحيوانات (هذا طبقًا لنظرية الحقول الدلالية ومعجم نيدا)، وهذا ما يقصدونه بقولهم تمثيل الشبكة الهرمي "[1].

نظرية الحقول الدلالية تمكننا من تخزين الكلمات في صورة مرتبة في المخ؛ مما يمكننا من سرعة استدعائها وفق الصنف الذي تنتمي إليه، فكيف يتم هذا؟.

٧.البحث عن الكلمة المناسبة للعبارة الإتباعية من الذاكرة:

"إن مفهوم الشبكة الدلالية لدى كوليان يقوم على بحث كيف يصل المخ إلى دلالة الكلمة؟، وكيف يبحث عنها في معجمه الذهني؟ ... تتناول نظرية كوليان التعالقات بين الكلمات والمعنى ... إن الفكرة الأساسية التي أسس عليها كوليان نظريته هي اعتبار أن الذاكرة في بحثها عن الكلمات تنطلق من تفعيل أكثر من مفهوم، وينتشر هذا التفعيل في الشبكة الدلالية حتى يتم العثور على تقاطع بين المفاهيم ... إن كوليان قد وازى المفاهيم بالكلمات والعبارات معتبرًا أن المفاهيم تتضمن قدرًا كبيرًا من المعلومات"[2].

٨. مراحل البحث عن الدلالة في الشبكة العصبية الدلالية:

يتم البحث عن دلالة كلمة الإتباع في الشبكة الدلالية في الخطوات الآتية:

أ . تفعيل عدة مفاهيم يراد الوصول إلى دلالتها (إثارة الذاكرة تجاه عدة أشياء).

ب .انتشار التفعيل في الشبكة الدلالية بحثًا عن الدلالة المطلوبة.

ج .العثور على تقاطع بين المفاهيم تسكن فيه الدلالة المطلوبة.

د .المفاهيم تعني لديه المعلومات التي داخل الكلمات والعبارات.

(١) المعالجة العصبية للغة:٥٢٣

(٢) المعالجة العصبية للغة:٥٢٤

إن هذا الأمر يتم في الدماغ بهذه الصورة حتى يصل المتكلم المبدع إلى الكلمة المناسبة لصنع عبارة إتباعية في التو واللحظة، كذا عند استحضار عبارة إتباعية مخزنة في الدماغ والبحث عنها في شبكة دلالية تمده بالكلمة المناسبة في دلالتها للكلمة الأولى بغرض تذكرها أو بغرض صنع عبارة جديدة؛ فيبحث للكلمة الأولى عن كلمة مرادفة أو مضادة لها في المعنى أو ربما متنافرة معها.

وعلى الرغم من عنايتنا بالجانب الدلالي في صنع العبارة الإتباعية فإن المعنى ليس الغاية الكبرى في الكلمة الثانية، بل إن غاية وهدف المتكلم من عبارته الإتباعية هو تحقيق الانسجام الصوتي؛ ليفرغ من خلال هذه العبارة الإتباعية انفعاله بالموقف الآني، فإذا تحقق هذا الهدف فإن المعنى يأتي في الدرجة الثانية من عناية المتكلم (تحقق أم لم يتحقق)، فقد شعر كل من المتكلم والسامع براحة نفسية بداية من ظهور المعني الذي يقصده من عبارته، والذي ظهر مع الكلمة الأولى؛ فحقق الغرض النفسي، ثم الراحة النفسية الآتية من النغم الصوتي المنسجم الذي ظهر عند سماع الكلمة الثانية واجتماع الكلمتين معًا.

الفصل الرابع
العبارة الإتباعية والإبداع اللغوي والعصبي

يستطيع المتكلم أن يبدع في العبارة الإتباعية فيصنع دلالات جديدة للكلمات وإنشاء عبارات إتباعية جديدة منها، وهذا الأمر يتم بآلية عصبية تمكنه من ذلك؛ لذا يجب النظر إلى عملية الإبداع في العبارة الإتباعية من جانبين، الأول: الجانب اللغوي الذي يصنع في اللغة كلمات يعطيها دلالات جديدة من خلال إنشاء عبارات ذات دلالات جديدة، والجانب الثاني: عمل الآلة المبدعة داخله التي تصنع هذه العبارة الجديدة، وهي المخ وعمله في هذا الجانب من خلال شبكته العصبية.

أولًا: الإبداع اللغوي

تدخل العبارة الإتباعية ضمن الإبداع اللغوي، حيث يولد المتكلم من المعاني المعجمية والتراكيب النحوية دلالات جديدة، تختلف عن الدلالات الجديدة التي يصنعها المتكلم في لغته في أنها تتمتع بنغم صوتي مصاحب لها، أي: يصاحبها نغم صوتي يحقق الانسجام الصوتي؛ فالنغم ناتج عن التجانس الصوتي بين كلمتي الإتباع؛ لذا ليس الهدف من العبارة الإتباعية توليد معان جديدة فحسب، بل تحقيق نغم صوتي جميل إلى جانب توليد معنى جديد، إن الإبداع اللغوي في العبارة الإتباعية لا يصنعه شاعر أو أديب، إنه ميراث الشعوب، يتوارثه جيل بعد جيل، يشترك في صنعه كل أبناء اللغة على مدى حياة هذه الشعوب.

وفي إطار المفهوم الجديد لمعنى التوليد الدلالي لدى المحدثين يمكننا ملاحظة الإبداع اللغوي الذي تحمله العبارة الإتباعية بما تنتجه من معان جديدة، ودلالات مولدة من أبنية وتراكيب لغوية معروفة، ودلالات معجمية محفوظة في معاجمنا الذهنية؛ وذلك باستخدام وسائل بلاغية وصوتية وتركيبية، «فقد عنى هؤلاء الباحثون من العلماء المحدثين بالتركيز على مفهوم الإبداعية في التوليد الدلالي بوصفه خاصية جوهرية أو سمة بارزة من سمات الكفاءة اللغوية، والتي تمثل قدرة المتكلمين على توسيع معنى الوحدات المعجمية؛ وذلك باستعمالهم للتحويلات الاستعارية، أو للنقول الكنائية، وهذه التحويلات والنقول تعد جزءًا لا يتجزأ من كفاءتهم ومقدرتهم اللغوية[١]».

(١) التوليد الدلالي، ٨.

إن الكفاءة اللغوية **للإبداع اللغوي** في العبارة الإتباعية ليست عمل فرد، بل جماعية، حيث تشترك الأجيال المختلفة في صنع العبارة الإتباعية، فمن الممكن تحديد تقريبي للعصر الأدبي الذي وُجدت فيه العبارة الإتباعية، لكن لا يمكن تحديد القائل الأول للعبارة الإتباعية، كما في عبارة (شيطان ليطان) لا نعرف المتكلم الأول بها، وفي المقابل نعرف أن عبارة **(حمي الوطيس)** أول من نطق بها هو الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم)؛ لذا فالعبارة الإتباعية إبداع جماعي وتراث ثقافي لهذه الأمة وهذا الشعب، وتمثل قدرة أبناء اللغة على توسيع معاني وحداتهم المعجمية، باستخدام إمكانيات اللغة المختلفة من استعارة وكناية ومجاز، وهي بهذا تختلف كتوليد دلالي للمعاني عن التوليد الصرفي، فالأول «توليد وإبداع لدلالات ومعان جديدة للبنية المعجمية الموجودة، والثاني توليد للأبنية والمفردات اللفظية التي تثري الثروة اللفظية للغة، باستحداث هياكل بنائية جديدة، تحمل بدورها دلالات ومعان جديدة، كذلك التوليد الصرفي الناشئ عن عمليات اشتقاق وتعريب ونحت اقتراض وغيرها"[(١)].

لقد صَنَّف د. حسام البهنساوي العبارة الإتباعية على أنها تضم حقولًا دلالية، ويمكن دراستها في ضوء نظرية العلاقات الدلالية والنظرية التحليلية، قائلاً: «وكلمات الإتباع في اللغة العربية، وكذلك المزاوجة، تمثل حقلاً من حقولها أيضًا، التي يمكن للباحثين والدارسين أن يقوموا بدراستها في إطار النظرية التحليلية ونظرية العلاقات الدلالية»[(٢)].

ثانيًا: الإبداع العصبي

أ. تصور أولي للإبداع العصبي:

نسأل عن الآلية العصبية التي تصنع عبارة الإتباع، وتدفع المتكلم إلى اختيار هذه العبارة الإتباعية دون غيرها أو تجعله يبدع عبارة إتباعية جديدة تناسب الموقف الآني الذي هو فيه؟ يعيش الفرد في إطار حدث ما فينفعل به وينطلق في التعبير عن هذا الانفعال بعبارة ما تصور هذا الحدث وتعبر عن رأيه فيه، فيأتي بعبارة تصور ذلك.

---

(١) التوليد الدلالي، ٧.

(٢) المرجع السابق، ٤٤.

خطوات إبداع العبارة عصبياً:

١. إدراك الحدث والانفعال به: يحدث هذا عندما يوجه الفرد انتباهه ناحية حدث ما أو شيء أثاره فانفعل به.

٢. إثارة الخلايا العصبية بالحدث: تفرز الناقلات العصبية مركبًا كيميائيًّا يخص انفعاله: (خوف، غضب، فرح ...) ينتشر بين الخلايا ووصلاتها **(مثير).**

٣. إثارة الوصلات: كل معارفنا وانفعالاتنا مخزنة في وصلات خلايانا العصبية، فتسرع هذه الوصلات بتقديم ما لديها من معارف حول الحدث الآني للخلايا العصبية التي تتجمع فيما يعرف بالتجمع الخلوي **(إثارة).**

٤. عرض المعارف: يتم عرض كل المعارف المتصلة بالحدث الآني، فتقوم الخلايا بالمقابلة بين ما ترى وتسمع وبين ما لديها من أحداث مشابهة له بذاكرته.

٥. نتيجة العرض: بعد عملية العرض والمقابلة يحدث أحد الشيئين الآتيين:

أ) اختيار عبارة مما في وصلاتها تماثل أو تشابه الحدث الآني أوتطابقه.

ب) إبداع عبارة جديدة: قد ينطلق عقله بإبداع عبارة تعبر عن هذا الحدث.

هنا يظهر دور المخ بخلاياه العصبية ووصلاتها في صنع العبارة الإتباعية؛ مما يمكن الفرد من اختيار عبارة مناسبة للحدث الآني أو إبداع عبارة جديدة.

ب.الشبكة العصبية وإبداع الإتباع:

إذا كنا تصورنا كيف تتم عملية إبداع العبارة الإتباعية بصورة مبسطة فإننا نريد أن نعرف الآلية العصبية التي تتم بها عملية إبداع الكلمات والعبارات الإتباعية في الدماغ، وقد قدم (غي) شرحًا مفصلاً لمكونات الشبكة الدلالية وقدرتها الإبداعية الخلاقة؛ فيرى أن: "العقد تصنع معاني للكلمات فتصبح العقدة تعنى المعنى الذي داخل الكلمة، فالكلمات توجد داخلها العقد في شكل تصورات ذهنية تصنع الكلمات منها معانيها الجديدة، ونفهم من هذا أن عمل العقد هو إبداع دلالة جديدة، ولكي يتم هذا الإبداع فإن الشبكة الدلالية تغفل المعنى المعجمي للكلمة (أو تتغافل عنه) عند قيامها بالإبداع الدلالي؛ فلا تتقيد به في إبداعها دلالة وتصور جديد، لكنها منبثقة عن المعنى الأصلي للكلمة"[(١)].

(١) المعالجة العصبية للغة: ٥١٢

العقد تبدع المعاني الجديدة للكلمات، فالكلمة داخل العقدة تصور ذهني تصنع منه العقدةُ المعنى الجديد، فعمل العقدة هو إبداع دلالة جديدة، ونفهم من هذا القول أن عملية إبداع الدلالة تنطلق من عقد الشبكة العصبية، حيث يتم التفكير في المعنى الجديد من قبل المتكلم؛ فتقوم العقد بإبداعه داخلها فيخرج في شكل كلمات ذات معاني جَديدة. ولكي يتم ذلك فإن الشبكة الدلالية تغفل أو تتغافل المعنى المعجمي، أي: المعنى الأصلي الموجود في المعجم لهذه الكلمة؛ لأن الإبداع هو تحرر وانطلاق بعيدًا عن القيود، وفي هذه الحالة ينطلق المتكلم بالكلمة متحررًا من معناها المعجمي، وتقوم العقد بطرح تصورات ذهنية جديدة لمعنى الكلمة، فتظهر لها في ذهنه تصورات ومعاني جديدة يولدها الإبداع داخل عقد الشبكة العصبية، ومن هنا كانت انطلاقة المتكلم في صنع عبارته الإتباعية، وإبداعه معاني جديدة من الكلمة، يصنعها من ألفاظها القليلة؛ فيجمع بين الكلمات المختلفة الدلالة (متنافرة ومتضادة ومترادفة)، فتظهر العبارة الإتباعية في ثوب جديد من ألفاظ متنافرة أو متضادة حاملة معها وفي طياتها دلالات جديدة ربما لا توجد في ألفاظ العبارة الإتباعية منفردة لو أخرجنها من العبارة الإتباعية التي وردت فيها؛ مما يبين أن العبارة الإتباعية قادرة على صنع دلالات جديدة من كلمات متنافرة ومتضادة؛ بفضل عمل العقد التي تخلق تصورات ذهنية للكلمات والعبارات فيها، ف "العقد تهدف من وراء إغفالها للمعنى المعجمي للكلمة خلق علاقات بين المعاني الجديدة والقديمة دون قيد المعنى المعجمي وشروطه؛ فتخلق علاقات بين المعاني المتنافرة والمتضادة وتقنعنا بها كي نتقبلها، مثال: عبارة (طبيب جزار) أتت من الجمع بين معنيين متنافرين (لأنهما من مجالين مختلفين) تولد عنهما معنى جديد (طبيب فاشل)"[1].

مثال: العقد وإبداع دلالة جديدة

مررت بسوق القرية فوجدت بائع الليمون ينادي على سلعته قائلاً: **"ولا تزعل ثانية واعصر الليمون على البامية"** إنها عبارة إتباعية أبدعها هذا البائع البسيط، جمع فيها بين متنافرين (الثانية والبامية) في عبارة إتباعية واحدة؛ فهما كلمتا الإتباع في العبارة، وهما من مجالين مختلفين مجال الوقت (ثانية) ومجال الخضروات (البامية)،

(١) المعالجة العصبية للغة: ٥١٢

انظر كيف ربط البائع بينهما من خلال صورة ذهنية راسخة داخله وهي أن الليمون يعصر على البامية عند الأكل، وهذا التصور الذهني موجود سلفًا في عقد شبكته العصبية استدعاه ليوظفه في صنع دلالة جديدة من عبارته الإتباعية البسيطة، بل صاغها في قالب لغوية فُكاهي جذب المشتري له، إنه إبداع عبارة إتباعية صدر عن رجل بسيط، إن الإتباع ميراث الشعوب؛ لذا لا يُعلم قائله فيشترك في صنعه كل أبناء اللغة؛ فلو نظرنا إلى كتب الإتباع التي ألفها القدماء والمحدثون لا نجدهم ينسبونها لقائل ما ولو عبارة واحدة فقط من بين ما وصلنا من مئات العبارات الإتباعية.

الباب الرابع

معجم الحقول الدلالية الإتباعية وعلاقاتها

مقدمة:

نقدم في هذا الجزء التطبيقي تصنيفًا للعبارة الإتباعية لصنع معجم دلالي خاص بالعبارات الإتباعية، يأخذ بنظرية الحقول الدلالية في تصنيفها الكلمات والمفاهيم حسب اقتراح معجم Greek new Testament ومنهجه في تقسيمه لألفاظ اللغة معجميًّا؛ يكون غرض هذا المعجم تسهيل الوصول للعبارة الإتباعية المناسبة للموقف الآني الذي نحن فيه، وبالرجوع إلى هذا المعجم والبحث فيه عن العبارة المطلوبة والمناسبة للموقف الآني؛ لذا جعلنا له فصلاً مستقلاً.

ترتبط الكلمات داخل الحقل الواحد بعلاقات تؤكد انتمائها لهذا الحقل كأحد أفراده، حيث تستدعي الكلمة الأولى الكلمة الثانية من الدماغ نتيجة هذه العلاقات (فبضدها تظهر الأشياء)؛ فعلاقة التضاد بين صغير وكبير هي ما تجعل الدماغ يستدعي كلمة صغير عند سماعه كلمة كبير، وكذا كل العلاقات التي تربط بين أفراد الحقل الواحد؛ فكلمة (أحمر) يستدعي كل حقل الألوان، فيستحضره السامع عند ذكر كلمة أحمر؛ لأنها ترتبط مع هذا الحقل (حقل الألوان) كأحد أفراده.

إن دراسة العلاقات بين أفراد الحقل الدلالي الواحد ضرورة يستوجبها المنهج العلمي الذي وضعته نظرية الحقول الدلالية؛ لأنه يتغلغل في داخل أفراد الحقل الواحد ليظهر مدى الترابط بين أفراده (وإن بدا غير ذلك)؛ لأن تصنيف الكلمات حسب الحقول الدلالية تصنيف يأخذنا في جانب دراسة الدلالية وتحليلها إلى عمق أكبر وإلى جانب غير مطروق في دراسة الدلالة، وهو جانب الترابط بين الكلمات، وكيف نجمع كل مجموعة من الكلمات في حقل دلالي واحد نتيجة للعلاقات التي بينها؟، ولهذا خصصنا لدراسة العلاقات فصلاً مستقلاً، وجعلناه ضمن باب معجم الحقول الدلالية؛ لأنه مكمل له.

وقد جاء هذا اباب في الفصول الآتية:

الفصل الأول: معجم العبارات الإتباعية

الفصل الثاني: العلاقات الإتباعية داخل الحقول الدلالية

الفصل الثالث: نتائج تحليل العلاقات داخل العبارة الإتباعية

الفصل الأول
معجم العبارات الإتباعية

إن صنع معجم دلالي للعبارات الإتباعية يقوم بتقسيمها حسب نظرية الحقول الدلالية أمر يستوجب فهم وتحليل كل العبارات الإتباعية، ومعرفة دلالة كل كلمة داخل العبارة، وما تنتمي إليه من حقل دلالي محدد، ولماذا تفرع هذا الحقل إلى هذه الحقول؟، هذا العمل يبين الجانب الخلاق والمبدع في العبارة الإتباعية، ومدى ترابط كلماتها وتعاونها معًا لصنع دلالة جديدة، وكيف يُصنع المعنى الجديد من الجمع بين وحدات دلالية متنافرة أو متضادة أو مترادفة؟ كذا يبين دور الفضاء الذهني في بناء تصورات جديدة، ومدى ارتباط هذه التصوراتدلاليًّا بأحداث البيئة المحيطة بالمتكلم، وكيف تنعكس هذه المعاني في عباراته وأمثاله المرتبطة بحياته اليومية؟، ونرى أيضًا سرعة بديهة المتكلم عند بناء تصورات جديدة **(إبداع دلالي)،** وسرعته عند استحضار العبارة المناسبة للموقف الآني من ذاكرته.

منهج عرض مادة المعجم:

نقسم مادة هذا المعجم إلى حقول دلالية (حسب قواعد نظرية الحقول الدلالية ومنهجها في تقسيم مادتها)، ثم نقسم هذا الحقل إلى حقول تضم كل أفراد الحقل؛ فهو حقل أكبر يضم عددًا من الحقول المترابطة معًا، وتقبع تحت مظلة هذا الحقل الأكبر، ثم نحلل محتوى الحقل الدلالي من مادة معجمية لنبين لماذا جمعنا هذه الكلمات تحت مظلة هذا الحقل دون سواه؟ من خلال بيان العلاقات التي تربط بينها، وكيف تصنع معاني جديدة من كلمات تبدو متنافرة متضادة مترادفة، وهذا الأمر يحققه لنا التحليل الدلالي للعبارات الإتباعية حسب نظرية الحقول الدلالية؛ مما يصنع فهمًا أعمق للمعاني المتولدة من العبارة الإتباعية؛ لذا يجب أن نحدد عدة عناصر بالعبارة الإتباعية منها:

١. تحديد اسم الحقل الدلالي، وذكر العبارات التي تنتمي له.
٢. استخراج الكلمات الواردة في هذا الحقل والمتكررة في عباراته الإتباعية.
٣. تحديد الدلالات المتولدة من هذه العبارات والرابط بينها.
٤. بيان الفضاء الذهني الذي يصنعه الحقل في ذهن المتلقي ودلالته الجديدة.
٥. تحديد العلاقات الجديدة بين العبارات الإتباعية في هذا الحقل.
٦. بيان مدى ارتباط كلمات العبارة معًا، وانتمائها إلى حقل دلالي واحد.

تقسيم العبارات الإتباعية إلى الحقول الدلالية:

نقسم العبارات الإتباعية في هذا المعجم على أربعة حقول دلالية كبرى. كما في تقسيم معجم Greek new Testament. (الموجودات، والمجردات، والأحداث، والعلاقات)، يبين التقسيم حسب الحقول الدلالية أن قيمة العبارات الإتباعية قد شملت كل مجالات الحياة؛ فلم تدع مجالًا إلا وقيلت فيه عبارة إتباعية تصوره وتبين رأي المتكلم بالعبارة فيه وانطباعه الشخصيَ حوله، كما أن تحليل العبارات وفق النظرية يبين الرابط بين كلماتها داخل العبارة الواحدة.

نقوم بعرض العبارات الإتباعية مقسمة حسب الحقول الدلالية التي تنتمي إليها كل عبارة حسب التقسيم السابق، والذي عرضنا له منذ قليل[1]، ثم نبين العلاقات داخل كل حقل دلالي؛ وذلك في فصل مستقل نظرًا لأهمية العلاقات.

تصنيف الكلمات والمفاهيم حسب اقتراح معجم Greek new Testament:

يقوم هذا التصنيف على تقسيم كلمات اللغة للأقسام الأربعة الرئيسة الآتية:

القسم الأول من الحقول: حقل الموجودات entities

يضم الحقل موجودات الكون (كائنات حية وغير حية)، ويشمل حقول هي:

حقل الكائنات الحية: وهي تشمل:

أ- الحيوانات والطيور والحشرات.

ب- الإنسان، ويشمل: (قرابة – مجموعات – الجسم ومتعلقاته – عام).

ج- قوى وكائنات فوق طبيعية من: كائنات خفية – القوى أو التشخيصات.

حقل الكائنات غير الحية:

وتشمل: طبيعي – مُصنع أو مركب.

١ - الطبيعي يشمل: الجغرافي – مواد طبيعية – نباتات.

٢ - مصنع يشمل: (المواد المعالجة – منتجات مبنية – منتجات غير مبنية).

سنقسم[2] العبارات الإتباعية حسب تقسيم معجم Greet داخل حقل الموجودات، فهذه العبارات الإتباعية تضم كلمات وعبارات تنتمي لحقل الموجودات، مع ملاحظة أننا نقوم ببحث العبارات الإتباعية كعبارة تضم عدة

---

(١) نقصد تقسيم Greek new Testament

(٢) التطبيق الذي قمت به لمعجم Greet على العبارات تطبيق تقريبي، حيث حاولت أن أضع في عناصر المعجم وأقسامه العبارات التي تحتوي على كلمات أو على معان ترتبط بهذا القسم حسب نظرية الحقول.

كلمات تحمل كل منها معنى، وليست ككلمات فحسب؛ لذا سنجد أن كل عبارة من الممكن أن تقع في عدة حقول حسبما تحويه من كلمات وتصنعه من المعاني المتعددة، فقد نجد الكلمة الأولى تقع في حقل والكلمة الثانية تقع في حقل آخر، أو تقع في الحقل نفسه إذا كانت مرادفة لها، وقد تقع العبارة كلها في حقل ثالث إذا كانت تحتوي على المعنى الثالث الذي يتكون من اجتماع الكلمتين معًا، وفي ذات الوقت تقع كل كلمة منهما في حقل مستقل، ولهذا لن يكون غريبًا أن نلتقي بالعبارة الواحدة في أكثر من حقل لهذه الأسباب، هذه العبارات يمكن تصنيفها في هذا المعجم، وفي إطار هذا الحقل (الموجودات) إلى هذه الأقسام:

الحقل الفرعي الأول: حقل الكائنات الحية

النوع الأول: حقل الحيوانات والطيور

هناك عبارات إتباعية وردت فيها أسماء الحيوانات أو الطيور، وعبارات بها صفاتها؛ مما يدل على ارتباط العبارة الإتباعية بالبيئة التي قيلت فيها، وهي.

أ. الأسماء: عبارات وردت بها أسماء الحيوانات.

(فرس صلتان فلتان)[1] أ/ **٤٩**.

(تركت خيلنا أرض بني فلان حوثا بوثا) أ/ **٥١**.

(فرس عوج موج)، أي: واسع جلدة الصدر أ/ **٥٤**.

(سمعت للحمار شخيرًا ونخيرًا) أ/ **٧١**.

(أمشى فلان وأفشى) إذا كثرت ماشيته ونعمه أ/**٨٨**، ب**٢٠٩**.

(ذرق الطائر ومزق وزرق وحذق)، أي: روث الطائر أ/ **١١١**.

(مَرَّ الذئب يَعْسل وينسل) أ/ **١١٥**.

(ناقة حائل مائل) أ/**١١٨**.

(فرس عَدوان خظوان) أ/ **١٣٠**.

(إنه لسملع هملع) من أسماء الذئب ب/ **١٠٩**.

(مشت الماشية وأمشت) ب/ **١٠٩**.

(ما له عافظة ولا نافظة) العافظة العنز والنافظة اتباع ب/ **١٠١**.

(ما له آم ولا عام) آم: امرأة، عام: إبل ب/ **٦٥**.

(١) أشرت بـ (أ) إلى كتاب الإتباع والمزاوجة لابن فارس و(ب) لكتاب الإتباع لأبي الطيب.

(ما له حانة ولا آنة)، أي: ناقة ولا شاة، وحانة: ناقة، وآنة: شاة أ/ ١٢٦.

(جمل وبر هبر) أ/ ٦٩.

وفي ديوان الأدب للفارابي (ذهبتْ إبلة شذر مذر بذر) إذا تفرقت في كل وجه، وفي الصحاح (ناقة مسياع مرياع) تذهب في المرعى وترجع بنفسها.

تحليل أسماء موجودات الحقل:

١. نرى بهذا الحقل عدد من أسماء الحيوانات والطيور التي تتكرر منها:

(فرس، خيل، حمار، ماشية، ذئب، ناقة، عنزة، إبل، شاة، جمل، طائر).

٢. نرى أسماء غير مشهورة في عصرنا لبعض الحيوانات مثل:

(سملع، هملع، عافظة، عام، ثاغية، راغبة، حانة، آنة).

٣. العلاقة التي تربط بين هذه الحيوانات أنها حيوانات الصحراء، فلا توجد ضمنها حيوانات القطب الشمالي كالدب، فهو لا يوجد في بيئاتهم، وهذه أشهر الحيوانات التي نجدها في بيئة البادية، فلا غرابة أن تتكرر وتلتحم بحياة أفراد هذه البيئة وتدخل في عباراتهم الإتباعية، وتصبح مضرب أمثالهم.

ب. الصفات: هذه عبارات وردت بها صفات الحيوانات.

قد تسمى الدابة ببعض صفاتها أو أجزاء من جسمها نحو:

(ما له حلوبة ولا ركوبة) أ/ ٤٧.

(ولا رائحة ولا سارحة) أ/ ٥٦.

(قول بائع الدابة: برئت إليك من الجماح والرماح) أ/ ٥٩.

(هو وحيد قحيد) قحيد من قحدت الناقة إذا عظم سنامها أ/ ٦٣.

(ما له سبد ولا لهد) السبد الشعر والوبر، اللبد: الصوف. أ/ ٦٤.

(الإيناس قبل الإبساس) وهو الدعاء والتسكين عند الحلب أ/ ٨١.

(ما له زرع ولا ضرع) أ/ ١٠٢.

(سنام سامك تامك) أ/ ١١٣.

(لا أفعله ما اختلفت الدرة والجرة) الدرة: سيلان اللبن من ضرع الناقة، الجرة ما تجتره، أ/ ٧٧.

(ما عنده شوب ولا روب) الروب اللبن – الشوب العسل أ/ ٤٨.

التحليل صفات موجودات الحقل:

نجد في هذا الحقل صفات حيواناتهم تنوب عن أسمائها، وهنا نرى إبداع المتكلم في التعبير عن الشيء بصفته بدلًا من أسمه، فتكررت صفات مثل:

(حلوبة، وركوبة، ورائحة، وسارحة، وجماح، ورماح، وضرع، وسنام والدرة، والجرة، وشوب).

استخدام المتكلم صفات الحيوانات وألبانها في إبداع عبارته الإتباعية دل على ملاحظته لكل أفعالها وأجزاء جسدها وسلوكها نتيجة معايشته اليومية لها.

النوع الثاني: حقل الإنسان

هناك عبارات تتحدث عن الإنسان وجسده، وقرابته، ومجتمعه، وعمره، وهذه العبارات تدل على تفاعله مع غيره من البشر وملاحظته وتحويله لعبارة إتباعية.

أ- حقل عمر الإنسان:

(ما زال يفعله مُذ شب إلى أن دب) أ/ **٤٧**.

(يسألون المرأة: أشابة أم ثابة) الثابة: الشابة وقيل الهرمة أ/ **٤٧**.

(من شاخ باخ) باخ: سكن وفتر أ/ **٦١**.

(شيخ: تاك فاك) أمالي القالي **٢١٥**.

وفي الجمهرة (عجوزة شهلة كهلة).

ب- حقل القرابة:

ابن عمه لحًّا قحًا)، أي: لاصق النسب أ/ **٦٠**.

ج- حقل جسد الإنسان:

(عين حدرة بدرة) أ/ **٦٩**، ب/ **٢٦**.

(رأس زعر معر) أ/ **٦٩**.

(إنه لحضجر حبجر)، أي: نَدأ/ **٧٠**.

(أشعر أظفر)، أي: طويل الَّشعر والأظفار أ/ **٧٤**.

(هو غض بض)، أي: نَدأ/ **٩١**.

(رجل أشق أمق وضبقً) للطويل أ/ **١١٠**.

(ما له من الشعر قصة ولا نصة) أ/ **٩٠**.

(ضئيل بئيل)، أي: نحَل جسمه ودق أ/ **١١٧**، ب/ **١٤**.

(علجم خلجم) للطويل الضخم. أ/ ١٢١.
(لحمه خظا بظا كظا) إذا كان كثيرًا متراكمًا، ب**٧٢، ١٤**.
(رجل حُطائط بطائط)، أي: قصير غليظ، أ/ **٩٤**، ب**١٨**.
(إنه لخفاف هفاف) إذا كان رشيقًا خفيفًا، ب/١٠٨.
وفي ديوان الأدب للفارابي (أُذن حَشْرَة مَشْرَة) لطيفة حسنة.
وفي الصحاح (شفة باثعة كاثعة)، أي: ممتلئة حمرة من الدم.
(امرأة سبحلة ربحلة)، أي: ضخمة، أ/ **١١٥**، ب/ **٤٩**، القاري **٢١٨**.

النوع الثَالث: حَقل القوى والكائنات فوق الطبيعية

أ. حقل الجان:

تشمل مجموعة من المخلوقات الخفية نحو كائن علوي – روح القدس – الأرواح العظمى، وكذلك القوى أو التشخيصات نحو: إله – نصف إله – شيطان – ملاك عفريت، وقد وردت عبارة تحمل مثل هذه الألفاظ نحو:
(إنه عفريت نفريت) أ/ **٤٩**، ب**٩٨**.
(عفرية نفرية) أمالي القالي **٢١٧**.
(هو شيطان ليطان) أ/**٩٣**، **١٢٦**، ب**٧٥**.
(مجنون محنون) الحن دون الجن أ/ **١٢٦**.

ب. حقل الدعاء:

يُعد الدعاء للإنسان أو عليه رجوعًا للقوة العظمى، قوة الله الخالق سبحانه وتعالى، وهذه العبارات موجودة لديهم بكثرة توجب رصدها ودراستها، منها:
(اللهم أعذه من السامة والهامة) أ/ **١٢١**.
(نعوذ بالله من الترح بعد الفرح) أ/ **٥٦**.
(حياك الله وبياك) ب**٢٤**.
(وراه الله وبراه) ب**٢٧**.
(لا بارك الله فيه ولا تارك) ب**٢٨**، **٤١**.
(أرغمه الله وأدغمه) ب**٤١** والقالي ج**٢/ ٢١٦**.
(قضى الله لك كل حاجة وداجة) ب**٤١**.
(سقاه الله ورعاه) ب**٤٩**.

(خصاه الله وبصاه ولصاه) ب**٧٧**.

(لبيك اللهم وسعديك) ب**٥٤**.

(لحاه الله ووراه) ب**١٠٦**.

(نعوذ بالله من الحور بعد الكور) أ/ **٧٧**.

(نعوذ بالله من الخضوع والقنوع والكنوع) أ/ **٩٩**.

(نعوذ بالله من العنوق بعد النوق) ب**١١**.

(نسأل الله السلامة والغنامة) أ/ **١٢٢**.

(أصلح الله بك السامة والعامة) أ/ **١٢٢**.

(جوعًا له وجوسًا وبوسا) ب/ **٣٠**.

(أشكو إلى الله عُجري وبُجري) ب/ **٢٦** همومي وأحزاني.

(لا دريت ولا تليت) ب/ **٣٠، ١٠**

الحقل الفرعي الثاني: حقل الكائنات غير الحية

تشمل أشياء طبيعية، وأشياء مصنعة أو مركبة، والطبيعي يشمل الجغرافي والمواد الطبيعية ونباتات مختلفة، والمصنع يشمل مواد معالجة ومنتجات مبنية ومنتجات غير مبنية، وفي دراستنا للألفاظ الإتباعية وجدت عبارات تحتوي على هذه الأقسام مثل:

حقل النوع الأول: حقل أشياء طبيعة (رياح – صحراء – نبات)

١ – (جاء بالضيح والريح) الضيح ضوء الشمس أ/ **٥٩**.

٢ – (يقال: بقل ثعد معد) إذا كان غضًا، ثعد: رطب، معد: طرية أ/ **٦٥**.

٣ – (حار يار جار) أ/ **٦٩**.

٤ – (هم أكثر من الطري والثري) الطري: النبات، الثري: التراب أ/ **٧٠**.

٥ – (جاء بالغور والمور) الغور: الماء، المور: التراب أ/ **٧١**.

٦ – (ما عليها سيفة ولا ليفة) أ/ **١٠٥**.

٧ – (رطب سقر مقر) ب/ **٨٥**، أمالي القالي **٢١٣**.

٨ – (عريض أريض) الأريض الخليق للخير الجيد للنبات، القالي **٢٠٩**.

٩ – (رطب تَعْد مَعْد) غض، أمالي القالي **٢١٦**.

١٠ – (ما أفعله ما اختلفت السمَرُ والقَمرُ) أ/ ٧١.

١١- (ما له دار ولا عقار) العقار: النخل والضياع أ/**٧٣**، ب/**٦٤**.
١٢- (ما له ثمر ولا كَسَر) الكسر: جُمَّار النخل أ/**٧٣**.
١٣- (ما له هبع ولا رِبْع) الهبع: ما ينتج في الصيف، الربع ما ينتج في الربيع أ/**٩٨**.
١٤- (ما له زرع ولا ضرع) أ/**١٠٢**.

النوع الثاني: حقل غير طبيعي (مصنع أو مركب)

يضم مواد معالجة /مصنعة مثل: (أطعمة – أدوية – أدوات – عطريات) وهي:
١- عام مثل: طعام/ وجبة/ شراب. **٢**- نباتي مثل: خبز – فاكهة – دقيق.
٣- حيواني مثل: لحم – لبن – سمك. **٤**- توابل مثل: ملح – فلفل – قرفة.
٥- سموم مثل: سم. **٦**- أدوية مثل: مرهم – دهان.
٧- عطريات مثل: عطر – زيت – طيب.

وردت عبارات إتباعية تضم هذه الموجودة في المجتمع العربي، لكن بعضها غير موجودة، وبعضها عُبِّر عنها مباشرة، وبعضها عُبِّر عنها من خلال معان أخرى غير مقصودة، ولهذا يمكن أن ترد العبارة الإتباعية في أكثر من موضع في التقسيم؛ لأنها ستكون في موضع بمعنى، وفي موضع آخر بمعنى آخر كما أوضحت من قبل، وهذا الحقل يتفرع إلى عدة حقول هي:

أ.حقل الطعام:

الطعام غذاء البشر والعنصر الأساسي لبقائهم أحياء على الأرض؛ لذا احتل هذا العنصر مكانة كبيرة في حياتهم وأحاديثهم، وأصبح من الموضوعات الهامة في العبارة الإتباعية، وضرب الأمثال، وقد عُبِّر عنه بطرق مختلفة، منها: الإشارة إلى الطعام بوصفه، أو الإشارة إلى آكله، أو طريقة طهيه مثل:

١- أ/ **٦١** (سليخ مليخ) الذي لا طعم له، ب/**٨٨**، **٨٩**، أمالي القالي **٢١١**.
٢- أ/ **٦٩** (سويق قفار عفار) أي غير ملتوت.
٣- أ/ **٧٩** (ما زيد إلا خبز أو لبز).
٤- أ/ **٨٤** (ما ذاق علوسا ولا لئوسا) الألوس: ما يؤكل ويشرب، ب/**٢٧**.
٥- أ/**٨٧** (عطشان نطشان)، ب/ **٩٤**.
٦- أ/ **٤٥** (إنه لساغب لاغب) ساغب: جائع، لاغب: الكال، ب/ **٧٩**.

٧- أ/ **٥٤** (ما ذاق شماجا ولا لماجا) ب**٧٦**، **٨٠**.
٨- أ/**٨٧** (وقعوا في القبش والربش) الأكل والنكاح.
٩- أ/**١٩٧** (جائع نائع) ب**٩٢**، أمالي القالي **٢١٤**.
١٠- أ/**١٠١** (شرب حتى نقع وبضع)، (ماء نقوع وبضوع)، أي: مُرٌّ.
١١- أ/**٧٦** (هولك خضرًا مضرًا)، أي: هنيئًا مريئًا.
١٢- أ/**٩١** (لحم غريض أنيض) الغريض الطري، الأنيض لم ينضج (النيء).
١٣- أ/**١٠٣** (طعام سيغ ليغ) يسوغ في الحلق، ب/**٧٦**.
١٤- أ/**١٠٦** (فلان يحفنا ويرفنا) يحفنا: يجمعنا، يرفنا: يطعمنا.
١٥- أ/**١١٣** (ما ذاق بكة ولا لبكة)، أي: خالصًا ولا مخلوطًا، ب**٨٠**.
١٦- أ/**١١٨** (إنه لسغل وغل) السغل: سيء الغذاء والوغل:المحتقر القليل، ب **١٠٣**.
١٧- أ/**١٣١** (هناني الطعام ومراني)، أمالي القالي **٢٠٩** (هَنيء مَريء).
١٩- ب/**٢٨** (في الدعاء على الإنسان: جوعًا له، وجوسا، وبوسًا).
٢٠- ب/ **٦١** (أكل طعامًا قفارًا صفارًا).
٢١- ب/ **٨٠** (ما ذقت ذواقًا ولا لماقًا) اللماق الشيء اليسير من الطعام.
٢٢- ب/**١٠٨** (أتيتُه فمناني وهناني).
٢٣- أمالي القالي **٢١١** (مليح قزيح)، وأصل هذين الحرفين في الطعام كامل الحسن.
٢٤- أمالي القالي **٢١٣** (سمج لمج) اللمج: الذي يأكل كل شيء.
٢٥- أمالي القاري **٢١٧** (خظا بضا) بظا بمعنى خظا، أي: كثرة اللحم.

ب.حقل الدواء :

لم نجد أي عبارة إتباعية تعبر عن الدواء، ولكن عبارات تشير إلى الألم والتوجع وأنواع المرضى؛ ولهذا سنؤجل الحديث عنها إلى موضعها، وهو حقل المجردات، والذي يشمل فيما يشمل: الحالة الصحية.

ج.حقل العطور:

لم ترد أي عبارة بها حديث عن عطور هذه الفترة.

د.حقل مواد مبنية –وغير مبنية:

مثل الأسلحة – دار – سفينة...

أ/ **٩٤** (سيف سُقاط سُقراط) إذا سقط من وراء الضريبة.

أ/ **٧١** (ما لبيت فلان أهرةٌ ولا ظهرة) الأهرة جيد المتاع والظهرة: ما استظهر به من دون ذلك.

أ/ **٧٣**، ب **٦٤** (ما له دار ولا عقار).

القسم الثاني من الحقول: حقل الأحداث

تتعد الأحداث التي تمر بالإنسان في حياته اليومية، وقد احتلت مكانة كبرى في هذا المعجم نظرًا لكثرة الأحداث التي يعيشها الإنسان في كل لحظة من يومه، وقد وردت عبارات إتباعية كثيرة تدخل ضمن هذا الحقل، وقد قُسمت الأحداث في نظرية الحقول الدلالية إلى هذه الحقول، وهي:

١- حقل الأحداث الطبيعية:

أ- مناخ: ريح عاصف – مطر.

ب- أصوات: قصف – زئير.

ج- احتراق: دخان – حريق.

٢- حقل نشاط مُركب:

أ- زراعة: يزرع – يحصد. ب- إنشاء: يبني – يهدم.

ج- إعداد طعام: يطبخ – يجهز وجبة. د- محل ملابس: يخيط – يفصل.

هـ- استخدام حيوانات أليفة – يرعي يربي.

و- شعائر دينية: يختن – ضَحَّى.

٣- حقل نقل:

أ- توزيع: يوزع – يعطي – يقسم. ب- تسليم: يأخذ – يقبل – يربح.

ج- نقل بالقوة: يسرق – يستولي على. د- نقل تجاري: يبيع – يشتري.

هـ- نقل للنفع: يستثمر – يُودع.

٤-حقل صدم:

أ- كسر: حطم. ب- سحق: سحق- يفتت.

ج- قطع: يجرح – يقطع. د- ضرب: صدم – ضرب – دق.

هـ- قتل: قتل – ذبح. و- تحطيم: يدمر – يحطم.

٥- حقل الوظائف:

أ- أصلي: يتغذى – يرضع. ب- إعادة إنتاج: يلد – يحمل.

ج- نوم يقظة: ينام – يستيقظ. د- موت: يغرق – يموت.

٦- حقل الحركة:

أ- عام: يتحرك – يسافر. ب- في اتجاه: يذهب – يأتي.

ج- كيفية الحركة: يمشي – يجري – يقفز.

د- وسيلة الحركة: يعوم – يطير.

هـ- ارتباط: يقود – يحضر – يصاحب.

٧- حقل التحكم:

أ- يحكم: يحكم – يطيع. ب- تمرد: يخالف – يرفض – يهرب.

ج- تحتكم: يهزم – يستولي – يقبض على. د- عقوبة: يعاقب – يؤدب.

٨- حقل الإحساس:

أ- سمع: يسمع – ينصت. ب- لمس: يلمس – يشعر.

ج- إبصار: يرى – يبصر – يلاحظ. د- تذوق: يتذوق.

هـ- شم: يشم.

٩- حقل التوافق:

أ- مجيء معًا: يرتبط – يتح - ينضم. ب- يتودد: يزور - يستضيف.

ج- معارضة: يعارض – يحارب – يجانب. د - زواج: يتزوج – يطلق.

هـ- علاقات شخصية: يتولى – يعفو – يحترم – يقدر.

١٠- حقل الاتصال:

أ- غير نطقي: ضحك – بكاء – عويل.

ب- كلامي: يتكلم –يتحدث – يصيح.

ج- قراءة كتابة: يكتب – يقرأ. د- ديني: يصلي – يقسم.

هـ- تعليمات: يعلم – يشرح – يقنع. و- حوار: يتناقش – يناظر.

ز- أمر: يطلب – يأمر.

١١- حقل الفكر:

أ- تفكير: خطة – سبب – استنتاج.

ب- ذاكرة: يتذكر – ينسى – يستدعي.

ج- قرار: يقرر – يقضي – يصمم. د- إدراك: يتعلم – يتعرف.

١٢- حقل الانفعال:

أ- رغبة: حب – رغبة – شهوة. ب- معارضة: كراهية – غيرة.

ج- خوف: يخاف – يقلق. د- حزن: يحزن يتأسف.

هذه مجموعة الأحداث أو الأفعال التي يمكن أن يقوم بها الإنسان أو تحدث في محيط حياته جُمعت في إطار حقول مختلفة، ولأننا ندرس العبارات الإتباعية، وهي تحتوي على أحداث وأشخاص تقوم بهذه الأحداث فمن الممكن أن ترد العبارة الواحدة في أكثر من حقل دلالي، فهي هنا ضمن حقل من حقول الأحداث المختلفة، وهي (ذاتها) هناك ضمن حقل الموجودات، حيث تقع في إطار حقل الموجودات التي تشير إلى شيء ما، وهذا يجعلنا ربما نلتقي بها في حقل ثالث أيضًا يرتبط بمجموعة من العلاقات أو مجموعة من المجردات، حيث تشتمل العبارة نفسها على أكثر من عنصر يمكن أن يجعلها تقع في إطار أكثر من حقل.

ونظرًا لما يشمله حقل الأحداث من أحداث كثيرة؛ فسنقسم هذه العبارة حسب ما تتضمنه من أحداث مختلفة، وعلى الرغم أن من مبادئ نظرية الحقول الدلالية أنه لا وحدة معجمية Lexeme عضو في أكثر من حقل، إلا أننا سنرى العبارة الإتباعية عضوًا في أكثر من حقل، حيث العبارة تحتوي على أكثر من وحدة معجمية؛ فهذا هو السبب في وجودها في أكثر من حقل دلالي، وسوف نشير فقط إلى الأحداث التي وردت فيها هذه العبارات:

الحقل الفرعي الأول: حقل النشاط المركب

النوع الأول: حقل إعداد طعام

١- (سويق قفار عفار) غير ملتوت، أ/ **٦٩**.

٢- (طعام قفارًا صفارًا)خالي من الأُدم، ب/ **٦١**.

٣- (مليح قزيح) طعام كامل الحسن، القالي **٢١١**.

النوع الثاني: حقل إعداد الثياب

١- (يُقال للثوب إذا كفه وشَدَّه: هو يحنوه ويرفوه) أ/ **١٢٩**.

٢- (هو جارف مارف) إذا قدم واملاسَّ ولان، أ/ **١٢٥**.

٣- (وقد شاصه وماصه)، أي: غسله، أ/ **٨٩**.

النوع الثالث: حقل الشعائر الدينية

١ - (أقبل الحاج والداج) ب/**٤٢**.

٢ - (بَسْلا وأسلا)، أي: حرام محرم، ب/**٥**.

٣ - (هو حل وبل)، أي: مباح، أ/**١١٥**، ب/**٢٣**.

٤ - (إنه لرجس نجس) ب/**٩٩**.

الحقل الفرعي: حقل الصدام

يشمل هذا الحقل كل ما يتصل بالصدام من كسر وقتل وتحطيم وضرب.

النوع الأول: حقل الصدام وأنواعه

١ - (إنه لمعفت ملفت) ب/٨٣، أمالي القالي **٢١٨**.

٢ - (إنه شقيح لقيح) أ/**٥٥**.

٣ - (خطه ولبطه) أ/**٩٤**.

٤ - (هم بين حاذف وقاذف) أ/**١٠٥**.

٥ - (رمى فما أصمى ولا أنمى) أ/**١٢٢**.

٦ - (والله ما أبقيت ولا أرعيت) أ/**١٣٠**.

٧ - (حائر بائر) القالي **٢١٣**.

٨ - (ذهب دمه خضرًا مضرًا) أ/٧٦ القالي **٢١٢**.

٩ - (ما له تَلَّ وغلَّ) أ/١١٧، ب/٦٩.

١٠ - (ضال تال) أ/١١٧، ب/٣٠، القالي **٢١٤**.

١١ - (أخذه لغنطه وكنطه) ب/٧٣.

١٢ - (له الويل والأليل) ب/٨.

١٣ - (ما له جَرب حَرب) ب/٣٨.

النوع الثاني: حقلَ الساعي إلى الصدام (الشرير)

١ - (هذا الشر والبر) (هذا الشّر والعرّ) أ/**٧٥**.

٢ - (شرَّ شمر) أ/**٧٣**.

٣ - (إنه لشقي لقي) أ/**١٢٩**، ب/٧٨.

٤ - (هو يشاره ويهاره ويزاره) أ/٧٦.

٥ - (هو خاسر دامر دابر) أ/٧٣، ب/**٤٣**، القالي **٢١٤**.

ج- حقل نتائج الصدام:

١- (خراب يباب) أ/ **٤٦**، ب/ **١١١**.

٢- (نسأل الله السلامة والغنامة) أ/ **١٢٢**.

٣- (تركنا الديار بلاقع صلاقع) ب/ **٦٠**.

الحقل الفرعي الثالث: حقل الوظائف الحيوية

النوع الأول: حقل النوم

١- (هو سهد مهد)، أي: حسن، سهد: ذو يقظة أ/. **٦٥**

٢- في الدعاء عليه (ما له سهر وعبر) سهر: أرق، عبر: حزن أ/**٧٨**.

٣- (إني لأبغض اللومة والنومة)، أي: يلوم الناس، ينام كثيرًا أ/ **١٢٢**.

النوع الثاني: حقل الموت

١- (لك مني ما عظاك وشراك) ب/**٥٨**.

٢- (له الويل والعول) ب/**٦٨**.

٣- (ما أشره وأمره) أكثر شره ب/**٨٨**.

٤- (وراه الله وبراه) ب/**٢٧**.

الحقل الفرعي الرابع: حقل التحكم

١- (أنا من هذا الأمر البراء والخلاء)، أي: متخل عنه أ/ **١٣١**.

٢- (ما رزأته قبالًا ولا زبالًا) زرأته: ما ظلمته وما نقصته أ/ **١١٩**.

٣- (عدل غير جدل) الجدل: الجور والميل أ/ **١١٦**.

٤- (إنه لمضيم هضيم) لمحتقر، هضمه: ظلمه أ/ **١٢١**.

٥- (رجل باخس ماكس)، أي: ظالم ناقص أ/ **٨٣**.

٦- (ما له عال ومال)، أي: جار وظلم ومال عن الحق أ/**١١٨**، ب**٦٣**.

الحقل الفرعي الخامس: حقل الحركة

هناك عبارات كثيرة تشير إلى الحركة بأنواعها المختلفة نحو:

١- (امرأة خفوت لفوت) الخفوت الساكنة، اللفوت: تلفت نفسها عما يكره أ/ **٤٩**.

٢- (فرس صلتان فلتان) إذا وصف بالنشاط وحدة الفؤاد، أ/ **٤٩**.

٣- (تركت خيلنا أرض بني فلان حوثا بوثا)، أي: أثيرت بحوافر الدواب أ/ **٥١**، ب/ **١٩**.

٤- (بث ونث) فرقهما ونشرهما (الشيء – الخبز) أ/ **٥١**.
٥- (إنه معفت ملفت)، أي: اللي الشديد، ويدق أي شيء أ/ **٤٩**.
٦- (حث ونث) حضه عليه وندبه أ/ **٥١**.
٧- (عاث وهاث) أفسد وأتلف أ/ **٥١**.
٨- (ما عنده على أصحابه تعريج ولا تقويج)، أي: إقامة أ/**٥٣**.
٩- (رجل خراجة ولاّجة) كثير الخروج والولوج أ/ **٥٤**.
١٠- (ذهب ما له شذر مذر)، أي: تفرق في كل مكان ب/٨٧.
١١- (تفرقوا شغر بغر، وشذر مذر) أ/ ٧٠، ب/١٧.
١٢- (هو فَزَّ بَزَّ)، أي: خفيف متوقد أ/ **٧٩**.
١٣- (تعس وانتكس)، أي: سقط، وهوى كما ارتفع أ/**٨٣**.
١٤- (ويقال لطالب الليل: إنه لجواس حواس) أ/**٨٣**.
١٥- (أرسل إليه بالهواء واللواء فلم يأته)، أي: يقبل ويدبر في اللين والشدة ب/ **٨٤**.
١٦- (صلمع الشيء وقلمعه)، أي: قلعه من أصله أ/ ١٠٠.
١٧- (ما به حبض ولا نبض)، أي: حراك أ/ **٩١**، ب/ ١٠٠.
١٨- (ما به نويص ولا لويص)، أي: حراك أ/ **٨٩**.
١٩- (هو عابس كابس) الذي يضرب بلحيته على عظم زوره أ/ **٨٤**.
٢٠- (رجع إلى حنجه وبنجه)، أي: أصله أ/ **٥٤**.
٢١- (ويقولون للصبي في الترقيص: حدارج ندارج) أ/ . **٥٤**
٢٢- (فرس عوج موج) واسع الخطو، الموج كأنه يموج أ/ **٥٤**.
٢٣- (ذهب في الضلال والألال) أ/ ١١٨.
٢٤- (أين سقع وبقع)، أي: ذهب أ/**٩٧**.
٢٥- (فلان ذو هشاش وأشاش)، أي: نشاط وإقبال على العمل أ/**٨٧**.
٢٦- (إنه لخفاف هفاف) لو كان خفيفًا رشيقًا فيما أخذ فيه من العمل ب/ ١٠٨
٢٧- (وهو عَرِص هبص)، أي: نشط أ/ **٨٩**.
٢٨- (امرأة طَلعة قبعة)، أي: تطلع مرة، وتقبح في دارها أ/ **٩٩**.
٢٩- (خفيف ذفيف) الذفيف: السريع أ/ ١٦٠، ب/**٤٥**، القالي **٢٠٩**.
٣٠- (ولع تلع وزع) سريع إلى الشر أ/ ١٠٠.

الحقل الفرعي السادس: حقل الإحساس

النوع الأول: حقل التذوق

١ - (ما ذاق علوسًا ولا لئوسًا) ما يُؤكل ويُشرب أ/ **٨٤**، ب/**٢٧**، **٨١**.

٢ - (ما ذاق شماجًا ولا لماجًا) أ/ **٥٤**، ب**٧٦**، . **٨٠**

٣ - (ما ذاق عبكة ولا لبكة)، أي: خالصًا ولا مخلوطًا. أ/ **١١٣**، ب/ **٨٠**.

٤ - (ما ذقت ذواقًا ولا لماقا) اللماق الشيء اليسير من الطعام ب/ **٨٠**.

النوع الثاني: حقل اللمس

١ - (حاسه وباسه)، أي: حركة وذهب به أ/ **٨٣**.

٢ - (لا حساب ولا مساس) أ/ **٨٢**.

النوع الثالث: حقل السمع

١ - (ما سمعت له حسًا ولا جرسًا)، أي: حركة أو صوتًا أ/ **٨٢**.

٢ - (ضربه فما قال: حس ولا بس) أ/ **٨٤**، ب**١٦**.

٣ - (كثرت هساهسه ووساوسه) الصوت الخفي، الهساهس حديث النفس أ/ **٨٢**.

٤ - (ما سمعت منه زأمة ولا نأمة ولا زجمة ولا كتمة)، أي: صوت أو كلمة أ/ **١٢٣**.

٥ - له أصيص وكصيص وبصيص ب/ **٢١**.

٦ - (شهير جهير) في الخلق والصوت أ/ **٧٠**.

الحقل الفرعي السابع: حقل التوافق

(إنه لرقيق وفيق) من الموافقة ب/**١٠٣**.

الحقل الفرعي الثامن: حقل الاتصال

النوع الأول: حقل العلم والمهارة

١ - (إنه لثقف لقف)، أي: بين الثقافة ب/ **٧٩**.

٢ - (إنه ذو حصاة وأصاة) الحصاة: العقل والأصاة الرزانة أ/ **١٣٠**.

٣ - (إنه لمجرب مدرب)، أي: مجرب أ/**٤٧**.

٤ - (إن فلانًا لمرس ضرس) إذا عالج أمور وزاولها أ/**٨٣**.

٥ - (هو حاذق باذق) الحاذق الماهر أ/ **١٠٩**، ب**٢٠**.

٦- (رجل طَبٌّ لَبٌّ) الطب: العالم الحاذق، اللب العقل أ/**٤٨**.

٧- (إنه لطبيب لبيب) ب/**٨٢**.

النوع الثاني: حقل غير نطقي (الضحك – الفرح)

١- (حياه الله وبياه) حياه ملكه وبياه أضحكه أ/ **١٣٠**، ب/ **٢٤**.

٢- (هو بطر أشر) مرح، وبطر: كفر بالنعمة أ/ **٧٤**.

٣- (هو أشر أفر) إذا مرح وبطر أ/**٧٨**، ب**٧**، القالي **٢١٢**.

النوع الثالث: حقل نطقي كلامي

١- (رجل لَقَّ بق) بقباق كثير الكلام أ/ **١٠٩**.

٢- (إنه لهذر مذر) الهذر الكثير الكلام ب/**٨٦**، القالي **٢١٢**.

٣- (هو طلق ذلق) طلق فصيح، والذلق حدة الشيء أ/ **١٠٩**.

٤- (جاءنا بالكلام سهوًا مهوًا) ب/ **٨٩**.

النوع الرابع: حقل شيوع الخبر

١- (عرف ذاك البادي والقادي) القادي: الآتي أ/ **٦٥**.

٢- (شائع ذائع) شاع الخبر وذاع أي فشا وانتشر أ/**٩٧**.

٣- (ما يخفى هذا على الهيدان والريدان)، أي: على المقبل والمدبر ب/**٤٦**.

النوع الخامس: حقل الحاجة

١- (مالي فيه حوجاء ولا لوجاء) أ/**٥٣**، ب/ **٧٩**.

٢- (قضى الله لك كل حاجة وداجة) ب/ **٤١**.

٣- (شكوت إليه شقوري وفقوري) شقوري: حاجتي وفقوري ب/ **١٧٠**.

الحقل الفرعي التاسع: حقل الفكر: الإدراك والعلم.

١- (ما أري ما يحاول أو يزاول) أ/ **١١٦**.

٢- (رجل صمعة لمعة) الصمع ذكاء القلب أ/ **١٠٢**.

٣- (لا يعرف القطاة من اللطاة) القطاة موضع الردف، اللطاة الجهة أ/ **١٢٩**.

٤- (ما يعرف هرًا من بر) أ/ **٧٣**.

٥- (لا دريت ولا تليت) أ/ **١٣١**، ب/ **٣٠**.

٦- (ما يعرف لحذروف من القذروف) الحذروف لعبة الصبيان والقذروف العيب أ/ **١٠٥** .

الحقل الفرعي العاشر: حقل الانفعال

النوع الأول: حقل الكره

(إني لأبغض الأملح الأقلح) الملحة: بياض الشيب، والقلح صفرة الأسنان أ/ **٥٦**.

النوع الثاني: حقل الحب

(رجل عاشق وامق) وامق محب، ب**١٠٥**.

النوع الثالث: صبر

(هو جلد نجد)، أي: عون أ/ **٦٥**.

(رجل هاع لاع) قليل الصبر جبان ب/ **١٨٢، ٨٢**.

النوع الرابع: حقل الخوف

(له من فَرَقه أصيص وكصيص)، أي: ذُعْرٌ وانقباض أ/ **٧٩**، ب/ **٢١**.

(ددناه خائباً هائباً) الهائب الخاف ب/ **١٠٨**.

(وللجبان: هاع لاع)، (هائع لائع)، أي: جبن وفزع أ/ **٩٧**.

(لم يبق منه ثبت ولا هبت)، أي: جبان ولا شجاع أ/ **٥٠**.

النوع الخامس: حقل الحزن والندم

١- (نادم سادم) السدم الندم والحزن والهم أ/ **١٢١**، ب/ **٥٤**.

٢- (نكدا له وجحدا) ب/ **٣٦**، أ/ **٦٣**.

٣- (ما له هم ولا سدم)، أي: حزن أ/ **١٢٤**.

٤- (هو تاسع واعس) عاثر الحظ أ/ **٨٤**، ب/ **١٠٣**.

٥- (رجل أيمان عيمان) ب/ **٦٤**، أيمان: ماتت زوجته، عيمان: هلكت إبله ب/ **٦٤**

٦- (نهره وبهره)، أي: غمه وغاظه أ/ **٧٥**.

النوع السادس: حقل الغضب

١- (جاء مستغمدًا مستميدًا)، أي: غضبان تورم وجهه من الغضب. أ/ **٦٣**.

٢- (قد هلع وشكع) ضجر، أ/ **١٠١**.

٣- (عبد عليه وأبد)، أي: غضب عليه ب/ **١١**.

٤- (رجل عابس كابس) العابس من عبوس الوجه، وكابس يكسبه، ب/ **٧٣**.

النوع السابع: حقل الحب بين الزوجين

١- (حظيت المرأة عند زوجها وبظيت) أ/**٩٥** ب/**١٩**، القالي **٢١٧**.

٢- (سدحت المرأة عند زوجها وردحت)، أي: أخصبت ب/**٤٦**.

٣- (لاقت المرأة عند زوجها [وراقت][1]) لصقت بقلبه، القالي/ **٢١٧**.

النوع الثامن: حقل الخيبة والفشل

١- (خائب هائب) المزهر **٤١٩**/ ج**٢**، أ/**٤٦**.

٢- (خيَّاب تياب) أ/**٤٦**.

٣- (رجل خائب لائب) اللائب: الذي يلوب بالشيء يطلبه كالعطشان، أ/**٤٧**.

النوع التاسع: حقل سوء الخلق

١- (إنه لفاضح ماضح)، أي: عائب، أ/**٥٨** - **٢٤** - (ولع تلع وزع) سريع للشر. أ/**١٠٠**.

٢- (سغل وغل) سغل سيء الخلق وغل سيء الغذاء، القالي **٢١٣**.

٣- (إنه لفظ بظ) بظ جاف غليظ، الفظ: الجاف سيء الخلق، أ/**٩٥**.

٤- (ما أشره وأمره) ما أكثر شره ومرارته، ب/**٨٨**.

٥- (إنه لشقي لقي)، أي: يلقي شرًا، أ/**١٢٩**.

٦- (خزيان سوآن) سوآن بمعنى قبيح، القالي/**٢٠٩**.

٧- (عمل محطوط مربوط)، أي: المُسْفِل المرزول السيء، أ/**٩٣**.

٨- (يقولون: ذاك من شوسه وتوسه)، أي: خلقه، أ/**٨٤**.

٩- (ويقولون هو شكس نكس)، أي: عسر، أي: الصعب الخلق القَسرة. أ/ **٨٤**.

١٠- (يقال للرجل: بهظة وكظة)، أي: عسير متشدد، ب/**١٧**.

١١- (خبيث نبيث) ب/**٩٥**، القالي/ **٢٠٩**.

١٢- (شقيح نبيح) أ/ **٥٩**، نبيح: الكلب.

١٣- (هو همزة لمزة) الهزة هامز بالألقب، واللمزة العياب، أ/ **٧٩**.

١٤- (رجل باخس ماكس) ظالم ناقص، أ/**٨٣**.

١٥- (وفيه لكاعة ووكاعة) اللكاعة في الخق -الوكاعة في الخَلْق، سيء الخلق والخلق أ/**٩٨**.

١٦- (رجل كفرين عفرين)، أي: خبيث، في مختصر العين.

---

(١) زيادة لازمة ليست في الأصل.

١٧- (نذل رذل)، أي: تزدريه في خلقه وعقله، أ/ **١١٥**.

١٨- (إنه لوتغ بدغ) يُقال لفاسق، ب/ **٢٠**.

١٩- (أصبح الرجل شوبًا زوبا)، أي: خبيث النفس، ب/**٤٧**.

٢٠- (إنه لشكس لقس) اللقس خبيث النفس، ب/**٨٣**، القالي **٢١٣** (شكس لكس).

٢١- (إنه لسملع هملع)، أي: خبيث، ب/ **١٠٩**.

٢٢- (رجل حطيء نطيء) رذل، في الصحاح.

٢٣- (إنه لحزن شزن) عسر في خلقه أ/ **١٢٥**.

القسم الثالث من الحقول: حقل المجردات

ويشمل كل المجردات، ويقصد بها كلمات تشير لأشياء لا تُرى بالعين، ولكن تُدرك بالعقل ولها أسماء كالحرية، والاشتراكية، والعبودية، والشجاعة... إلخ.

١- الحالة الصحية: (مريض – سليم – صحيح).

٢- الطاقة: (قادر – عاجز – قوي – ضعيف).

٣- جودة: (حسن – رديء – صواب – خطأ).

٤- مرتبط بالحقيقة: (صادق – كاذب – أمين).

٥- عمر: (عجوز – عتيق – صغير).

٦- جاذبية: (جميل – قبيح).

٧- مميز ديني: (مقدس – نظيف).

٨- مركز مالي: (غني – فقير).

٩- عدد: (واحد – اثنان).

١٠- لون: (أسود – أبيض).

١١- حرارة: (حار – بارد).

١٢- سرعة: (بطيء – سريع).

١٣- مقدار: (قنطار – كلية).

١٤- مسافة: (ذراع – قدم – يوم رحلة).

١٥- وقت: (يوم – شهر – سنة مستقبل)[١].

---

(١) علم الدلالة، ٨٧-٩٣.

ومثل هذه المعاني المجردة موجودة في كثير من العبارات الإتباعية ونذكر بعضًا منها تحت كل عنصر مما سبق نحو:

الحقل الفرعي الأول: حقل الحالة الصحية

١- (حَرِب جرِب)، أي: متوجع (المزهر/ ٢/ ٤٢٠) (وأرب جَرِب) في أ/ ٤٨.

٢- (أخرسَ أمرسَ) لا يتكلم أ/ ٨٣، وفي الصحاح (أخرس أضرس).

٣- (ما يألو فلان خرشا ومرشا) المرش الحك بالأظافر أ/ ٨٧.

٤- (هو أعمش أرمش)، أي: في عينه ضعف، أ/ ٨٧.

٥- (ما بعينه حوص ولا خوص) الحوض: ضعف العين، والخوص انكسارها أ/ ٩٠.

٦- (ما له من الشّعْر قُصة ولا نُصة) أ/ ٩٠.

٧- (اصابته خبطة ونبطة)، وهي الزُكمة، أ/ ٩٣.

٨- (ذهبت البليلة بالمليلة) البليلة الصحة بعد المرض والمليلة حرارة الحمى أ/ ١١٦.

٩- (هو زمن ضمن)، أي: مريض وصاحب عاهة أ/ ١٢٥.

١٠- (لحاه الله ووراه) معناه، أي: قشره – الورى الداء، ب١٠٦.

١١- (الهياط والمياط)، وهو الجهد والعلاج أ/ ٩٤.

الحقل الفرعي الثاني: حقل الجنون والعقل

ويتبع حقل الحالة الصحية حقل الجنون والعقل، وقد تحدث عنهما العربي بكثرة نحو:

١- (أحمص أحمق زبعبق) الأحمق عديم العقل، الزبعبق: سيء الخلق أ/ ١١.

٢- (يقال للأحمق هفات لفات) أ/ ٥٠.

٣- (يُقال للأحمق: إنه لمأسوس ممسوس) أ/ ٨٣.

٤- (هو مائق دائق) المائق الهالك حمقًا وغباوة أ/ ١٠٩، ب٤٢.

٥- (هو نَزق بَرق) النزق الخفيف الطياش، البرق الحيران. أ/ ١١١.

٦- (يقال: َأحمق تلك فاك وتائك) الهالك حقًا. أ/ ١١٤. ب٢٩.

٧- (مجنون محنون) أ/ ١٢٦، ب٣٧، (مجنون مخنون) ب٣٩.

٨- (أحمق بَلْغ مَلْغ)، أي: يبلغ ما يريد أ/١٠٣، القالي/ ٢١٦. ب/٩١.
٩- (أحمق أزبق) الأزبق الذي ينتف لحيته من حمقه ب/٥٠.
١٠- (فَدْم لدم) الفدم العيِّ البليد الجبان، القالي/ ٢١٦.
١١- (ماله حم ولا رم) الحم القصد والرم الإصلاح، ب٤٨.
١٢- (ما له هُلاس ولا سُلاس)الهُلاس: نحول البدن، والسُلاس: ضعف العقل أ/٨٢.
١٣- (إن فلانا لذو حجر وزبر) للعاقل أ/٧٦.

الحقل الفرعي الثالث: حقل الطاقة (القوى –الضعف...)

١- (تعس وانتكس) التعس السقوط، الانتكاس، أي: يسقط كلما ارتفع أ/٨٣.
٢- (هو ضعيف نعيف) أ/١٠٦، ب/٩٥.
٣- (ضئيل بئيل) وقد ضؤل وبَؤل، أي: نحل جسمه ودق. أ/١١٧.
٤- (هو عَسيٌّ شيٌّ) ما أعياه، أي: أعجزه. أ/ ١٣١، ب٥٧.
٥- (هو شَديد أديد) أ/٦٣ وب٤، ٧٦ لديد.
٦- (هو سيِّد أيد) وهي القوة أ/ ٦٤.
٧- (إنه لخسْل فَسْل) للضعيف الدون أ/١١٥.
٨- (خبرته بعجري وبجري) ص٧٤، ب٢٥.
٩- (رجل وكلة ونكلة) ضعيف يتكل على غيره. أ/١١٩.
١٠- (مهين وهين)، أي: ضعيف من الوهن، المهين الضعيف الحقير أ/١٢٥.
١١- (إنه لجريء بذيء) شديد الإقدام فَحَّاش اللسان أ/ ١٣٠.
١٢- (هلع جشع)، أي: جزوع حريص أ/٩٨.
١٣- (لم يبق منهم ثبيت ولا هبيت)، أي: جبان ولا شجاع. أ/.٥٠
١٤- (ما به نطيش ولا نويص)، أي: ما به قوة ب/.١٠٠
١٥- (هو طريح طليح) إذا أنهكه السفر أ/٥٨.

الحقل الفرعي الرابع: حقل الجودة (حسن/ رديء –صواب/ خطأ)

١- (لم يبق منهم صالح ولا طالح) أ/٥٨.
٢- (ما عنده خير ولا مير) ب٩١.
٣- (خراب يباب) اليباب الخالي الذي لا شيء فيه أ/٤٦، ب/١١١.

٤- (فلان لا يغير ولا يمير) أ/ ٧١.
٥- (فلان لا في العير ولا في النفير)، أي: لا في السواد ولا في المقاتلة أ/ ٧١.
٦- (إنه لمجرب مدرب)، أي: مجرب أ/٤٧.
٧- (رجل طب لب) الطب العالم الحاذق، اللب العقل أ/٤٨.
٨- (هو حاذق باذق) ماهر في كل عمل أ/ ١٠٩ ب/ ٢٠.
٩- (إنَّه لشقي لقي) ب/٧٨.
١٠- (عزيز مزيز)، أي: فاضل أ/ ٨٠، ب/٧٨. عزيز لزيز.
١١- (مليح قزيح) أمالي القالي ٢١١.
١٢- (إنه لجديد قشيب) القشيب الجديد، ب/ ٧٢.

الحقل الفرعي الخامس: حقل الحقيقة (صادق - كاذب - أمين...)

١- (رجل مليء وفيء)، أي: ثقة ب/ ١٠٥.
٢- (خَبٌّ ضبٌّ) خب خَدَّاع، ضب: بخيل ممسك. أ/ ٤٨.
٣- (مرة تحت قرة) للذي يخفي أمرًا ويظهر غيره. أ/ ٧٤.
٤- (ما حثه إلا الصُّقُر والبُقر)، أي: الكذب أ/٧٨.
٥- (لا يُدالس ولا يوالس) المدالسة الخيانة، الموالسة الخداع أ/ ٨١.
٦- (جاء بُعلق قُلق)، أي: جاء بالداهية أ/ ١١١.
٧- (إنه لوكيع لكيع)، أي: لئيم ب/ ٧٧.
٨- (رجل أُمنة أُذنة) يأمن كل أحد ويصدق بكل ما يسمع أ/ ١٢٦.
٩- (إنه لثقة نقة) ب/٩٨، أي: يوثق به.

الحقل الفرعي السادس: حقل عمر الإنسان (عجوز/ عتيق/ صغير)

١- (إنه لحقير نقير) الحقير الصغير الذليل ب/٩٦.
٢- (ما زال يفعله مُذْ شَبَّ إلى أن دَبَّ) أ/ ٤٧.
٣- (يسألون المرأة: أشابة أم ثابة) الثابة: الشابة وقيل الهرمة أ/ ٤٧.
٤- (مَنْ شاخ باخ) باخ سكن وفتر أ/ ٦١.
٥- (شيخ تاك فاك) أمالي القالي ٢١٥.

الحقل الفرعي السابع: حقل الجاذبية (جميل - قبيح)

١- (هو صَيِّر وشَيِّر) ذو صورة وشارة حسنة. أ/ ٧٠.
٢- (هو شهير جهير) في الخلق والصوت. أ/ ٧٠.

٣- (ذهب حبره وسبره) الحبر والسبر: الجمال والبهاء. أ/ **٧٢**.

٤- (هو شنيع قنيع)، أي: جميل فاضل. أ/ **٩٩**.

٥- (إنه لقسيم وسيم)، أي: قاسم في الحسن. أ/ **١٢١**، ب**١٠٧**، القالي **٢١٠**.

٦- (حسن بسن قسن) أ/ **١٢٥**، ب**١٢**، **٧١**، القالي **٢١٦**.

٧- (إنه لغريٌّ شهي)، أي: جميل تهواه. أ/ **١٣١**.

٨- (إنه لجميل بكيل) ب/ **١٣**، **٧٥**.

٩- (ما فيه قذ ولا نقذ)، أي: ما فيه عيب. ب/ **٩٦**.

١٠- (خزيان سوآن) سوآن بمعنى قبيح القالي/ **٢٠٩**.

١١- (سميح لميح) أ/ **٥٣**، ب/ **٧٦** السميح القبيح، اللمج كثير الأكل والجماع.

١٢- (قبيح شقيح) قبحه الله. أ/ **٥٦**، ب/ **٥٥**، **٧٦**، القالي **٢١٠** شقيح إتباع.

١٣- (إني لأبغض الأملح الأقلح) الملحة: بياض الشيب، والقلح صفرة الأسنان أ/ **٥٦**.

١٤- (شقيح نبيح) شقيح من القبح، نبح الكلب. أ/ **٥٩**.

١٥- (شفة كاثعة باثعة) إذا ظهر دمها وهو مستقبح. أ/ **٩٨**.

١٦- (وفيه لكاعة ووكاعة) اللكاعة: في الخُلُق – الوكاعة: في الخَلْق. أ/ **٩٨**.

١٧- (أفّ له، وتفّ له) أف: وسخ الأذن – تف: وسخ الأظفار أ/ **١٠٥**، ب**٣٣**.

١٨- (يقال في الزم: نذل رزل)، أي: تزدريه في خلقته وعقله أ/ **١١٥**.

الحقل الفرعي الثامن: حقل المميز الديني (مقدس)

١- (زمزم هي للشارب: حِلٌّ وَبِلٌّ) المزهر **٤١٥**/ج**٢**.

٢- (أقبل الحاج والداج) ب**٤٢**.

الحقل الفرعي التاسع: حقل اللون: (أبيض – أحمر)

١- (أحمر أفشر)، أي: شديد الحمرة أ/ **٧٣**.

الحقل الفرعي العاشر: حقل الحرارة(حار – بارد)

١- (يوم عليك أكيك) شديد الحرارة ب٨، القالي **٢١٥** (عك أك).

٢- (حار يار جار) أ/ **٦٩**، ب**٣٥**.

٣- (رجل حَرَّان يَرَّان) ب١١١، القالي/ **٢١٣**.

الحقل الفرعي الحادي عشر: حقل السرعة (بطيء – سريع)

١- (خفيف ذفيف) الذفيف السريع. أ/١٠٦، ب/**٤٥**، أمالي القالي/ **٢٠٩**.

٢- (مهلا بهلا). أ/١١٨.

٣- (إنه لعجل بجل). ب/ ٢٠.

٤- (إنه لولع ترع) السريع إلى الشيء هو الترع، ب/ **٣١**.

٥- (ولع تلع وزع) سريع للشر أ/ ١٠٠.

٦- (رجل عوق لوق) إذا كان ذا احتباس في أمره. أ/. ١١١

٧- (فَزَبَرَّ) وهو الخفيف المتوقد. أ/ **٧٩**.

٨- (إنه لخفاف هفاف) إذا كان خفيفًا رشيقًا فيما أخذ فيه من عمل. ب١٠٨.

٩- (فرس عوج موج) واسع الخطو كالموج (سبق تحليلها).

الحقل الفرعي الثاني عشر: حقل العدد (واحد – اثنان – قليل – كثير)

١- (جاءنا واحدًا قاصدًا)، (وجاءنا واحدًا فاردًا) ب**٦٩**، **٧٠**.

٢- (رأيت القوم أجمعين أبصعين) أمالي القالي **٢١٧**.

٣- (طفت بالداء جمعاء بصعاء). أمالي القالي **٢١٧** (أجمعون أكتعون). (طفت بالقصر أجمع أبصع) – (ومررت بإيمائك جُمع بُصع) ب**٧٣** أكتعين.

٤- (وحيد قحيد) أمالي القالي **٢١**.

٥- (أنت عندنا كثير أثير) ب/ ١١، أ/ **٧٢** (بذير).

٦- (إنه لكثير بذير بجير). ب/١٣، (إنه لكثير بثير نثير بذير عطير وعمير) ب/ ٩٦.

٧- (هو كثير بذير – كثير بجير وعفير) القالي **٢١٠**.

٨- (ضئيل بَئِيل) القالي **٢١٠**.

٩- (إنه لقليَل بليل) ب/١٣، **٣٩**، (قيل نزير) ب١٠٤.

١٠- (تافه نافه) التافه: القليل، أمالي القالي **٢١٥**.

١١- (أعطاني حقيرًا نقيرًا) ب**٩٦**.

١٢- (أعطاه عطاء وتحيا شقنا)، أي: قليل ب/**٥٨**.

١٣- (مال دَبْرٌ دَبْر) المال الكثير. أ/ **٧٦**.

١٤- (هم أكثر من الطَّرَى والثرى) الطري النبات والثرى التراب أ/ **٧٠**.

١٥- (أفعل ذلك أول صوك وعوك) أول كل شيء ب/ **٦٤**.

الحقل الفرعي الثالث عشر: حقل المال (غني - فقير- بخيل- كريم)

كانت هذه القضية (الغني والفقير) من الأمور التي أثارت انتباه العربي فتحدث عنها بكثرة في عبارات إتباعية مختلفة تشير إلى حبه للغنى وكرهه للفقر ومدحه لمن اتصف بالكرم وذمه لمن اتصف بالبخل، ونذكر هنا عبارات لها.

النوع الأول: حقل الفقر

عبر العربي عن كرهه للفقر بطرق متعددة، وصيغ تركيبية مختلفة تعبر عن هذا المعنى، وقد جاء ذلك في صور تركيبية نذكر منها:

١- ما + له + كذا + و + لا + كذا.

٢- ما + عنده + كذا + و + لا + كذا.

٣- إن + اسمها – اللام المزحلقة + خبرها + و + معطوف على الخبر.

٤- الدعاء على الشخص بالفقر.

٥- الاستعاذة بالله من الفقر.

٦- وصف الشخص بالفقر.

٧- ما + الفعل + حرب جر + مجرور + و + معطوف على المجرور.

نستعرض بعد ذلك هذه القوالب التركيبية، وطريقة تكون المعنى من خلالها:

١- ما + له + كذا + و + لا + كذا

١- (ما له حلوبة ولا ركوبة) أ/**٤٧**.

٢- (ما له هارب ولا قارب)، أي: ما له صادر عن الماء ولا وارد أ/**٤٨**.

٣- (ما له ساحة ولا راحة) الساحة: الناحية: الأرض الفضاء، الراحة: الأرض المستوية تنبتْ كثيرًا أ/**٥٦**.

٤- (ولا رائحة ولا سارحة) السارحة التي تطلب بها المرعى، والرائحة التي تعود لأهلها كل ليلة أ/ **٥٦**.

٥- (ما له سبد ولا لبد) السبد: الشعر والوبر، اللبد: الصوف أ/ ٦٤.

٦- (ما لبيت فلان أهرة ولا ظهرة) الأهرة: جيد المتاع، والظهيرة: ما استظهر به أ/ ٧١.

٧- (ما له دار ولا عقار) أ/٧٣، ب٦٤.

٨- (ما له ثمر ولا كثر) الكثر الجمار، أ/ ٧٣.

٩- (ما له عافطة ولا نافطة)، أي: ضائنة ولا ماعزة. أ/٩٣، ب١٠١.

١٠- (ما له هُبع ولا رُبع) لهبع ما ينتج في الصيف، والربع ما ينتج في الربيع أ/٩٨.

١١- (ما له زرع ولا ضرع) أ/ ١٠٢.

١٢- (ما له حابل ولا نابل) أ/١١٦.

١٣- (ما له عَالَ ومالَ) عال: افتقر، ومَالَ عدل عن الحق وقيل هما واحد أ/ ١١٨، ب٦٣.

١٤- (ما له حانة ولا آنة)، أي: ناقة أو شاة أ/ ١٢٦.

١٥- (ما له سعنة ولا معنة)، أي: قليل أو كثير أ/ ١٢٥.

١٦- (ما له آم وعام) آم: امرأة، عام: اللبن. أ/ ١٢٣، ب٦٥.

١٧- (ما له ثاغية ولا راغية) الثغية: للشاء، والرغاء: للإبل. أ/ ١٢٩.

٢- ما + عنده + كذا + و + لا + كذا

١- (ما عنده شوب ولا روب) الروب اللبن، الشوب العسل. أ/٤٨.

٢- (ما عنده قرض ولا فرض) القرض: ما يُقتضي به، الفرض ما تفرضه على نفسك لقرابة أ/ ٩١.

٣- (ما عنده غيض ولا فيض)، أي: كثير ولا قليل. أ/ ٩٢.

٤- (ما عنده طائل ولا نائل)، أي: لا يعطي شيئًا ولا يمنعه أ/ ١١٦، ١١٧.

٥- (ما عنده خل ولا خمر) ب/ ٤٠.

٦- (ما عنده ندى ولا سدى) السدى ندى الليل. أ/٦٣.

٣- إن + اسمها + اللام المزحلقة + خبرها + و + عطف على الخبر

١- (إنه لفقير وقير) الوقير المثقل دينًا. أ/ ٦٩، ب/ ١٠٤، القالي ٢١١.

٢- (يُقال للفقير: إنه لصلقع بلقع)، أي: معدوم. أ/ ٩٧.

٣- (إنه لعوز لوز) للذي لا شيء له. ب/ ٧٨.

٤- حقل الدعاء على الشخص بالفقر:

١- (بالشقور والنقور) الشقور الحاجة والنقور الأحوال. أ/ **٧٥**.

٢- (جزع يرقع يهقوع ويقوع)، أي: جوع شديد. أ/ **١٠٠**.

٣- (بقر وعقر) البقر: ذهاب المال، والعقر: الزمانة. أ/ **٧٦**.

٥- حقل الاستعاذة بالله من الفقر:

١- (نعوذ بالله من الخضوع والقنوع والكنوع) الخضوع التصاعر، القنوع المسألة أ/ **٩٩**.

٢- (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) الحور النقصان والكور الجماعة من الإبل أ/ **٧٧**.

٣- (نعوذ بالله من العنوق بعد النوق) العنوق: أنثى المعز، النوق الإبل. أ/ **١١٠**.

٦- حقل وصف الشخص بالفقر:

١- (عَييّ شويِّ) السوي رُذال المال، القالي/ **٢٠٩**.

٢- (رجل حَريب سليب) الحريب: من سلب ماله، وهو سليب. أ/ **٤٥**.

٣- (هو أغنىَ عن ذاك من التفة عن الرفة) التفة: دودة، الرفة: التبن أ/ **١٠٧**.

٤- (هو ضيق ليق عيق) تقبض الواسع. أ/ **١١١**.

٥- (هو مفقع مُدقع) للمعدوم، فقع: فقر، دق لصق بالتراب أ/ **٩٨**.

٧- ما + الفعل + حرف جر + اسم مجرور + و + معطوف على المجرور

١- (ماذا به من الجفف والضفف) الجفف: الضعف، الضفف سوء الحال في البدن أ/ **١٠٦**.

٢- (ما جاء بهلة ولا بلة) البلة: النائل والمعروف أ/ **١١٧**.

النوع الثاني: حقل الغنى

١- (هو غنيٌّ مليٌّ) ب **٨٩**، القالي **٢٠٩**.

٢- (أمشى فلان وأفشى) إذا كثرت ماشيته ونعمه. أ/ **٨٨**.

٣- (جاء فلان بالطم والرم) الطم البحر، الرم أوراق الشجر، أي: المال الكثير. أ/ **١٢١**.

٤- (له مال لا يسهى ولا ينهى) أي: لا يحصى ولا يعلم. ب/ **٩٨**، أ/ **١٣٢**.

٥- (مال دَبْر دَثْر) مال كثير. أ/ **٧٦**.

٦- (يقال للحسن القيام على ماله: هو حائل آئل) أي: راع مصالح. أ/ **١١٥**.

٧- (جاء بالمال من حسه وبسه وعسه) ب/٦٦، أ/ **٨١**.

٨- (تركت فلانًا سادحًا رادحًا) إذا أخصب وحسن حاله. أ/ **٦٠**.

النوع الثالث: حقل البخل والكرم

ومما يتصل بالمركز المالي قضية البخل والكرم، وقد ارتبطت هذه الصفة بالمجتمع العربي، ونالت اهتمام كل أفراده، حيث حرصوا على أن يوصفوا بالكرم، كما ذموا من اتصف بالبخل؛ لأنه مجتمعُ رُحَل يكسوه الجفاف والحاجة، ولهذا حرص كل فرد فيه على إكرام الضيف حيث ستمر به الظروف ليصبح يومًا ما مكانه، ومن هذه العبارات التي تشير إلى كرهه للبخل:

١- (شحيح نحيح) أي: بخيل. أ/ **٥٥**، القالي **٢١١**.

٢- (ضب كُديه) إذا وصقوه بالضيق والتشديد. أ/**٤٨**.

٣- (رجل هلع جشع) أي: جزوع جريص. أ/**٩٨**.

٤- (وقد طبع ورتع ودنع)؛ وذلك من الحرص والنهم. أ/ **١٠٠**.

٥- (أسوان أتوان) حريص. أ/ **١٣٢**، ب/ **٢٩**، القالي **٢٠٩**.

٦- (شحيح أنيح)، أي: بخيل والسائل بقبح. ب/٧، **١٧**، **٩٤**.

٧- (إن فلانًا للحز لصب) الذي لا يكاد يعطي شيئًا. ب/ ٨١، القالي **٢١٢**.

٨- (رجل وعق لعق)، أي: حريص. في الصحاح.

٩- (ضب خب) خب: خَدَّاع، ضب بخيل ممسك أ/**٤٨**.

النوع الرابع: حقل الكرم والمروءة والفضل

١- (إنه لَسَرِيٌّ مَرِيٌّ) السرو: المروءة. أ/٧٧.

٢- (عزيز مزَيز)َ، أي: فاضل. أ/ ٨٠، ب٧٨.

٣- (إنه لمَثَّم ملَّم) إذا كان يعطي عطاءً واسعًا ويصل. أ/**١٢٣**.

٤- (إنه ليثم َويرم) إذا كان يصلح ما فسد.

٥- (إنه لزميت بليت) الزميت الحليم، البليت: الساكن. ب/ **١٥**.

٦- (هو يحفنا ويرفنا)، أي: يعطينا ويميرنا. ب/**٤٨**.

٧- (إنه لذو جود وسود). ب/ **٥١**.

١٣- الوقت:

١- (ما أفعله سجيس عجيس) الدهر. أ/ **٨٤**.

القسم الرابع من الحقول: حقل العلاقات

إذا كنا فيما سبق قد حاولنا تقسيم العبارات الإتباعية حسب معجم Greek

New Testamant فقد بقي منه الحقل الرابع وهو العلاقات، حيث يتناول العلاقات بين الأشياء ويقسمها إلى حقول، هي:

١ -علاقات مكانية: فوق – تحت – حول – قبل.

٢ - علاقات زمانية: عند – خلال – منذ.

٣ - علاقات إشارية: هذا – ذلك – هؤلاء.

٤ - علاقات عقلية: أنه على أساس – على الرغم – ولذا.

أولًا: حقل العلاقات الزمانية.

تعد العلاقة الزمانية من أبرز العلاقات داخل العبارات الإتباعية، حيث ترد عبارات كثيرة تحمل ذلك العنصر (عنصر الزمان) نحو:

١ - (ما زال يفعله مُذ شَبَّ إلى أن دَبَّ) أ/ ٤٧.

٢ - (هو لك أبدًا سمدًا سرمدًا) القالي/ ٢١٨.

٣ - (لا أفعله ما اختلف السمر والقمر) أ/ ٧١.

٤ - (لا أفعله سجيس عُجيس)، أي: الدهر أ/ ٨٤.

وترد كلمة (عند) بكثرة، ولكن لعلاقة مكانية وليست زمانية، كما عَبَّرتْ عن الزمان بألفاظ أخرى مثل: الدهر – واختلاف القمر والسمر والسرمد، وكذلك يوم نحو (يوم عليك أكيك) ب/٨.

ثانياً: حقل العلاقات المكانية.

١ - (عليه من المال ما لا يسهى ولا ينهى) أ/ ١٣٢.

٢ - (ما عنده حائل ولا نائل) أ/١١٦.

٣ - (بفيه التُراب والكُباب) ب ٧٤.

٤ - (مكان عمير بجير) ب/ ٢٠، أ/٧٨.

٥ - (كان سلقع بلقع) الصحاح.

٦ - (بلد عريض أريض) ب/ ١٠.

وقد عبرت هنا أيضًا عن هذه العلاقات المكانية بألفاظ تشير إلى المكان نحو: (عند - عليه – بفيه)، وكذلك كلمة (مكان وبلد).

لم ترد العلاقات الإشارية والعقلية في العبارات الإتباعية؛ لأن هذه العلاقات ترد ضمن حوارات طويلة، وداخل العبارات النصية، حيث يكون هناك نص كبير يقوم على التحليل والنقاش والمحاورة، أما العبارات الإتباعية فهي رسائل قصيرة (تلغرافية) تشبه عبارات الحكمة فلا يمكن أن ترد فيه هذه العلاقات.

الفصل الثاني
العلاقات الإتباعية داخل الحقول الدلالية

لو أعدنا النظر إلى تقسيم العبارات الإتباعية في ضوء نظرية الحقول، والذي قسمتُ فيه العبارات على أربعة حقول، ودرسنا كل حقل على حدة، وما فيه من ألفاظ تُجمع في إطار هذا الحقل الواحد، وما بينها من علاقات تجمعها لظهر فائدة تقسيم الألفاظ إلى حقول دلالية، وقيمة الترابط الذي بينها، وضرورة تحليل العلاقات التي بينها، وجدوى تقسيم العبارات الإتباعية إلى حقول دلالية.

الدماغ والعلاقات بين الحقول:

إن تحليل العلاقات التي بين ألفاظ العبارة الإتباعية تبين ما خلف التقسيم من أمر أكبر من مجرد كونه تقسيم لفظي لها؛ إنه يبين طبيعة الدماغ البشرية في التفكير والتفاعل مع الأحداث والألفاظ التي تعرض عليه والتي يستدعيها، كذا عمل الخلايا العصبية وتشابكاتها في الدماغ، ودورها في الربط الدلالي بين الحقول الكبرى وما يتفرع عنها من حقول، كذا العلاقات التي بين أفراد الحقل الواحد، وآلية الاستدعاء؛ بناءً على علاقاتها وانطلاقًا منها. مما يؤدي إلى أن يحشد الدماغ هذه الألفاظ عند ذكر لفظة ما تنتمي للحقل، نتيجة وجود الألفاظ في الدماغ وشبكاته سلفًا بصورة ترابطية؛ مما يجعل الفرد عند سماعه كلمة تنتمي إلى حقل دلالي ما يشعر بسيل من الألفاظ المرتبط بهذه الكلمةدلاليًّا ينهمر عليه، فهذه الألفاظ تنتمي جميعادلاليًّا لحقل هذه الكلمة، فهم يقعون جميعًا تحت مظلة حقل دلالي واحد، إنها آلية عمل الدماغ عند تفاعلها مع الكلمة التي تقع بدائرة تفكيرها وتفاعلها معها، ويمكن ملاحظة تداعي الألفاظ وانهمارها بعبارة الإتباع على الرغم من قصرها.

مثال:

هذا مثال يبين دور العلاقة الدلالية بين الحقول، وأثرها في سرعة استدعاء أفراد الحقل، وتأثيرها في اختيارنا لهذه الكلمة دون غيرها: "افترض أن شخصًا ما حدثك عن مدى استمتاعه بمشاهدة التلفاز منذ أن اشترى طبق استقبال جديد، وتحدث بإسهاب عن أفضل الأطباق اللاقطة، وفي وقت لاحق سمعت شخصًا ما ينطق كلمة طبق، ويرجح أن تصبح في هذه الحالة أكثر عرضة للتفكير في أطباق

الاستقبال، وليس في أطباق تقديم العشاء، هذا المثال يبين مدى سيطرة المنبه الأول على عملية اختيارنا وتفكيرنا الآني للمعاني المتعددة للكلمة الواحدة التي في الدماغ، إن الكلمة تولد كثيرًا من المعاني، ثم يختار الدماغ منها المعنى الذي يراه مناسبًا، وهناك عوامل كثيرة تؤثر على اختياره، منها: انشغال الدماغ بمعنى معين سابق يسيطر عليه في هذه اللحظة؛ مما يجعلنا في هذا المثال نتجه بتفكيرنا في معنى طبق نحو الطبق اللاقط ولا نتجه ناحية طبق العشاء"[١].

فعند سماعنا لعبارة إتباعية تقول (من شاخ ...) نتجه ناحية الجانب السيئ في الشيخوخة، ونترك جانب الحكمة والخبرة التي لدى الشيوخ، فنكمل عبارة الإتباع بكلمة تناسب الأولى صوتيًا ودلاليًّا وهي كلمة باخ، فقد وجهت كلمة شاخ الذهن ناحية مساوئ الشيخوخة، إننا نختار من اللغة الكلمة ذات المعنى الأقرب للمعنى الذي يدور حوله موضوعنا، أو قل يتجه إلى الحقل الدلالي المرتبط بحقل العبارة التي نعرض لها الآن؛ وذلك لوجود علاقة ما بين حقل هذه الكلمة والكلمات المرتبطة بها بعلاقة ما.

إن أمر العلاقات بين الحقول لم يعد (كما في نظرية الحقول) مرتبطا بتقسيم العلاقات سالف الذكر فحسب، بل إن الأمر يدخل في القضية بصورة أعمق ليبين أنه مرتبط بالدماغ الذي يتحكم فيه، ويحدد اختياره للكلمة المناسبة بناءً على معنى الحقل الدلالي الذي تنتمي إليه هذه الكلمة، وما بين أفراد الحقل من علاقات كوَّنَها الدماغ داخل في فضائه الذهني، ودونها بشبكته العصبية، فإذا كنتَ تفكر مثلاً في كلمة (قطة) فإن الدماغ سيحشد إلى بؤرة تفكيرك كل أنواع القطط، وصفاتها وألوانها، وقد يرتفع في التقسيم حسب نظرية الحقول إلى حقل أعلى في المستوى (حقل الثدييات) فتحضر بذهنك صفاتها كثدييات بأنها تلد ولا تبيض.

إذن لابد من تحليل أعمق لقضية العلاقات التي بين الحقول الدلالية لنصل لفهم أكبر لها من خلال البنية العصبية؛ فنتناول العبارات وعلاقاتها مرة أخرى بالتحليل والدراسة لنفهم سر العلاقات التي تربط بينها، وسنسير في تحليلنا لهذه العلاقات حسب التقسيم السابق الذي اتبعناه آنفًا وهو:

(١) المعالجة العصبية للغة: ٢١١،٢١٠

تحليل العلاقات بين أفراد الحقول:

القسم الأول: «حقل الموجودات»

أولًا: العلاقات في حقل الكائنات الحية

يضم هذا الحقل عدة حقول متفرعة عنه، ترتبط فيما بينها بعلاقات مختلفة، يمكن استدعاء أي منها عند ذكر أحد حقولها الفرعية عنها، فهي مرتبطة بها من الحقول بعلاقة، (تنافر- تضاد - اشتمال)، وهذا الحقل يتفرع إلى حقول، هي:

(أ) علاقات حقل الحيوانات والطيور:

نجد في هذا الحقل مجوعة من الأشياء الموجودة في هذا المجتمع أشارت إليها العبارات الإتباعية بأسمائها، مثل: (الفرس – الحمار – الخيل – الناقة)، أو بصفاتها، مثل: (حلوبة – ركوبة – رائحة – سارحة...)، وهذه الألفاظ في مجموعها تصف حيوانات وطيور هذا المجتمع، ومدى ارتباط الإنسان العربي بهذه الأشياء؛ مما جعله يستخدمها كوسائل تصوير لمشاعره وانفعالاته، والحديث عن الأشياء غير المحسوسة والإشارة إلى الأشياء المعنوية، فيصنع من كلمتي الإتباع دلالات جديدة، ربما يتصل بأحد المعنيين، أو هو مستقل بذاته؛ لذا يجب أن يُدرس هذا التجمع المكون من الكلمة الأولى، والكلمة الثانية بعناية وما ينتج عن هذا التجمع من معان مختلفة، تتصل أو لا تتصل بالمعنى الأصلي للكلمتين أو أحدهما، ودراسة العلاقات الدلالية بين الكلمتين: علاقة ترادف وتضاد وتنافر وربما لا علاقة دلالية بينهم، أو مجرد إتباع لها، ويمكن أن يتضح هذا من خلال دراسة علاقات الحقول الدلالية مرة أخرى كالآتي:

١- (فرس صلتان فلتان) ج/٤٩ صلتان: الشديد الصلب النشيط، فلتان: كثير اللحم، والحديد الفؤاد مثل الصلتان، وهو السيف المجرد من غمده، وقد كَوَّن من تجمع كلمتي الإتباع (صلتان فلتان) وصفًا ثالثًا للفرس بأنه قوي نشيط، وهنا نرى أن كلاً من كلمتي الإتباع تعاونتا معًا لتكوين المعنى الثالث فكلمة صلتان أعطت معنى الصلابة، وفلتان أعطت معنى القوى، وهذا يوضح أيضًا أن الكلمة الثانية في الإتباع لا تكون بدون معنى، أو معنى الكلمة الأولى نفسه (ترادف)، ولكن قد يكون لها معنى يصنع مع الكلمة الأولى المعنى الجديد، العلاقة بين الكلمتين (علاقة تنافر).

٢- (تركت خيلُنَا أرضَ بني فلان حَوْثا بَوْثا) أ/٥١، أي: أثارتها، والمقصود أن

الخيل أثارت بحوافرها التراب وخربتها.

حوث: من حثَّ، أي: حضه، والحث هو الترب، وحثحث: حرك.

بوث: من بَث أي: نشر، وبث الغبار نثره وهيجه.

من الكلمتين نرى أنهما يشتركان في تكوين معنى واحد يتصل بهما، وهو إثارة الغبار، ولكن المعنى المستهدف من تجميع المعنيين غير ذلك، وهو الخراب الذي عمّ تلك الأرض، أي: هناك معنى ثالث ناتج عن المعنيين، وهو الخراب والدمار، فالعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (فرس غَوْج مَوج) أ/**٥١** الغوج: الواسع الخطو، موج: كأنه يموج، وقد جمع بين الكلمتين، والمعنى الثالث هو أنه سريع، ولا ترادف بين المعنيين، ولكن تعاون بينهما لتكوين المعنى الثالث والعلاقة بينهما (تنافر).

٤- (سمعتُ للحمار شخيرًا ونخيرًا) أ/**٧١** الشخير من الصدر، والنخير من الأنف (أي: المنخرين)، وهنا نرى أن المعنيين غير مترادفين، ولكنهما مقصودان، أي: أن المتكلم يعنيهما معًا، فقد سمع للحمار صوتًا يخرج من الأنف والصدر والعلاقة بينهما (تنافر).

٥- (أمشى فلان وأفشى) أ/**٨٨**، ب/**١٠٩**، أي: كثرت ماشيته ونعمه، أمشى من الماشية وأفشى: من الفاشية، وهي كل شيء منتشر من المال والشاء والنعم، وهنا يتضح أن كلا المعنيين (أمشى – أفشى) مطلوب مقصود غير مترادف، ولكنه متقارب لتكوين المعنى الثالث غير المنطوق، وهو أنه غني والعلاقة بينهما (تنافر) بين (أمشى وأفشى).

٦- (ذَرق الطائر ومزق، وزرق، وخزق) خزق: الروث، ذرق: روث الطائر، زرق أيضًا روث الطائر وإطعامه فَرْحه، مزق الطائر: رمى بذرقة، أي: روثه: نلاحظ هنا أن كل ألفاظ العبارة تشير إلى روث الطائر فلا معنى جديدًا في هذا التكرار، وكأنه يريد بهذا التكرار التنغيم فقط، فقد جمع الألفاظ المترادفة في المعنى، وأحدث بها تنغيمًا فقط، فهو هدفه منها لا الترادف؛ فالترادف لابد له من هدف كشرح معنى الكلمة الأولى، ولكن هنا المعنى الأول والثاني والثالث واحد ومعروف؛ لذا فالتنغيم هو الهدف الأساسي، والانسجام الصوتي والعلاقة بينهم (ترادف)، مع إضافة قليلة في المعنى تميز كل مترادف منهم.

٧- (مَرَّ الذئب يَعْسِلُ ويَنْسِلُ) أ/ ١١٥ يعسل: يمضي مسرعًا، وينسل: يسرع، وهاتان الكلمتان تبدوان ككلمة واحدة، لكن هناك فرقًا بينهما، فالأولى: يسرع ويضطرب في مشيه ويهز رأسه، والثانية: كلمة خاصة بمشية الذئب إذا أسرع، والمعنى المقصود من الكلمتين أنه مَرَّ مسرعًا، فقد اختار لفظتين تحققان هذا المعنى بتعاونهما معًا، فهما ليستا متطابقتين، وإن كانتا متشابهتين في المعنى، كما أنهما تحققان الهدف الأساسي المرجو من العبارة الإتباعية وهو تحقيق الانسجام الصوتي، والعلاقة بينهما (ترادف).

إن دراسة المعنى تفضح قضية العبارة الإتباعية، حيث تُظهر أن المعنى المقصود من العبارة يمكن تحقيقه في كلمة، لكنه يأتي في صورة كلمتين متتاليتين أو أكثر؛ وذلك بهدف إطالة العبارة، وتكرار كلمتين متماثلتين صوتيًّا لإحداث الانسجام الصوتي، وهو الهدف الأول من هذه العبارات جميعًا؛ لهذا فالعبارة التي لا نجد بها انسجامًاصوتيًّا ليست عبارة إتباعية.

٨- (ناقة حائل مائل) أ/ ١١٨ حائل إذا حمل عليها فلم تلقح والمائل التي عدلت عن الفحل، وكلا المعنيين يكمل بعضهما الآخر، وهو أنها لا لقح فيها، ولكن لابد منهما معًا لتحقيق المعنى الأخير، وهو أنها لا لقح فيها؛ بسبب عدم بقاء اللقح بها أو لميلها عن الفحل، ومن هنا نرى ضرورة اجتماع الكلمتين لتكوين هذا المعنى لعدم وجود ترادف بينهما، وكذلك لتحقيق الانسجام الصوتي باجتماعهما على الرغم أن العلاقة الدلالية بينهما (تنافر).

٩- (فرس عدوان خظوان) خاظي اللحم، شديد العدو، أ/ ١٣٠.

وهنا يجتمع اللفظان (عدوان وخظوان) لتكوين معنى ثالث وهو أنه فرس قوي سريع، كما قال قبل ذلك (فرس صلتان فلتان)، فهم يلحون على وصف الفرس بصفة السرعة بوسائل مختلفة، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٠- (إنه لسملع هملع)، أي: خبيث، والسملع والهملع اسمان للذئب ب/ ١٠٩، وهنا نراه يجمع بين اسمين لشيء واحد (وهو الذئب) لتكوين معنى آخر، وهو صفة الخبث التي يريد وصف شخص بها، فما الحكمة في الجمع بين هذين الاسمين لشيء واحد؟ ألا يكفي سملع، أو هملع، أو ذئب لوصف هذا الشخص بهذه الصفة؟! إنه يريد أن يحقق انسجامًاصوتيًّا؛ لهذا كرر اسم الذئب

واختار من أسمائه اسمين يتفقان معًا صوتياً فيحققان هذا الانسجام الصوتي، إذًن ليس هدف هذا تأكيد المعنى فقط كما قال القدماء في علة الإتباع، إنما الهدف صوتي، وعلاقة صوتية (وترادفية).

١١- (مَشَتْ الماشية وأَمْشَتْ) إذا كَثُرت ب/**١٠٩**، ومشى القوم وأمشى إذا كثرت ماشيتهم، فكون من كلمة واحدة ذات مادة لغوية واحدة (مشى) ثلاث كلمات (مشى أمشى ماشية) لتكوين عبارة إتباعية ذات دلالة جديدة غير مذكورة في تلك العبارة، (أي: أنه غني) مع تحقيق الانسجام الصوتي بين هذه الكلمات.

فالكلمة الأولى (مشت) فعل، ويقصد به: السير المعروف، والثانية الماشية، وتعني: الإبل والبقر والغنم والأشهر فيها الغنم، الثالثة صيغة أخرى للفعل أمشت، لكنه لا يعني بها المشي، أي: السير كما في الأولى، بل يعني الكثرة، وهذا نمط آخر لتكوين المعنى باستخدام المشترك اللفظي والعلاقة بينهم (تنافر).

١٢- (أ) (ما له عافطة ولا نافطة) العافطة العنز التي تَضْرط والنافطة إتباع ب/**١٠١**، وذكر أبو الطيب اللغوي أنها ليست كذلك، بل العافَطة من العنز التي تعفط، والعفط منها كالعطاس من الناس، أي: المريضة، فهو لا يملك من الدواب ولا حتى العنز المريضة، أي: أنه فقير جدًّا، وقد جاءت كثير من العبارات تحمل معنى الفقر، وبالطريقة نفسها نحو (ما له حانة ولا آنة) حانة: ناقة، والآنة: الشاة تئن من التعب، وهو يشير إلى أنه لا يملك حتى الشاة المريضة.

(ب) مثلها: (ما له ثاغية ولا راغية) الثغاء: للشاء، والرُّغاء: للإبل، وهو مثل يضرب لمن لا يملك شيئًا.

(ج) مثلها: (ما له آم، وعام) آم: امرأة، عام: إبل.

(د) مثلها: (ما له حلوبة ولا ركوبة) الحلوبة ما تحلب، والركوبة: ما تركب.

(هـ) مثلها: (ولا رائحة، ولا سارحة) السارحة التي تَطْلُب بها المرع، والرائحة التي تصرف إلى أهلها كل عشية، أي: أنها أرض جدباء لا بها زرع ولا ضرع ولا أي دابة.

(و) مثلها: (ما له سبد ولا لبد) السبد الشعر والوبر واللبد: الصوف.

(ز) مثلها: (ما له زرع ولا ضرع) ما عنده أرض تزرع ولا شاة تحلب لفقره.

لقد وظف الدواب وما اشتهر من أجزائها (الصوف والوبر والضرع) للتعبير عن معنى آخر وهو الفقر، كما وظفها أيضًا في المثال السابق رقم (**١١**) للتعبير عن

معنى مضاد، وهو الغنى (مشت الماشية وأفشت)[1] أي: كثرت، وهنا يبدو لنا كيفية تكوين المعاني المختلفة من الوحدات الدلالية نفسها مع اختلاف في التركيب، وكذلك طريقة العربي في تكوين دلالات غير المنطوقة باستخدام نفس الوحدات الدلالية في قوالب تركيبية مختلفة تعطي دلالات متضادة، ثم توظيفه الموجودات المحيطة به في بيئته لصناعة تلك المعاني (من شاة وعنز وإبل)، بل أجزاء منها، مثل: (شعرها وبرها ضرعها)، وهذا الترابط الكبير بين الإنسان وبيئته الذي يظهر في عبارته يجعله يصنع معاني غير محسوسة من أشياء محسوسة وموجودة في بيئته، إنها عملية خلق وإبداع باستخدام العبارة الإتباعية.

١٣- (جمل وبر هبر) وبر: كثير الوبر، هبر: كثير اللحم، وهو بهذين اللفظين يعبر عن ضخامة هذا الجمل، ولقد كان أسلوبه فيما سبق من عبارات مماثلة واضحًا في طرح المعنى أمام المستمع، حيث يبدأ بتوضيح من سيمدحه (ناقة- فرس- جمل)، ثم يوضح موضع المدح فيه (كثرة اللحم – كثرة الوبر – كثرة الحركة والسرعة...)؛ فنجد مثل هذا الأسلوب يتكرر في عبارات سبق أن حللناها، مثل: (فرس صلتان فلتان – فرس عدوان خظوان – فرس عوج موج) – وغيرها فيما لم نذكره، و(ناقة مسياع مرياع)، أي: تذهب في المرعى وترجع بنفسها، ومثلها: (سنام سامك تامك)، أي: مرتفع، سامك: عالي وتامك: اكتنز وَتَرّ.

وكلها تراكيب يقصد بها تكوين دلالات غير مذكورة صراحة في العبارة، والعلاقة بينهما (تنافر) في كل العبارات التي ذكرتها.

١٤- (هو وصيد قحيد) قحيد: من قحدت الناقة إذا عظم سنامها، وهنا يصف شخصًا (إنسان) بوصف منتزع من حيوان، وهو توظيف آخر لموجودات البيئة في صناعة دلالات أخرى، وقد فعل هذا في صناعة كثير من التراكيب الإتباعية لصناعة دلالات مختلفة كما في هذه العبارة (الإيناس قبل الإبساس)، وهو الدعاء والتسكين عند الحلب، فيشير إلى سلوك يجب أن يتبع في الحصول على أي شيء من الغير بإظهار اله؟؟، كما يُفْعل بالدواب قبل حلبها بأن يُقال لها: بس بس.

مثلها: قول بائع الدابة: (برئت إليك من الجماح والرماح) الجماح: للفرس إذا ذهب يجري جريًاغالبًا، ورمحه الفرس، أي: رفسه برجله، ويقصد به برئت إليك

(١) ومثلها: (أمشى فلان وأفشى).

من الرماح والجماح، أي: العيوب التي يُرد بها البيع، وكأنها كانت تستخدم عند بيع الدواب وأصبحت تطلق مع كل بيع، هنا خلع لصفات بيع الدواب على كل شيء، والعلاقة بين وصيد وقحيد (تنافر)، والمعنى المراد أنه فريد لا مثيل له.

١٥- (لا أفعله ما اختلفت الدُّرَّة والجرّةُ) الدرة: سيلان اللبن من ضرع الناقة، الجر ما تجتره من الطعام، اختلافهما أن الدِّرَّة تسفل، والجَرَّة تُعلى، وهما دائمًا على هذه الحال لا يمكن أن يسيل اللبن إلى أعلى أو الجرة إلى أسفل، وهو يريد بهذه العبارة دلالة غير مذكورة فيها، وهي عدم فعل هذا الشيء مطلقًا، فوظف هذا الحدث الذي يراه يوميًّا في حياته بين الدواب للتعبير عن المعنى النفي المطلق للحدث، والعلاقة بين الدرة والجرة (تضاد).

١٦- وللتعبير عن معنى آخر يستخدم هذه العبارة (ذهبت إبله شذر مذر بذر)، أي: تفرقت في كل وجه فاستخدم (شذر)، وهي قطعة الذهب للدلالة على التفرق في كل مكان والعلاقة بينهما (تنافر).

تحليل مفردات هذا الحقل:

يشمل هذا الحقل مجموعة من الألفاظ التي تكونه، وهي: جمل – ناقة – إبل: (راغية – عام) ماشية – فرس – خيل – حمار – طائر – ذئب (سملع هملع) عنز – لبد – ضرع – قحيد – مسياع – مرياع – سنام – اجترار الطعام.

هذه المفردات تمثل أهم وأكثر الموجودات التي يعيش معها العربي ليل نهار في بيئته؛ لذا يصورها في أشعاره وأمثاله وخطبه وعباراته الإتباعية، وقد وظفها للتعبير عن كثير من المعاني المختلفة في حياته: (محسوسة وغير محسوسة، مادية ومعنوية)، وعلى أساس هذه الوظيفة التي تقوم بها هذه اللفظة في داخل العبارة تتحدد علاقتها بالعبارة، حيث ترد معها لفظة أخرى لإحداث الانسجام الصوتي، وتقوم بينها علاقات مختلفة، مثل:

١. التضاد:

(ما له ثاغية ولا راغية)؛ فهي تحمل تضاد بين الكبير والصغير، حيث الإبل أكبر من الشاة، ومثلها: (ما له حانة ولا آنة) الحانة الناقة والآنة الشاة، وهو أيضًا تضاد في الحجم، ومثلها (لا أفعله ما اختلفت الدِّرَّة والجرّة) الدرة: سيلان اللبن لأسفل والجِرَّة لأعلى وهو تضاد اتجاهي.

٢- الترادف:

(ذرق الطائر، ومزق، زرق، وحذق) كلها بمعنى واحد وهو روث الطائر، ومثله: (مَرَّ الذئب يَعْسِلُ ويَنْسِلُ)، وهما بمعنى يسرع مع فرق يسير بينهما، ومثله: (إنه لسملع قملع)، وهَما اسمان للذئب، أي: لشيء واحد.

٣. التنافر:

(ما له زرع ولا ضرع) الزرع للنبات، الضرع للحيوان، العلاقة بينهما تنافر.

(ب) علاقات حقل الإنسان :

حقل الإنسان يعبر عن أهم الموجودات في المجتمع؛ لذا وردت كثير من العبارات الإتباعية التي تعرض للإنسان، منها ما يعرض عمر الإنسان، ومنها ما يعرض لقرابته، وجسده، وتختلف هذه العبارات التي تتناول الإنسان كمًا وكيفًا، حيث يرتبط بالمجتمع الذي تصدر عنه هذه العبارات وطبيعته وعاداته، وبهذا المدخل يمكننا أن نعرف لماذا تكثر العبارات التي تتناول جسد الإنسان في المجتمع العربي القديم، حيث تمثل العبارات الخاصة بالجسد ثلاثة أضعاف العبارات الخاصة بعمر الإنسان وقرابته، حيث هذا المجتمع يهتم كثيرًا بجسد الإنسان من ضخامة وقوة وفتوة، فهي عنصر أساسي في صراعه القبلي وحروبه الكثيرة، وعنصر أساسي في تقييمه وتقديره ومدحه.

أ- حقل عمر الإنسان:

هناك عبارات إتباعية تناولت عمر الإنسان، وركزت على ما يكره من هذا العمر، وهو الشيخوخة حيث يكرهون هذه المرحلة نحو:

١- من (شاخ باخ) باخ، أي: سكن وفتر، جمع بين كلمتي شاخ وباخ، وهما فعلان، الأول: يعطي الحالة، أي: وصل إلى سن الشيخوخة، والثاني: يعطي حكمًا على هذه الحالة، وهي الفتور والسكون، فعن طريق كلمتين يعطي حالة وحكمًا عليها، وهما كلمتا الإتباع أيضًا، ولا يرتبطان معًا بتلك الروابط المعروفة (تضاد – ترادف...)، بل في إطار معنى واحد حالة وحكم عليها.

٢- (شيخ: تاك فاك) تاك: هالك، فاك: أحمق بالغ الحمق، وهما وصفان يوضحان كرههم للشيخوخة، والعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (عجوز شهلة كهلة) الشهلة العجوز والنصف العاقلة خاصة بالنساء[1]،

(١) لقاموس المحيط، ٤/٤١٦ (شهل).

والكهل: الشيب[١]، وهنا نرى ثلاث كلمات بمعنى واحد، وهي وصف هذه المرأة بالشيخوخة، حيث أصبحت الشيخوخة سُبَّة في ذاتها لمن يصل إلى هذه المرحلة من العمر، والعلاقة بينهم ترادف.

٤- (يسألون المرأة: أشابه أم ثابة) الثابة: هي الهرمة، وهذا السؤال يوضح مدى العناية بالمرحلة العمرية بين الشباب والشيخوخة، خاصة في النساء، والعلاقة بينهما (تضاد).

٥- (ما زال يفعله مُذ شب إلى أن دَبَّ) دَبَّ، أي: مشى على عصا، وقد عبر عن معنى اعتياد الشخص على سلوك معين طول حياته بكلمتي (شَبَّ، ودَبَّ)، وهما تشيران إلى مرحلتين في عمر الإنسان دون النطق بهذه الكلمة المقصودة (أي: استمراره في فعل هذا) والعلاقة بينهما (تضاد).

ب- حقل القرابة:

(ابن عمه) كحًّا قَحًّا)، أي: لاصق النسب، قح:محض خالص النسب لحًّا: دنت القرابة ولصقت، وكلاهما ترادف لمعنى واحد، هو شدة القرابة، والعلاقة بينهما (ترادف).

ج- حقل جسد الإنسان:

أولًا: حقل الضخامة والرشاقة والطول

١- (إنه لحَضَجْر حبَجر) حبجر: غليظ، حضجر: العظيم البطن الواسعة، أي: ضخمة، والعَلاقة ترادُف.

٢- (علجم خلجم) للطويل الضخم، علجم: الطويل، خلجم: الجسيم والعلاقة بينهم (تنافر).

٣- (امرأة سبَحْلةٌ رَبَحْلَة)، أي: ضخمة، سبحل: الضخم من الضب والبعير والجارية، ورجلَة: جارية ربحلة ضخمة جيدة خلْق طويلة، والعلاقة ترادف.

٤- (لحمه خظا بظا كظا) كظا لحمه: اشتد، وقيل خظا لحمه وكظا وبظا كلها بمعنى واحد هو اكتنز لحمه، والعلاقة بينهما (ترادف).

٥- (رجل أشق أمق وخبق) للطويل، الأشق من الخيل الواسع ما بين الرجلين، والأمق هو الطول عامة، والخبق من الرجال الطويل، فكلها مترادفات.

---

(١) المرجع السابق، ٤/٤٨ (كهل).

٦- (هو غَضٌّ بَضٌّ)، أي: نده البض: الرشح من الصخر أو الأرض، وبض الماء: سال، غض، أي: طري ناعم، أي: رقيق الجلد الممتلئ، وكل كلمة من كلمتي الإتباع تشترك مع الأخرى في تكوين المعنى رقيق الجلد ممتلئ، والعلاقة بينهم (تنافر).

٧- (إنه لخفاف هفاف) الخفاف الخفيف في الجسم، الهفيف: السريع في السير، أي: خفيف نشيط والعلاقة بينهم (تنافر).

ثانيًا: حقل الضعف والقصر

١- (ضئيل بئيل) البئيل: الصغير الضعيف، الضئيل: الصغير الدقيق الحقير والنحيف، والعلاقة بينهم (ترادف).

٢- (رجل حطائط بطائط) الحطاط: الصغير والقصير من الناس والبطاط الضخم، والعلاقة بينهم (تنافر).

ثالثًا: حقل بعض أجزاء الجسم

١- (عين حدرة بدرة) الحدرة: عظيمة حادة النظر، البدرة: يبادر نظرها نظر الخيل، أي: قوية النظر، وهو ترادف مع إضافة جديدة في بدرة تدل على قوتها كنظر الخيل، والعلاقة بينهم (ترادف).

٢- (رأس زَعِرٌ مَعِرٌ) زعر: قلة الشعر وتفرقه، ومَعِر: قَلَّ وسقط، وهنا ترادف، حيث الكلمة الثانَية لَا تضيف دلالة جديدة للعبارة، وَالعلاقة (ترادف).

٣- (أشعر أظفر)، أي: طويل الشعر والأظفار، واستخدم صيغة أفعل للدلالة على الكثرة أو الزيادة في الطول، ومثلها: (أشعث أغبر يُطيل السفر)، أي: كثير غبار الشعر بسبب السفر، والعلاقة بينهم (تنافر).

٤- (ما له من الشعر قصة ولا نصة) القصة: شعر الناصية، النُصة الخصلة من الشعر وهو ما يقع على الوجه من مقدمة الرأس، والمعنيان مقصودان لتكوين المعنى الثالث، وهو: نفي أن يكون له شعر يتفاخر به لا في الناصية ولا خصلة على مقدمة الرأس، والعلاقة بينهم (تنافر).

٥- (أذن حَشَرة مَشَرة) أذن: لطيفة حسنة[1]، ورجل مَشر شديد الحمرة؛ فمشرة تطلق على كل شيء جيد وكذلك حشرة فبينهما ترادفَ، والعلاقة بينهما

(١) القاموس المحيط (مشر) ج٢/ ١٣٩.

(تنافر).

٦- (شفة باثعة كاثعة) ممتلئة حمرة من الدم، البثع: ظهور الدم في الشفتين كثعتُ الشفة: احْمَرَّتْ أو كثر دمها[١]، ومن الكلمتين (بثع وكثع) تكون المعنى الثالث، وهو جمال الشفتين باحمرارهما بكثرة الدم فيهما، وعلاقتهما (ترادف).

تحليل مفردات هذا الحقل:

يحتوي هذا الحقل على عدة ألفاظ تتصل بعمر الإنسان، وجسده، وقرابته، وترتبط فيما بينها بعلاقة أساسية، وتدور حول حقل واحد هو الإنسان في مجموعها كعبارات إتباعية، ولكن في داخل كل عبارة هناك علاقات بين كلمتي الإتباع والعبارة كلها، وكذلك وسائل هذه العبارة في تكوين المعنى المستهدف من العبارة نعرض لها فيما هو آت.

العلاقة داخل العبارة وتكوين المعنى:

١- تكوين المعنى داخل العبارة:

يتم تكوين المعنى بطرق مختلفة يمكن أن نلاحظها بتتبع المعنى المقصود من العبارة أولًا، ثم ملاحظة كيف تم ذلك.

١- صيغة أفعل: تستخدم العبارة صيغة أَفْعل للدلالة على الكثرة نحو: (أشعر أظفر)، أي: طويل الشعر والأظفار، فعبرت صيغة أفعل على الطول، وكذلك الكثرة، نحو: (أنا أكثر منك مالًا)[٢]، و(أكثر) اسم تفضيل، ولكنها أيضًا دلت على الكثرة.

٢- كلمتا الإتباع: تستخدم العبارة فعلين فقط تكوِّن منهما عبارة كاملة تعطي دلالة على ما تريد التعبير عنه، مع المحافظة على التنغيم بإحداث الانسجام الصوتي بين هذين الفعلين نحو (شاخ وباخ)، والعلاقة الدلالية بين الفعلين تقوم على أن الأول وصف بأن هذا الشخص شاخ، أي: أصبح شيخًا، والثاني حكم عليه بأنه أصبح فاترًا ساكنًا، إذن تكوَّنَ المعنى من كلمتين (شاخ وباخ) معًا، ونحوه (إنه خفاف هفاف)، (ضئيل بئيل).

٣- التكرار وتكوين المعنى: وهي طريقة أخرى في صناعة المعنى؛ فيكرر المعنى بألفاظ كثيرة، يحدث التماثُل الصوتي بينها انسجامًا صوتيًّا ونغمًا يجعل تكرارها

(١) القاموس المحيط كثع، ج٣/ ٢٨٠.

(٢) الكهف، ١٨/ ٣٤.

سهلاً وممتعًا؛ مما يشد الانتباه إليها، فلا نشعر بالملل من تكرار المعنى نفسه؛ لأن الألفاظ مختلفة نحو (رجل أشق أمق وخبق) وجميعها (أشق أمق خبق) تشير إلى معنى الطول، نحو: (عجوز شهلة كهلة)، وهي أيضًا تشير إلى معنى الشيخوخة (عجوز – شهلة – كهلة) نحو: (لحمه خظا بظا كظا).

٤- استخدام معنيين لتوليد معنى ثالث غير منطوق في العبارة:

كثيرًا ما تستخدم العبارة الإتباعية كلمتين تشيران إلى معنيين مختلفين، أما المقصود من العبارة فهو معنى ثالث غير منطوق يفهم من العبارة كلها، حيث تشترك في تكوينه كل ألفاظ العبارة، نحو (ما زال يفعله مذ شَبَّ إلى أن دَبَّ).

فالفعلان شَبَّ ودبَّ الأول يشير إلى مرحلة الشباب، والثاني إلى مرحلة الشيخوخة، والمعنى المستهدف من العبارة أنه يفعله طول حياته من الشباب إلى الشيخوخة.

ومن هذا نرى أن كلمتي الإتباع تحملان قيمًا دلالية مختلفة، كما حملت من قبل قيمًا صوتية، وأنهما لم يُذكرا – كما قال القدماء – للتوكيد فقط، أو التنغيم (الإتباع) فقط، بل إنهما قد يشتركان معًا لتكوين المعنى الثالث المستهدف من العبارة، ولو فقدنا إحدى الكلمتين ربما لا نصل إلى المعنى الثالث، ومثلها: (شفة باثعة كاثعة) المعنى الثالث هو (ممتلئة حمرة من الدم) من كلمتي باثعة بمعنى ظهور الدم في الشفتين، وكاثعة: احمرار الشفة، ومثلها: (ما له من الشَّعْر قصة ولا نصة) المعنى الثالث ليس له شعر جميل، القصة شعر الناصية والنصة خصلة في مقدمة الرأس.

٢- العلاقات داخل الحقل:

١- الترادف: (أذن حشرة مشرة) – (لحمه خظا بظا كظا) (ورجل أشق أمق وخبق) (عجوز شهلة كهلة).

٢- التضاد: (ما زال يفعله مُذ شبَّ إلى أن دبَّ) دب، أي: مشى على عصا، (يسألون المرأة: أشابة أم ثابة) الثابة الهرمة.

٣- التنافر: (رجل حطائط بطائط) حطائط: صغير قصير – بطائط: ضخم. (خفاف هفاف) خفاف: خفيف الجسم، هفاف: سريع في السير.

(ج) علاقات حقل القوى والكائنات فوق الطبيعية:

١. حقل الجن والشيطان:

تتكون هذه العبارات من: اسم + وصف لهذا الاسم نحو:

- (عفريت نفريت) عفريت فعليت من شدة العفارة، أو من العفر، وهو التراب ونفريت من النفور، والمعنى شيد التنفير لغيره، والعلاقة بينهم (تنافر).
- (شيطان ليطان) ليطان، أي: لاصق والمعنى المراد هو الذي يلزق بالشر، وقالوا شيطان بمعنى: احترق (شاط)، والمعنى تكون من اسم (شيطان) + صفة (لاصق)، والعلاقة بينهم (تنافر).
- (مجنون محنون) الحن دون الجن يأخذ برواع عند النوم وتفزيع، وقيل الحن ضرب من الجن أو هم خلق بين الإنس والجن أو كلاب الجن، وقيل الذي يصرع ثم يفيق، والعلاقة بينهم (تنافر).

٢.حقل الدعاء:

تقوم عبارة الدعاء على تركيب مختلف، حيث يحدث الانسجام الصوتي بين الكلمة التي تأتي في أول العبارة، والكلمة التي تأتي في آخرها، وهما غالبًا فعلان نحو: (أرغمه الله وأدغمه).

يتكون من: فعل + الله + و + فعل.

يتكرر هذا التركيب في ثلثي العبارات الإتباعية الدعائية، بقي أن نعرف في هذا النمط التركيبي العلاقة الدلالية بين الفعل الأول والثاني.

١- (حياك الله وبيك) حياك: ملكك، ومنها: التحيات لله، وبياك أضحكك، ونجد في الفعل الأول دعاء بالخير للشخص، والثاني دعاء بخير آخر له، فهما معًا خير له، والعلاقة بينهما (تنافر).

٢- (سقاه الله ورعاه) دعاء له بالسقيا والرعاية، والعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (وراه الله وبراه) دعا على الفرد بأن يُوارى في التراب، وبراه: أضناه.

٤- (لحاه الله ووراه) لحاه: قشره، ووراه من الورى، وهو داء يفسد الجوف، والعلاقة بينهما (تنافر).

٥- (أرغمه الله وأدغمه) الرغام الذل والكره، وأدغمه سوَّده، والأدغم الأسود الأنف، وهو دعاء على الشخص بصفتين مختلفتين: الذل وسواد الوجه، والعلاقة بينهما (تنافر).

٦- (خاصه الله وبصاه ولصاه) البيضاء: أن يستقصى الخصاء، وألصته أرغمته[1]، هي دعاء على الفرد، لحظة تأثير صوت الصفير **(ص)** العلاقة تنافر.

(١) القاموس المحيط (لص)، ٢/ ٣٢٩.

٧- (لا بارك الله فيه ولا تارك ولا دارك) تارك بين الترك، دارك من الإدراك، أي: نزع الله منه البركة، ترك في هذا الموضع لا معنى لها إلا الإتباع رغم أن لها معنى مستقلاً، ومثلها دارك كما قال أبو الطيب اللغوي[1]، فتكون للتوكيد للتوتيد، أي: وتد لكلمة بارك التي في أول العبارة، وعلاقتهم تنافر، وعلاقة صوتية أيضًا بين بارك وتارك ودارك بتكرار المقطع (ارك) ثلاث مرات.

٨- (لا دريت ولا تليت)، أي: لا علمت، ولا تليت وفي لغة أخرى لا أتليت، أي: ولا كان لك إبل يتلو بعضها بعضًا[2]، ولا ترادف بين الكلمتين، فلكل منها معنى مستقل.

٩- (لبيك اللهم وسعديك) قال أبو الطيب (قولهم: لبيك معناه إلبابًا بك، أي: إقامة عند طاعتك، والإلباب: المقام، يُقال: ألف بالمكان يُلب إلبابًا إذا أقام به، وقولهم: سعديك يريدون إسعادًا لك[3]، وكلا الكلمتين تشيران إلى طاعة وسعادة بها، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٠- (نكدًا له وجحدا) الجحد: قلة الخير، والعلاقة بينهما (تنافر).

١١- (جوسًا له وبوسًا وتوسًا) الجوس: الجوع، بوسًا: الجوع أيضًا، وتوسًا إتباع لا معنى له، والعلاقة بينهما (صوتية).

وهناك شكل آخر من الدعاء، وهو ما كان فيه الانسجام الصوتي الناتج عن كلمتي الإتباع في نهاية العبارة، نحو:

١- (نعوذ بالله من العنوق بعد النوق) العنوق أنثى الماعز والعلاقة تنافر.

٢- (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) الحور: النقصان، الكور الجماعة من الإبل، والعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (نعوذ بالله من الترح بعد الفرح) الترح التنغيص، والعلاقة بينهما (تضاد).

٤- (نعوذ بالله من الخضوع والقنوع والكنوع) الخضوع: التصاغر، القنوع: المسألة، الكنوع: كالخضوع، أي: التصاغر، والعلاقة بينهم (تنافر).

٥- (اللهم أعذه من السامة والهامة) السامة: ذات السم، الهامة واحدة الهوام، وهي الدابة التي تدل على الأرض من العقارب والحيات، والعلاقة بين السامة

---

(١) الإتباع، ٢٨.

(٢) الإتباع، ٣٠.

(٣) لإتباع، ٤٥.

والهامة علاقة تنافر، فالسامة كل ما له سم غير مميت، والهامة ما لها سم مميت.

٦- (نسأل الله السلامة والغنامة)، أي: النجاة والغنيمة والعلاقة بينهما (تنافر).

٧- (أشكو إلى الله عُجري وبُجري)، أي: همومي وأحزاني، والعلاقة بينهما (ترادفية)، فالهموم ترادف، وتعني الأحزان وكلاهما كالشيء الواحد.

كل هذه العبارات الإتباعية توضح لجوء العربي إلى الله تعالى وطلب العون منه على ما يحيط به من مكاره، وما يرجوه منه من خير، وتوضح صلة العربي بالله تعالى والإيمان به كقوة عليا غيبية يلجأ إليها كل ضعيف أو محتاج أو مؤمن بالله، وقد أوضحت ما بين كلمتي الإتباع في كل عبارة من علاقة دلالية في داخل الحقل الدلالي الخاص بها، وأشكال التراكيب المختلفة وأثرها في تكوين الدلالة الخاصة بكل شكل.

وقد وضعت هذا القسم (الدعاء) في حقل كائنات فوق طبيعية، حيث القوى الإلهية قوى خارقة فوق طبيعة البشر؛ لذا وضعناها مع القوى فوق الطبيعية.

ثانياً: علاقات حقل الموجودات غير الحية

يعرض هذا الحقل للموجودات غير الحية في هذا المجتمع، والتي وردت في العبارات الإتباعية المختلفة لأشياء طبيعية وأشياء مصنوعة أو مركبة، وهي:

١- عبارات تناولت الطبيعة. ٢- عبارات تناولت النبات.

القسم الأول: علاقات حقل الأشياء الطبيعية

١. حقل الطبيعة:

أ- (جاء بالضيح والريح) الضيح: ضوء الشمس، أي: جاء بما طلعت عليه الشمس، وجرت عليه الريح، أي: جاء بكل شيء، والعلاقة بينهما (تنافر).

ب- (حار يار جار) حار: اشتد حره، وير فهو يار، أي: شديد، وجار إتباع لهما، فهو حار شديد الحرارة، والعلاقة بينهما علاقة ترادف وإتباع صوتي.

ج- (لا أفعله ما اختلفت السمر والقمر)، والسمر: ظل القمر، وكل ليلة ليس فيها قمر فهي سمر، والعلاقة بينهما تضاد، والمعنى الثالث غير المذكور هو النفي المطلق، فلا يفعله أبدًا.

د- (جاء بالمور والغور)، الغور: الماء، المور: التراب، أي: جاء بكل شيء، والعلاقة بينهما تنافر بين الماء والتراب، والمعنى المستهدف غير المذكور هو عموم كل شيء ما يصلح وما لا يصلح، وما له قيمة وما ليس له قيمة، فقط جاء بالجميع.

٢- حقل النبات:

أ- (بقل ثعد معد) ثعد: رطب غض، معد إتباع لها، والعلاقة بينهما صوتية ولا دلالية، والمعنى المقصود في الكلمة ثعد، أي: غض ولا معنى لمعد.

ب- (هم أكثر من الطَّرَى والثَّرى) الطرى: النبات، والثرى: التراب، وهي علاقة تنافر فالتراب غير النبات والمعنى المقصود (الثالث) الدلالة على الكثرة.

ج- (ما عليها سيفة ولا ليفة) السيف ما كان ملتزقًا بأصول السعف، المعنى المراد غير المنطوق ليس عليها شيء قليل أو كثير، والعلاقة بين سيفه وليفه تضاد بين القليل والكثير.

د- (ركب سَقِر مَقِر) السقر والصقر: عسل الرطب، والمقر: إتباع، فالأولى وصف للرطب وَالثانيَ إتباع للانسجام الصوتي، ولا معنى لها، والعلاقة صوتية.

هـ- (عريض أريض) الأريض: الخليق للخير الجيد للنبات، وعريض متسع، وهما وصفان لشيء واحد وهما مختلفان، فالأول للمساحة، والثاني لصالحية الزراع فالعلاقة بينهما علاقة تنافر، والمعنى المراد صلاحية الزراعة.

القسم الثاني: علاقات حقل غير الطبيعي (مُصَنَّعٌ أو مُركَّبُ)

هو ما يصنعه الإنسان من أشياء أو يركبها معًا، وأولها وأهمها الطعام، فالإنسان من يحيا به ويبدع في صنعه منذ آلاف السنين، وقد جاءت عبارات مختلفة تتناول هذا الموضوع (الطعام) من جوانب متعددة نحو:

١- حقل الطعام:

أ. حقل وصف الطعام:

- (سليخ مليخ) الشاة المسلوخة من جلدها، والمليخ ما لا طعم له، وقيل كل طعام فاسد، وهما وصفان للطعام متنافران.
- (سويق قفار عفار) قفار: غير أدوم، عفار: غير ملتوت بأدم، أي: غير مبلول بماء أوسمن، وكلاهما معًا (قفار وعفار) يكونان المعنى المطلوب، وهو أنه سويق غير ملتوت بسمن أو ماء، ولهذا فالعلاقة بينهما علاقة تنافر.
- (طعام سيغ ليغ) سائغ يسوغ في الحلق، أي: يسهل وينزل وليغ إتباع لها، علاقة صوتية.
- (أكل طعامًا قفارًا صفارًا) قفارًا: كالقفر، صفارًا: لا أُدم معه، علاقة تنافر وعَبَّر بكلمتي الإتباع (قفارًا وصفارًا) عن معنى ثالث، وهو خلاء الطعام من الأُدم.

- (مليح قزيح) أصل هذين الحرفين في الطعام كامل الحسن، ومليح قزيح إتباع[1].
- (خظا بظا) بظا بمعنى خظا، أي: كثرة اللحم وعلاقتهما ترادفية لاتحادهما في المعنى.
- (هناني الطعام ومراني) الهنيء من الطعام: السائغ، والمريء: الطيب السائغ وهما مترادفان.
- (هو لك خضرًا مضرًا)، أي: هنيئًا مريئًا، خضرًا: هنيئًا، مضرًا: إتباع صوتي.
- (وقعوا في القبض والربش)، وهما الأكل والنكاح، والعلاقة تنافر.

ب- حقل التعبير عن الجوع:

- (ما ذاقت ذواقًا ولا لماقا) اللماق الشيء اليسير من الطعام، العلاقة بينهما ترادف حيث الذواق اليسير، واللماق خاص باليسير من الطعام والشراب.
- (ما ذاق عبكة ولا لبكة)، أي: خالصًا ولا مخلوطًا، والمعنى النفي المطلق لكل الطعام والعلاقة بينهما تضاد بين المخلوط والخالص.
- (ما ذاق علوسًا ولا لئوسًا) العلوس ما يُؤكل ويشرب، واللئوس: الطعام والذوق، وبينهما ترادف، والمعنى ما أكل شيئًا.
- (ما ذاق شماجًا ولا لماجًا) شماجًا: ما يرمي به من العنب، واللماج: ما يتعلل به قبل الغداء، المعنى: ما ذاق شيئًا والعلاقة بينهما تنافر فالأول خاص بالعنف العطب والثاني الطعام اليسير.
- (عطشان نطشان) نطشان إتباع وقيل ما به نطيش، أي: حركة، العلاقة صوتية.
- (شرب حتى نقع وبضع) نقع هنا بمعنى: امتلأ، وبضع: جامع، أي: أنه كان جائعًا ثم شرب حتى شبع وجامع والعلاقة بينهما تنافر بين بقع وبضع.
- (جائع نائع) النائع المتمايل من الجوع والعلاقة بينهما اشتمال، حيث التمايل نوع من علامات الجوع، والمعنى أنه في شدة الجوع.
- (في الدعاء على الإنسان: جوعًا له، وجوسًا) الجوع معروف، الجوس الجوع، وهو ترادف بين الكلمتين جوع وجوس.

(١) القاموس المحيط، ج٢/٢٥٢ والعلاقة بينهما صوتية.

ج– حقل وصف الشخص عن طريق الطعام:

اتخذت بعض العبارات الطعام وسيلة لوصف الأشخاص نحو:

- (ما زيد إلا خبز أو لبز) الخبز السوق الشديد، واللبز: الأكل شديد، وهو يشير إلى بساطة هذا الشخص، فهو إما سوق أو أكل.
- (إنه لساغب لاغب) ساغب: جائع، لاغب: الكال المُعْيى، فهو متعب جائع والعلاقة بينهما تنافر، حيث الجوع غير التعب، والمعنى أنه فقير معدم.
- (أتيته فمناني وهناني)، وهو وصف للشخص بالكرم، وهو إتباع في هناني غير مهموز.
- (فلان يحفنا ويرفنا) يحفنا: يجمعنا، يرفنا: يطعمنا، والمعنى الثالث المقصود أنه كريم، والعلاقة بينهما تنافر.
- (إنه لسغل وغل) السغل: السيء الغذاء، والوغل: المحتقر القليل، وهما وصف للشخص بأنه فقير حقير، واستخدم الطعام وسيلة لوصفه بالفقر، والعلاقة بينهما هي التنافر.
- (لو كان في الهيء والجيء ما نقعه) الهيء: الطعام، والجيء: الشراب، أي: أنه لو كان في الطعام والشراب مقدمًا ما نفعه هذا، دليل على ضياعه، وعلاقتهما التنافر.
- (سمح لمح) اللمح: الذي يأكل كل شيء، والسمح: القبيح، وهو وصف للشخص بالنهم في الطعام، والقبح، والعلاقة بينهما التنافر.

نجد في هذه العبارات التي تناولت هذا الموجود المصنوع (الطعام) أنها اتخذته وسيلة للتعبير عن دلالات كثيرة، قد تكون ظاهرة في العبارة أو تفهم منها، وهو المعنى الثالث، كما تقوم العلاقة بين مفردات العبارة على علاقات دلالية مختلفة ما بين التضاد أو الترادف أو التنافر أو أنهم معًا يقومون بتكوين معنى غير منطوق (المعنى الثالث)، أو أن الكلمة الثانية إتباع للأول، هنا تكون العلاقة بينهما علاقة صوتية، لإحداث انسجام صوتي فقط، وليست دلالية، حيث الكلمة الثانية لا معنى لها.

القسم الثالث: حقل مواد مبنية، وغير مبنية (سلاح – دار– سفينة)

أ– (سيف سقاط سُراط) سراط، أي: قطاع، سقاط: إذا سقط من وراء الضريبة، المعنى شديد القطع، العلاقة بينهما ترادف.

ب- (ما لبيت فلان أهرة، ولا ظهرة) سيأتي تحليلها.

ج- (ماله دار ولا عقار) سيأتي تحليلها.

الحقل الثاني: حقل الأحداث

يتناول حقل الأحداث كل ما يحدث من أفعال متعددة في المجتمع، وقد وردت هذه الأحداث داخل العبارات الإتباعية؛ لذا نجد العبارة أحيانًا تتكرر في أكثر من حقل، فمرة مع المجردات ومرة مع الموجودات وأخرى مع العلاقات أو الأحداث حسب ما تحتويه العبارة من كلمات مكونة من أفعال وأسماء متنوعة.

١- علاقات حقل الصدام:

(أ) علاقات عبارات الصدام:

يتناول الحقلُ الأحداث التي تدل على الصدام، مثل: كسر- حطم- سحق- قطع وقتل... وغيرها، وقد جاءت عبارات تشير إلى ذلك منها:

- (إنه لمعفت ملفت) المعفت الذي يدق كل شيء ويكسره، والملفت مثله في المعنى، والعلاقة هنا ترادفية.

- (إنه شقيح لقيح) الشقح: الكسر، لقح: إتباع وهي (وإن كان لها معنى آخر في مواضع مختلفة) إلا أنها عبارة دعاء على الشخص بالكسر، والمعنى مأخوذ من الكلمة الأولى أو الثانية فهي إتباع لها والعلاقة بينهما صوتية لا دلالية.

- (خبطه ولبطه) الخبط باليد، واللبط بالرجل، والمعنى أنه ضربه، واستخدم الترادف بين ضبط ولبط لإحداث الانسجام الصوتي والعلاقة ترادفية.

- (هم بين حاذق وقاذق) الحاذق: الضارب بالعصا، القاذق: بالحجر، والمعنى يصرعون الخصم بكل الوسائل، ويمكن أن تكون العلاقة بينهما ترادف؛ لأن المعنى الأساسي فيهما هو الضرب.

- (رمى فما أصمي ولا أنمى) أنمى: إذا أصاب في غير مقتل، أصمي، أي: أصاب، والعلاقة بينهما تضاد (أصمي وأنمى) والمعنى لم يقتل.

- (والله ما أبقيت ولا أرعيت) لمن ضيع ما يُبقى عليه ويُراعى من الرحم والأهل والبقاء: العيش، والرعاء الرعاية، والعلاقة بينهما تنافر.

- (حائر بائر) الحائر: المتحير، البائر: الهالك، والمعنى الإنسان الضائع فهو حائر هالك والعلاقة بينهما تنافر.

- (ذهب دمه خضرًا مضرًا) خضرًا: أبى باطلاً، مضرًا: إتباع لها والعلاقة صوتية.
- (ماله تل وغلَّ) غل أصابه العطش، تل، أي: هلك، والعلاقة بينهما التنافر.
- (ضال تال) ذهب في الضلال، والتلال إتباع والعلاقة بينهما صوتية.
- (أخذه لغنطه وكنطه) الغنط: الخنق، والكنط إتباع وعلاقتهما صوتية.
- (له الويل والأليل) الأليل في معنى الويل، والعلاقة بينهما ترادفية.
- (ماله جَرب وحَرب) من الحرب، وهو دعاء على الشخص بالجرب والحرب، وهما مختلفان والعلاقة بينهما (تنافر).

(ب)- الساعي إلى الصدام (الشرير):

- (هذا الشّر والبرُّ)، (هذا الشَّرُّ والعُّرُّ) العر الحرَب، بَرَّه: قهره، الشر: الفاسد والسوء، وكلها كلمات تصف هذا الشخص بالسوء، وهي مختلفة بين مرض وظلم وقهر؛ ولهذا فالعلاقة بينهم (تنافر).
- (شَرٌّ شمٌّ) شمر، أي: يتشمر فيه عن الساعدين، وقيل إتباع وتصبح العلاقة صوتية حسبَ الرأي الأخير، وحسب الأول تنافر بين شمر وشر.
- (إنه لشَقِيٌّ لَقِيٌّ)، أي: يلقى شرًا، وهو إتباع له.
- (هو يشاره ويماره ويزاره) يشاره: يعاديه ويخاصمه، ويماره: يخالفه ويلتوي عليه ليصرعه، ويزاره: يُعارضه، أي: أنه متقلب بين أنواع مختلفة من الشر؛ ولهذا فالعلاقة بين هذه الألفاظ تنافرية.
- (هو خاسر دامر دابر) خاسر دابر إتباع، خاسر دامر: هالك والعلاقة بين الأخيرين تنافر، وبين الأولين صوتية.

(ج) نتائج الصدام والصراع:

- (خراب يباب) اليباب الخالي الذي شيء به، قيل إتباع، ولو كان بمعنى خال تكون علاقتهما ترادف، فقد عبر الشعراء دائمًا عن البيت الخالي بالخراب.
- (نسأل الله السلامة والغنامة)، أي: الفوز والغنيمة، وهما متنافران، فقد يفوز الإنسان بالنصر دون الغنيمة، ولكن يجمعهما حقل أكبر هو القتال.
- (تركنا الديار بلاقع صلاقع)، أي: خالية من أهلها، الصلقع، أي: الإعدام من العدم وصلقع إتباع لبلقع والعلاقة بينهما صوتية.

٢- علاقات حقل النشاط المركب:

يتناول هذا الحقل كل الأحداث التي يقوم بها الإنسان في شكل عمل مركب من عدة أعمال نحو إعداد الطعام والملابس والقيام بالشعائر الدينية وغيرها.

- حقل إعداد الطعام:

(سويق قفار عفار)، أي: غير ملتوت (سبق تحليلها).

(طعام قفار صفار) خالي من الأدم (سبق تحليلها).

(مليح قزيح) طعام كامل الحسن (سبق تحليلها).

- حقل إعداد الثياب:

أ- يقال للثوب إذا كَفَّه وشَدَّه (هو يحنوه ويرنوه) كَفَّ وكفف الثوب بالحرير وغيره، عمل على ذيله وأكمامه وجيبه كفافا[١] يحنو: عطفه، ورنا يرنو: أدام النظر، والمعنى أنه تأمله إعجابًا به، والعلاقة بين عطف بمعنى أمال عنقه نحوه، ويرنو علاقة تنافر.

ب- (هو جارن مارن) إذا قَلم الثوب وأملاس، جرن: لان وانسحق وقدم، مرن: لان في صلابة، والعَلاقة ترادفية بينهما مع زيادة في معنى كل منهما.

ج- (شاصه وماصه)، أي: غسله، شاص: غسل ونقى ونظف، وماص: غسل بلين، والعلاقة بينهما ترادفية، ولكن مع زيادة في معنى كل منهما عن الآخر.

- حقل الشعائر دينية:

أ- (أقبل الحاج والداج) الداج: الذين يدجون خلف الحاج، أي: يدبون بالتجارات[٢]، والعلاقة بينهما اشتمال وتضمين؛ فالداج مما يشتمل عليه موكب الحجيج.

ب- (بسلا وأسلا)، أي: حرام محرم والبسل ها هنا الحرام، والأسل إتباع[٣]، والعلاقة بينهما صوتية.

ج- (هو حل وبل)، أي: مباح وزعموا أن (بلا) مباح بلغة حمير، وقيل هي

(١) المعجم الوسيط مادة كفٍّ.

(٢) الإتباع لأبي الطيب، ٤٢.

(٣) المرجع السابق، ٥.

إتباع، فعلى المعنى الأول تكون العلاقة بينهما ترادفية، وعلى الثاني صوتية.

٣- علاقات حقل الوظائف:

- حقل النوم:

أ- (هو سُهْدٌ مُهْدٌ)، أي: حسن، سهدة: ذو يقظة سَهْد مَهْد) إتباع، أي: ما رأيت من فلان سَهْدًا، أي: أمرًا اعتمد عليه من خير أو بركة، والعلاقة بينهما صوتية.

ب- (ما له سَهر وعَبر) سهر: ارق، عَبِر: حزن، والعلاقة بينهما تنافر، وهو دعاء على الشَخصَ.

ج- (إني لأبغض اللومة النومة) لومة: يلوم الناس كثيرًا، نُومة: كثير النوم، والعلاقة بينهما تنافرية.

- حقل الموت:

أ- (لك مني ما عظاك وشراك) عظاك: آلمك وساءك، وشراك إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

ب- (له الويل والعول) العويل: البكاء، الويل معروف وعلاقتهما تنافرية.

ج- (ما أشره وأمره) هو إتباع وأمره من المرارة والألم، والعلاقة بينهما تنافرية.

د- (وراه الله وبراه) (سبق تحليل هذه العبارة).

٤- علاقات حقل التحكم :

هناك عبارات تتناول التحكم، من العدل، والظلم، والحكم منها:

- (إنه لمضيم هضيم) يُقال للمحتقر، ضامه حقه: ظلمة، وهضمه: ظلمة غصبه وقهره، والعلاقة بينهما اشتمال، حيث اشتملت الكلمة الثانية على معنى الأولى وزادت عليها، ولست علاقة ترادفية؛ لأن المميز الدلالي أكثر في الثانية.

- (رجل باخس ماكس) باخس: ظالم، المكس: الظلم بالنقص، والعلاقة هي الاشتمال، حيث المكس اشتمل على الظلم بزيادة في المميز الدلالي عن باخس.

- (عدل غير جدل) الجدل الجور والميل، والعلاقة بينهما (تضاد).

- (ما رزأته: قبالًا ولا زبالًا) رزأت: ظلمت ونقصت، الزبالة ما تحمله النملة بفيها، قبال: زمام النعل، أي: ما ظلمته بأقل القليل، وهو المعنى الثالث المقصود، والعلاقة بينهما (تنافرية).

- (أنا من هذا الأمر البراء والخلاء)، أي: متخل عنه، وعلاقتهما (تنافرية).
- (ما له عالَ ومالَ) عال: جار، ومال: مال عن الحق، وعلاقتهما ترادف.

٥- حقل الإحساس:

أ- حقل التذوق:

- (ما ذاق علوسًا ولا لئوسًا) ما يُؤكل ويشرب (سبق تحليلها).
- (ما ذاق شماحًا ولا لماحًا) (سبق تحليلها).
- (ما ذاق عبكة ولا لبكة) (سبق تحليلها).
- (ما ذاق ذواقًا ولا لماقا) سبق تحليلها.

ب- حقل اللمس:

- (حاسه وباسه) حَسَّ الشيء: حركه، وباسه من البَسِّ، وهو السَّوق اللين الرقيق، أي: ذهب به وجاء، وعلاقتهما ترادفية مع زيادة في المعنى مع بَسَّ.
- (لا حساس ولا مساس) علاقتهما ترادفية، مس أقل في الالتقاء من حس.

ج- حقل السمع:

- (ما سمعت له حسًا ولا جرسًا)، أي: حركة أو صوتًا وعلاقتهما التنافر.
- (ضربه فما قال: حس ولا بس) حس كلمة تقال عند الألم، وبس بمعنى حَسْبُ، أي: غير عربية، والعلاقة بين الكلمتين صوتية.
- (ما سمعت منه زأمة ولا نأمة ولا زجمة لا كتمة) الزأمة: الصوت الشديد والنأمة: الصوت والنغمة، والزجمة: الكلمة الخفية، الكتمة الكلمة أو السر، وبينهم علاقة ترادف، مع زيادة في المعنى ونقصان، وكلهم بمعنى (صوت).
- (فَرّ وله كصيص وأصيص وبصيص) من الفزع وكله بمعنى الصوت الضعيف[1]، والعلاقة بينهم ترادف.
- (هو شهير جهير) معروف، جهير: له صوت عال وشديد، والجهير المعروف، والعلاقة بينهما الترادف مع زيادة في المعنى في جهير.

٦- علاقات حقل الحركة:

تتنوع العبارات التي تشير إلى الحركة (سواء حركة إنسان أو حيوان) تبعًا لنوع الحركة من خروج ودخول وذهاب وإياب وسقوط وسكون وتفريق ونشاط وخفة

(١) الإتباع لأبي الطيب، ٢١.

أو حركة معنوية وليست حسية كما نرى في هذا الكم الكبير من العبارات.

(أ) حقل النشاط والرشاقة:

- (خفيف ذفيف) الذفيف: السريع، والعلاقة بينهما (التنافر).
- (إنه لخفاف هفاف) الخفيف في الجسم، والهفاف سرعة السير والخفيف أيضًا، والعلاقة بينهما الترادف مع زيادة في هفاف في المعنى عن خفاف.
- (فلان ذو هشاشة وأشاش)الهَشّ النشاط والارتياح معنى ، والأش الخبز اليابس والقيام والتحرك للشر، وعلاقتهما (هش وأش) ترادف مع زيادة في أش.
- (هو فَزّ بَزّ) الفز الخفيف المتوقد، بز: كثير الحركة خفيف الروح والعلاقة ترادفية.
- (فرس صلتان فلتان) إذا وصف بالنشاط والحركة (سبق تحليلها).
- (فرس عوج موج) واسع الخطو كالموج (سبق تحليلها).
- (يقولون للصبي في الترقيص: حدارج ندارج)، وهما كلمتان لا معنى لهما سوى حث الصبي على الرقص والحركة والعلاقة بينهما صوتية لا دلالية.
- (هو عرص هبص) عرص الرجل: نشط وقفز، وهبص: نشط وعجل والعلاقة بينهما ترادف.

(ب)- حقل حركة تفريق وإفساد:

- (تركت خيلنا أرض بني فلان حوثًا بوثًا)، أي: أثارت بحوافرها التراب.
- (بث ونثَّ) بث: بمعنى فرق، ونشر، نثَّ فإتباع لها وعلاقتهما صوتية.
- (عاث وهاث) عث، أي: أفسد، هاث أفسد أيضًا، والعلاقة بينهما ترادفية.
- (تفرقوا شغر مغر، وشذر مذر) كلها بمعنى ذهبوا متفرقين في كل وجه والعلاقة ترادفية.
- (ذهب ما له شذر مذر)، أي: تفرق في كل مكان وعلاقتها ترادفية.
- (إنه لمعفت ملفت) يدق أي شيء (سبق تحليلها).
- (تعس وانتكس) التعس: السقوط، الانتكاس: أن تسقط كلما ارتفع، والعلاقة بينهما ترادف مع زيادة في انتكس في المعنى.
- (ولع تلع وزع) ولع: محب، تلع: مستعد للشر، وزع بمعنى ولح، العلاقة ترادف بين ولح ووزع وتنافر بينهما وبين تلع والمعنى سريع إلى الشر.

(ج)- حقل الحركة بالسير ذهابًا وإيابًا والإقامة:

- (ما عنده على أصحابه تعريج ولا تعويج) عَرَّج بالمكان وعاج أقام، والعلاقة بينهما ترادف.
- (رجل خراجة ولأَّجة) ولج: دخل، وعلاقتهما تضاد بين خرج ودخل.
- (يقال لطالب الليل: إنه لجواس عواس) الجواس: طالب الشيء بالاستقصاء أو الطوفان بالليل، عواس: الطوفان والليل، وعلاقتهما (ترادف).
- (أرسل إليه بالهواء واللواء فلم يأت) الهواء: داراه ولاينه، واللواء: لاوت الحية إذا التوت عليها، والمعنى يقبل ويدبر باللين والشدة، وعلاقتهما (تضاد).
- (ما به نويص، ولا لويص)، أي: حراك، نوص، أي: تحرك، لوص: جاء وعدل، والعلاقة بينها (تنافر) فالحركة غير العدل.
- (ما به حبض ولا نبض) الحبض: التحرك، النبض: اضطراب العرق، والعلاقة بينهما ترادفية حيث كل منهما يشير إلى الحركة مع زيادة في نبض عن حبض في الدلالة.
- (امرأة طلعة قبعة)، أي: تطلع مرة وتقبع في دارها، العلاقة (تضاد).

(د)- حقل الحركة المعنوية وليست الحسية:

- (امرأة خفوت لفوت) الخفوت: الساكنة، اللفوت: تلفت نفسها عما تكره، والعلاقة تضاد بين السكون والحركة.
- (رجع إلى جنجه وبنجه) الجنج والبنج الأصل بمعنى واحد، والعلاقة بينهما (ترادف).
- ذهب في الضلال والألال) ضل: ضاع، الألال: الباطل، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (أين سقط وبقع) أين ذهب، ويقال هذا في الجحد، سقع وبقع بمعنى خلا، والعلاقة بينهما (ترادف).

٧- علاقات حقل الاتصال:

يتناول هذا الحقل الأحداث التي تعبر عن اتصال الإنسان بمجتمعه عن طريق

نطقه عبارات أو عن طريق عبارات غير منطوقة أو العلم والمهارات التي لديه، أي: كل حدث يصور اتصال الإنسان بما حوله.

(أ) حقل الاتصال النطقي:

- (رجل لقَّ بق) بَقَّ كثر كلامه، لق: كثير الكلام، وهو ترادف بين لق وبق.
- (إنه لهذر مذر) الهذر: كثر الكلام (مذر) إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (طلق ذلق)، أي: فصيح، الذلق: حدة الشيء وحده، والعلاقة تنافر بينهما.
- (جاءنا بالكلام سهوًا مهوًا) سهلاً، السهو: اللين والمهو: إتباع صوتي.

(ب) حقل الاتصال غير نطقي:

- (حياه الله وبياه) حياه: ملكه، بياه: أضحكه، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (هو بطر أشر) أشر مرح، بطر: كفر بالنعمة، العلاقة بينهما (تنافر).
- (هو أشر أفر) أشر: مرح، أفر جيد العدو، وثاب، والعلاقة بينهما (التنافر).

(ج) حقل الاتصال من خلال المهارة:

- (إنه لمجرب مدرب) الدربة: العادة، مُجرِّب: مدرب، علاقتهما ترادفية.
- (إنه فلانًا لمرس ضرس) مرس: شديد مجرب، ضرس إذا سافر وجرب، والعلاقة (الترادف) بين مرس وضرس، مع بزيادة في ضرس، وهو من الضرس، أي: العض الشديد.
- (هو حاذق باذق) الحاذق: الماهر، باذق إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (رجل طَبَّ لب) الطب: العالم الحاذق، واللب هو العقل، وعلاقتهما تنافر.
- (إنه ذو حصاة وأصاه) الحصاة العقل، الأصاة الرزانة، وعلاقتهما ترادف.
- (إنه لثقف لقف) جيد الالتفاف، ثقف بين الثقافة: علاقتهما (الترادف).

(د)- حقل اتصال من خلال الحاجة:

- (قضى الله لك كل حاجة وداجة) دَجَّ: دَبَّ، التجارة القادمة مع الحجيج، أي: قضى لكل كل حاجة وتجارة، وهنا ترادف بينهما مع زيادة في المعنى في دَجَّ.
- (شكوت إليه شقوري وفقوري) شقوري حاجتي، فقوري: داخلة أمري، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (ما لي فيه حوجاء ولا لوجاء) الحوجاء: الحاجة، اللوجاء: الحاجة، والعلاقة بينهما ترادف.

(هـ)- حقل الاتصال من خلال شيوع الخبر:

- (عرف ذاك البادي والقادي) البادي: من البادي، القادي: الآتي، وبينهما علاقة تنافر.

- (شائع ذائع) شاع الخبر ذات وانتشر، والعلاقة بينهما (ترادف).

- (ما يخفى هذا على الهيدان والريدان) المقبل والمدبر علاقة.

٨- علاقات الحقل الفكري :

(أ) حقل الإدراك:

- (ما أدري ما يحاول أو يزاول) زاول: عالج الأمر، حاول احتال عليه، العلاقة بينهما (تضاد).

- (رجل صمعة لمعة) الصمع: ذكاء القلب، اللمع: ذكاء في إدراك الأمور، والعلاقة بينهما ترادف.

- (لا يعرف القطاة من اللطاة) القطاة: موضع الردف، اللطاة: الجبهة، والعلاقة بينهما تنافر، والمعنى الثالث المقصود الجهل بكل شيء حتى أبسط الأمور.

- (ما يعرف هرًا من بر)، أي: الصادر والوارد والعلاقة بينهما (تضاد)، والمعنى الثالث الجهل.

- (لا دريت ولا تليت) سبق تحليلها.

- (ما يعرف الخذروف من القذروف) الحذروف لعبة الصبيان، القذروف العيب، والعلاقة بينهما (تنافر).

(ب) حقل السهو:

(أعطيته المال سهوًا رهوًا)، أي: عفوًا، سهوًا لينا (سبق تحليلها).

٩- علاقات حقل الانفعال:

تتنوع الانفعالات التي تمر على الإنسان في حياته من حب وبغض وكره وصبر، ونتائجه من خيبة أو فشل، وهذه العبارات التي تصور الانفعالات، وهي:

(أ) حقل الحب والكره، والحب بين الزوجين:

- (إني لأبغض الأملح الأقلح) الملحة بياض الشيب، القلح صفرة الأسنان، العلاقة تنافر.

- (رجل عاشق وامق) وامق: محب، والعلاقة بينهما (ترادف).

- (حظيت المرأة عند زوجها وبظيت) كان لها مكانة عنده، بظيت إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (سدحت المرأة عند زوجها وردحت) سدحتْ: أخصبت، ردحت: أقامت، والعلاقة بينهما تنافر.
- (لاقت المرأة عند زوجها وراقت)، أي: لصقت بقلبه.

(ب) حقل الخوف:

- (له من فراقه أصيص كصيص)، أي: ذُعر وانقباض، وكلها بمعنى الصوت الضعيف، والعلاقة بينهم (ترادف).
- (رددناه خائبًا هائبًا) الهائب الخائف، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (وللجبان: هاع لاع) هائع: جبان، لاع إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (لم يبق منهم ثبت ولا هبت) الهبت: الجبان، ثبت الشجاع، والعلاقة بينهما تضاد.

(ج)- حقل الحزن والندم:

- (نهره وبهره) غمه وغاظه، العلاقة بينهما (تنافر).
- (نكدًا له وجحدًا) سبق تحليلها.
- (نادم له وسادم) السدم: الندم والحزن، والعلاقة بينهما ترادف.
- (ما له هم ولا سدم) سدم: حزن، والعلاقة بينهما (ترادف).
- (هو تاعس واعس) التاعس: من التعاسة، واعس إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (رجل أيمان عيمان) أيمان: ماتت زوجته، عميان: هلكت إبله، والعلاقة بينهما تنافر والمعنى حزين.

(د) حقل الغضب:

- (جاء مستغمدًا مستميدًا) اسْمَغَدَّ:تورم وانتفخ من التكبر غضبًا، مستميدًا: مائل العنق من التكبر والغضب والعلاقة (ترادف).
- (نهره وبهره) نهره: من الانتهار، بهره: غمه وغاظه، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (رجل عابس كابس) العابس من عبوس الوجه، وكابس: يكبسه والمعنى غاضب، والعلاقة بينهما تنافر.
- (قد هلع وشكع) هلع: ضجر، شكع: ضجر، والعلاقة بينهما ترادف مع زيادة في هلع وهي الجزع.

- (عبد عليه وأبد) عبد: غضب عليه، أبد: أطال في الغضب، والعلاقة بينهما ترادف مع زيادة في أبد، والغضب صفة تدعو صاحبها إلى انفعالات أخرى وصفات ترتبط بها مثل سوء الخلق.

(د) حقل سوء الخلق:

- (ولع تلع وزع) سبق تحليلها.
- (رجل بهظة وكظة) كظاه: كَرَّبه[1] وجَهَده، بهظه بمعنى كظه، والعلاقة بينهما (ترادف)، والمعنى عسير متشدد.
- (سغل وغل) سغل: سيء الخلق، وغل سيء الغذاء، والعلاقة بينهما تنافر.
- (إنه لفظ بظ) بظ: جاف غليظ، فظ: جاف سيء الخلق، والعلاقة بينهما ترادف.
- (ما أشره وأَمَرّه) ما أكثر شره ومرارته، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (إنه شقي لقي) لقي: يلقي شرًا، والعلاقة بينهما (ترادف).
- (خزيان سوآن) سوآن بمعنى قبيح، والعلاقة بينهما (تنافر).
- (يقولون: هو شكس نكس) شكس: صعب الخلق عسير، نكس إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
- (خبيث نبيث) نبث الشر: استخرجه والنبث: النبش، والعلاقة بينهما ترادف، والمعنى شريد.
- (شقيح نبيح) سبق تحليلها.
- (هو همزة لمزة) الهمز بالألقاب، واللمزة العياب، المعنى: سباب وعياب، والعلاقة بينهما (ترادف).
- (رجل باخس ماكس) ظالم ناقص سبق تحليلها.
- (فيه لكاعة ووكاعة) اللكاعة: فيالخُلق، الوكاعة في الخَلْق، والمعنى: سيء، والعلاقة بينهما ترادف.
- (نذل رذل) النذل: من تزدريه في خلقه وعقله، والرذل: هو الدون من الناس، والعلاقة بينهما ترادف.
- (إنه لحزن شزن) شزن: في خلقه عسر، والمعنى أنه صعب في الخلق،

(١) القاموس المحيط: كظ.

والعلاقة بينهما ترادف.

- (إنه لسملع هملع) سبق تحليلها.

- (إنه لشكس لقس) شكس: صعب الخلق، لقس: خبيث النفس، والعلاقة بينهما ترادف.

- (أصبح الرجل شوبًا روبًا) الشوب: الخلط، وهو العسل، الروب اللبن، لكنه يطلق على من يخلط في القول أو العمل (يشوب ويروب)، وعلاقتهما تنافر.

- (إنه لوتغ بدغ) البدغ الفاسق، الوتغ الهلاك والإثم، والعلاقة بينهما ترادف والمعنى فاسق.

- (رجل حطيء نطيء) الحطيء: الرذال من الرجال، نطيء إتباع لها، والعلاقة بينهما صوتية.

- (عمل محطوط مربوط)، أي: مُسْفل مرزول سيء، الحط: الحدر من أعلى، والعلاقة بينهما تنافر.

- (رجل كفرين عفرين) خبيث، كفر: أنكر، عفر التراب، والعلاقة بينهما تنافر.

- (إنه لفاضح ماضح) مضح نشر، وفضح: نشر، والعلاقة بينهما (ترادف).

(هـ) حقل الصبر:

- (هو جلد نجد) نجد شجاع، جلد: صابر، والعلاقة بينهما (تنافر).

- (رجل هاع لاع) سبق تحليلها.

(و) الخيبة والفشل:

- (خائب هائب) من الخيبة والهيبة، والعلاقة بينهما (تنافر).

- (هيَّاب تيَّاب) خياب من الخيبة، تياب إتباع، والعلاقة بينهما (صوتية).

- (خائب لائب) لائب يلوب بالشيء يطلبه كالعطشان، وعلاقتهما (تنافر).

١٠ – علاقات حقل التوافق :

- (إنه لرقيق وفيق) وفيق من الموافقة، علاقتهما تنافر، فالرقة غير الموافقة.

الحقل الثالث : علاقات حقل المجردات

يشمل كما ذكرت آنفًا أسماء الأشياء المعنوية لا المادية، ومنها:

١ـ علاقات حقل الحالة الصحية :

(أ) حقل المرض:

هناك عبارات كثيرة تتكلم عن المرض بأنواعه وحالات صحية مختلفة نحو:

١- (حَرب جَرب) (أرب جَرب) الأرب: التوجع، جَرِب: من الجرب، حرب من الحرب،َ والعلاَقة بينهم (تنافرَ).

٢- (أخرس أمرس) أخرس: لا يتكلم، أمرس: شديد مجرب، والعلاقة بينهم (تنافر).

٣- (ما يألو فلان خرشًا ومرشًا) خرش: خدش الخروش والمروش بمعنى واحد، والعلاقة بينهما (ترادف).

٤- (هو أعمش أرمش) أعمش: في عينه ضعف بصر مع سيلان الدمع، أرمش في عينه حمرة مع سيلان الدمع، والعلاقة ترادف مع وجود مميز دلالي لكل منهما.

٥- (ما بعينه حوص ولا خوص) الحوص: ضعف العين، والخوص انكسارها، والعلاقة ترادف مع مميز دلالي بين حوص وخوص.

٦- (ما له من الشعر قصة ولا نصة) سبق تحليلها.

٧- (أصابته خبطة ونبطة) الخبطة: الزكُمْة، والنبطة: بياض تحت إبط الفرس والعلاقة بينهما (تنافرية).

٨- (ذهبت البليلة والمليلة) بليلة: الصحة بعد المرض، المليلة حرارة الحمى، والعلاقة بينهما (تضاد).

٩- (زمن ضمن) زمن: صاحب عاهة، الضمن مثلها، أي: عاهة، والعلاقة (ترادف).

١٠- (لحاه الله ووراه) لحاه: بمعنى قشره، الورى: الداء، وهو دعاء عليه، والعلاقة بينهما (تنافر).

١١- (الهياط والمياط) الجهد، والعلاج، والعلاقة بينهما (التنافر).

١٢- (ماذا به من الجففف والضفف) الجفف: الحاجة، الضفف: سوء الحال في البدن، والعلاقة بينهما (تنافر).

(ب) حقل مرض الجنون:

يدخل في باب الحالة الصحية مرض الجنون، فهناك عبارات كثيرة قيلت في ذم الحماقة والجنون؛ فاسترعى انتباه العربي هذا المرض فذَّمه في عبارات منها:

١- (أحمق أخرق زبعبق) الأحمق: عديم العقل، الزبعبق: سيء الخلق، والعلاقة بينهما (تنافر).

٢- يقال للأحمق: (هفات لفات) الهفت: الحمق، لفات: أحمق عسير الخلق،

والعلاقة بينهما (ترادف).

٣- (يقال للأحمق: إنه لمأسوس ممسوس) مأسوس: مجنون، ممسوس: به مس من الجن، والعلاقة بينهما (تنافر).

٤- (هو مائق دائق) المائق الهالك حمقًا، ودائق: إتباع له، وعلاقتهما صوتية.

٥- (هو نزق برق) نزق: الخفيف الطائش، برق: الحيران وكلها بمعنى مجنون، والعلاقة بينهما ترادف.

٦- (يقال: أحمق تاك فاك، وتائك) تك: حَمُقَ والهالك حمقًا، الفكة: الحمق مع استرخاء، والعلاقة بينهما (ترادف) مع زيادة في الدلالة في تاك، وفاك، ويجوز أن يكون إتباعًا لفاك.

٧- (مجنون محنون) سبق تحليلها.

٨- (أحمق بلغ ملغ) بلغ: يبلغ ما يريد، الملغ: النذل، والعلاقة بينهما (تنافر).

٩- (فدم لدم) الفدم العيَّ البلد الجبان، اللدم: اللطم، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٠- (أحمق أزبق) الأزبق الذي ينتف لحيته من حمقه، والعلاقة ترادف مع زيادة في أزبق.

١١- (ما له هلاس ولا سُلاس) الهلاس: نحول البدن والسلاس: ضعف العقل، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٢- (ما له حمّ ولا رمّ) الحم القصد والرم الإصلاح، المعنى ما له شيء يتوجه له أي مجنون، والعلاقة بينهما تنافر.

١٣- (إن فلانًا لذو حجر وزبر) حجر: عقل، الزبر: القوي الشديد، الزبر العقل، والعلاقة بينهما (ترادف)، وهو مدح للعقل.

٢- علاقات حقل الطاقة (القوى – الضعف...)

هناك عبارات تناولت الطاقة بأنواعها من قوة وضعف منها:

١- (تعس وانتكس) سبق تحليلها.

٢- (هو ضعيف نعيف) نعيف إتباع والعلاقة صوتية.

٣- (ضئيل بئيل) سبق تحليلها.

٤- (هو عَيِيّ شيى)عيي ما أعجزه، وشيِّي إتباع والعلاقة صوتية.

٥- (هو شديد أديد) أديد: داهية وقاهر والعلاقة (ترادف) مع زيادة بالمعنى.

٦- (هو سيد أيد) أيد: القوة، والعلاقة تنافر بين سيد وأيد.

٧- (إنه لخسل فسل) الخسل: الرذل، الفسل الرذل النذل، والعلاقة ترادف مع زيادة في المعنى.
٨- (خبرته بعجري وبجري) سبق تحليلها.
٩- (رجل وكلة تكلة) تكلة: يتكل على غيره لضعفه، وكلة كثير التواكل، والعلاقة بينهما (تنافر).
١٠- (مهين وهين)، أي: ضعيف من الوهن، المهين: ضعيف حقير، والعلاقة (ترادف) مع زيادة في المعنى.
١١- (إنه لجريء بذيء) جريء شديد الإقدام، بذيء: فحاش اللسان، والعلاقة بينهما (تنافر).
١٢- (هلع جشع) المعنى جزوع حريص من هلع جشع، والعلاقة بينهما (تنافر).
١٣- (لم يبق منهم ثبيت ولا هبيت)، أي: شجاع أو جبان، والعلاقة بينهما (تضاد).
١٤- (ما به نطيش ولا نويص) نطيش حركة وقوة، نويص إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.
١٥- (طريح طليح) طلحه السفر إذا أنهكه، أي: متعب من السفر، والعلاقة بينهما تنافر.

٣- علاقات حقل الجودة: (حسن – رديء – صواب – خطأ)

١- (لم يبق منهم صالح ولا طالح) الطالح الشارد، والعلاقة تضاد بينهما.
٢- (ما عنده خير ولا مير) المير طعام للسفر، والعلاقة بينهما اشتمال، حيث المير ضمن الخير.
٣- (خراب يباب) يباب خال لا شيء فيه، والعلاقة بينهما (تنافر).
٤- (فلان لا يغير ولا يمير) الميرة: الغيرة بمعنى أسرع للنجدة، والعلاقة بينهما ترادف، والمعنى لا خير فيه، فهو لا ينجد ولا يسرع في النجدة.
٥- (عزيز مزيز) مزيز: فاضل، العلاقة (تنافر).
٦- (فلان لا في العير ولا في النفير) لا في السواد ولا في المقاتلة، أي: لا قيمة له والعلاقة تنافر.
٧- (إنه لشقي لقي) سبق تحليلها.
٨- (هو حاذق باذق) سبق تحليلها.

٩- (رجل طب لب) سبق تحليلها.

١٠- (إنه لمجرب مدرب) سبق تحليلها.

١١- (مليح قزيح) للطعام الحسن، سبق تحليلها.

١٢- (إنه جديد قشيب) قشيب: كل شيء جديد، والعلاقة بينهما ترادف.

٤- علاقات حقل الحقيقة (صادق – كاذب – أمين...)

١- (رجل مليء وفيء) مليء: ضد فارغ، والعلاقة بينهما تنافر والمعنى رجل ثقة.

٢- (خب ضب) خب: خَدَّاع، ضب: بخيل ممسك والعلاقة (تنافر).

٣- (حرة تحت قرة) الحرة: العطش، القَّة: الرعدة، المعنى لئيم يخفي غير ما يبدي، والعلاقة (تنافر) بينهما، ولكَنه كَوَّن من المعنيين المعنى الثالث: يخفي غير ما يبدي.

٤- (ما حدَّثه إلا الصقر والبقر) الصقر والبقر اسمان لما لا يعرف والمعنى الثالث المقصود: حدث بالكذب، والعلاقة بينهما صوتية.

٥- (لا يدالس ولا يوالس) مدالسة: خيانة، الموالسة: الخداع، والعلاقة بينهما تنافر.

٦- (جاء بعلق فلق) الفلق: الداهية، علق:إتباع لها هو داهية، والعلاقة بينهما صوتية

٧- (إنه لوكيع لكيعَ) لئيم سبق تحليلها.

٨- (رجل أُمنة أُذنة) أمنة: يصدق كل الناس ويأمنهم، أذنه يسمع لهم بكل شيء، والعلاقة بينهما تنافر.

٩- (إنه لثقة نقة) ثقة: يوثق به، نقة إتباع والعلاقة صوتية.

٥- علاقات حقل العمر(عجوز – عتيق – صغير – شاب):

١- (إنه لحقير نقير) النقير: به نقر من الشاة والمعنى أنها هينة العلاقة تنافر.

٢- (ما زال يفعله مذ شب إلى أن دب) سبق تحليلها.

٣- (يسألون المرأة : أشابة أم ثابة) سبق تحليلها.

٤- (مَنْ شاخ باخ) سبق تحليلها.

٥- (شيخ تاك فاك) سبق تحليلها.

٦- علاقات حقل مميز ديني (مقدس):

١- (زمزم هي لشارب: حِلٌّ وبِلٌّ) سبق تحليلها.

٢- (أقبل الحاج والداج) سبق تحليلها.

٧- علاقات حقل اللون: (أحمر – أبيض...):

١- (أحمر أفشر)، أي: شديد الحمرة، والعلاقة بينهما ترادف مع زيادة في المعنى.

٨- علاقات حقل الجاذبية: (جميل – قبيح)

(أ)- حقل الجمال:

١- (هو صَيِّر وشَيِّر) ذو صورة، وشارة حسنة، أي: جميل، وعلاقتهما تنافر.

٢- (شهير جهير) سبق تحليلها.

٣- (ذهب حبره وسبره) الحبر: أثر النعمة والحسن والبهاء، السبر: الجمال، والعلاقة بَينهما ترادف.

٤- (إنه لقسيم وسيم)، أي: قاسم في الحسن، والعلاقة بينهما الترادف.

٥- (حسن بسن قسن) حسنت سحنت، بسن قسن إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

٦- (إنه لغزي شَهي) الغزي الحسن من الرجال، شهي: المُحبب والمرغوب، والعلاقة بينهما ترادف.

٧- (إنه لجميل بكيل) بكيل جميل، والعلاقة بينهما ترادف.

٨- (ما فيه شقذ ولا نقذ)، أي: عيب، والعلاقة بينهما ترادف.

٩- (شفة كاثعة باثعة) سبق تحليلها.

١٠- (ستيع فنيع) فنيع: فاضل، سنيع: جميل، والعلاقة بينهما (تنافر).

ب)حقل القبح:

١- (خزيان سوآن) سبق تحليلها.

٢- (سميح لميح) سميح قبيح، لميح: كثير الأكل والجماع، والعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (قبيح شقيح) قبحه الله، شقيح: إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

٤- (إني لأبغض الأملح الأقلح) سبق تحليلها.

٥- (شقيح نبيح) شقيح: قبيح، نبيح من نبح الكلب، والعلاقة بينهما (تنافر).

٦- (فيه لكاعة ووكاعة) اللكاعة بالخُلق، الوكاعة في الخَلْق، والعلاقة بينهما تنافر.

٧- (يقال في الذم: نذل رزل) أي تزدريه في خلقته وعقه، والعلاقة بينهما تنافر.

٨- (أف له، وتف له) أف: وسخ الأذن، وتف وسخ الأظفار، والعلاقة بينهما تنافر.

٩ـ علاقات حقل الحرارة: (حار – بارد..)

١- (يوم عليك أكيك) الأكيك بمعنى العليك، شديد الحرارة، والعلاقة بينهما ترادف.

٢- (حار يار جار) سبق تحليلها.

٣- (رجل حَرَّان يَرَّان) سبق تحليلها.

١٠ـ علاقات حقل السرعة: (سريع – بطيء)

١- (خفيف ذفيف) الذفيف السريع سبق تحليلها.

٢- (مهلاً بهلاً) بهلاً تأكيد، وهي إتباع، والعلاقة صوتية بينهما.

٣- (عجل بجل) عجل من العجلة، بجل: فرح، وفي القاموس إتباع، والعلاقة بينهما تنافر وصوتية حسب الرأي الآخر.

٤- (إنه لولع ترع) ترع سريع إلى الشيء، والعلاقة بينهما تنافر.

٥- (ولع تلع وزع) سريع إلى الشر، سبق تحليلها.

٦- (رجل عوق لوق) عوق إذا حبس أو عُوِّق، ولوق إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

٧- (فز بَزَّ) سبق تحليلها.

٨- (إنه لخفاف هفاف) سبق تحليلها.

٩- (فرس عوج موج) سريع كالموج، سبق تحليلها.

١١ـ علاقات حقل العدد: (واحد – اثنان – قليل – كثير)

١- (جاءنا واحدًا قاصدًا) القاصد: الفرد الذي لا أخ له، والعلاقة (ترادف).

٢- (وحيد قحيد) سبق تحليلها.

٣- (ضئيل بئيل) سبق تحليلها.

٤- (هم أكثر من الطرى والثرى) سبق تحليلها.

٥- (أنت عندنا أكثر أثير) أثير: هنا إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

٦- (إنه لكثير بثير بذير بحير) كله إتباع[1]، والعلاقة بينهما صوتية.

٧- (إنه لقليل بليل) بليل إتباع كما ذكر أبو الطيب، والعلاقة بينهما صوتية.

٨- (تافه نافه) التافه: القليل ونافه إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

(١) الإتباع لأبي الطيب، ١٣.

٩- (أعطاني حقيرًا نقيرًا) سبق تحليلها.
١٠- (أعطاه عطاء وَتحًا شَقًا) وتيحا شقينًا، كله بمعنى قليل، والعلاقة ترادف.
١١- (مال دَبْر دَثْرَ) دبر:َمال كثير لا يحصى، دثر: بمعناه، والعلاقة ترادف.
١٢- (افعل ذلك أول صوك وعوك) صوك: أول كل شيء وعوك إتباع، والعلاقة صوتية.
١٣- (رأيت القوم أجمعين أبصعين) بصع: جمع، والعلاقة بينهما ترادف.

١٢ـ علاقات حقل المركز المالي:

أولًا: حقل الفقر

سبق أن تناولنا هذا الحقل (المركز المالي) وقسمناه لحقول منها الفقر، وتعرضنا لأشكال مختلفة من العبارات التي تخص هذا الحقل، وبقي أن نحلل هذه العبارات من الداخل لنتعرف على العلاقات بين كلمتي الإتباع، وطريقة تكوين المعنى فيها، وطريقة تركيب العبارة الإتباعية التي تدل على الفقر كثيرة، وتأتي بأنماط تركيبية متعددة نذكرها هنا مع كل العبارات التي تمثل هذا النمط.

(أ) **النمط الأول** يأتي في صورة: ما+ له+ كذا+ ولا +كذا، نحو الآتي:

١- (ما له حلوبة ولا ركوبة) الحلوبة التي تحلب، والركوبة التي تركب والعلاقة بينهما تنافر.

٢- (ما له هارب ولا قارب)، أي: ما له صادر عن الماء ولا وارد، والعلاقة بينهما تضاد.

٣- (ما له ساحة ولا راحة) الساحة: الناحية والأرض الفضاء، الراحة: الأرض المستوية تنبت كثيرًا، والعلاقة هنا تضاد بين الأرض الفضاء والأرض المزروعة والمعنى ما له شيء.

٤- (ولا رائحة ولا سارحة) السارحة: التي تطلب بها المرعى، والرائحة: التي تعود لأهلها كل ليلة والعلاقة تضاد بينهما، والمعنى لا يملك أي نوع إبل.

٥- (ما له سبد ولا لبد) سبق تحليلها.

٦- (ما لبيت فلان أهرة، ولا ظهرة) الأهرة: جيد المتاع، والظهرة ما استظهر به، والعلاقة بينهما تضاد، والمعنى ما له شيء.

٧- (ما له دار ولا عقار) العقار النخل والضياع فهو فقير ما له شيء، والعلاقة بينهما تنافر.

٨- (ما له ثمر ولا كثر) كَثر: جُمَّار النخل ما له قليل ولا كثير، والعلاقة تضاد بينهما.

٩- (ما له عافطة ولا نافطة) سبق تحليلها.

١٠- (ما له هبع ولا ربع) الهبع ما ينتج في الصيف، والربع ما ينتج في الربيع، والعلاقة بينهما تضاد.

١١- (ما له زرع ولا ضرع)، أي: لا زرع ولا دابة تحلب، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٢- (ما له حابل ولا نابل) حابل سدى الثوب، ونابل: اللحمة والمعنى لا يملك شيئًا، والعلاقة بينهما تنافر.

١٣- (ما له عال ومال) عَالَ: افتقر، مال: أي عن الحق، وقيل هما بمعنى واحد، والعلاقة بينهما ترادف.

١٤- (ما له حانة ولا آنة) الحانة: الناقة، الآنة: الشاة، والمعنى ما له شيء، العلاقة بينهما (تنافر).

١٥- (ما له سعنة ولا معنة) السعنة: الودك (السمن)، والمعنة الخبز، والمعنى فقير.

١٦- (ما له آم وعام) آم: هلكت امرأته، وعام: اشتهى اللبن، حيث هلكت ماشيته، والمعنى أنه فقد امرأته وماشيته، أي: فقير، والعلاقة بينهما (تنافر).

١٧- (ما له ثاغية ولا راغية) الثاغية الشاة، والراغية: الإبل والمعنى فقير والعلاقة بينهما (تنافر).

(ب) **النمط الثاني** يأتي في صورة: ما+ عنده+ كذا+ ولا +كذا، نحو الآتي:

١- (ما عنده شوب ولا روب) سبق تحليلها.

٢- (ما عنده قرض ولا فرض) القرض: ما يُقْتضى به، والفرض ما تفرضه على نفسك، العلاقة بينهما تنافر.

٣- (ما عنده غيض ولا فيض) غاض: قل، فاض: زاد، المعنى ما عنده قليل ولا كثير، والعلاقة بينهما تضاد.

٤- (ما عنده طائل ولا نائل) الطائل: من الطول، أي: الفضل، والنائل هو العطاء، أي: فقير والعلاقة تنافر.

٥- (ما عنده خل ولا خمر)، أي: فقير معدم والعلاقة بينهما (تنافر).

٦- (ما عنده ندى ولا سدى) ندى ماء السماء بالنهار، والسدى: ندى الليل، والعلاقة بينهما تنافر.

(ج) **النمط الثالث** يأتي في صورة: إنه+ لكذا+و+كذا، نحو الآتي:

١- (إنه لفقير وقير) الوقير المثقل بالدين، أي: فقير والعلاقة اشتمال، حيث يشتمل الفقير على الدين.

٢- (يُقال للفقير: إنه لصلقع بلقع) صلقع: مُعدم، البلقع: الخالي من كل شيء، والعلاقة بينهما ترادف.

٣- (إنه لعوز لوز) عوز: لا شيء عنده، ولوز إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

(د) **النمط الرابع** يأتي في صورة: بكذا+ و+ كذا، نحو الآتي:

١- (بالشقور والنقور) سبق تحليلها.

٢- (جوع يرقوع يهقوع ويقوع) سبق تحليلها.

٣- (بقر وعقر) البقر: ذهاب المال، والعقر: الزمانة هي العاهة، والعلاقة بينهما تنافر.

(هـ) **النمط الخامس** يأتي في صورة: نعوذ بالله+ من+ كذا+ و+كذا، نحو:

١- (نعوذ بالله من الخضوع والقنوع) سبق تحليلها.

٢- (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) سبق تحليلها.

٣- (نعوذ بالله من العنوق بعد النوق) سبق تحليلها.

(و) **النمط السادس** يأتي في صورة: كذا+ كذا، نحو الآتي:

١- (عَييّ شويّ) الشوى رُذال المال،والمعنى هو عَيِيّ ولا يملك إلا رذال المال، والعلاقة بينهما تنافر.

٢- (رجل حَريب سليب) حريب: سلب ماله، والعلاقة بينهما ترادف.

٣- (هو أغنى عن ذاك من التفة عن الرفة) التفة: دودة، الرفة التبن، والعلاقة بينهما (تنافر).

٤- (هو ضيق ليق عيق) عيق: ذو تعويق، ليق: إتباع، وعلاقتهم صوتية (تنافرية).

٥- (هو مفقع مدقع) فقع: فقر، دقع: لصق بالتراب، أي: معدم، وعلاقتهما تنافر.

(ز) **النمط السابع** يأتي في صورة: ماذا+ به+من+ كذا+ و+كذا، نحو الآتي:

١- (ماذا به من الجفف والضفف) الجفف: الحاجة، الضفف: القلة، أي: ما به من الفقر، والعلاقة بينهما تنافر.

٢- (ما جاء بهلة ولا بَلّة) الهلة: الفرح والسرور، البلة: الخير، والمعنى ما جاء بشيء طيب، والعلاقة بينهما تنافر.

ثانياً: حقل الغنى

وعلى النقيض من الفقر توجد عبارات تشير إلى الغنى مثل:

١- (هو غني ملّي) ملّي من مليء، أي: ثقة، والعلاقة بينهما (تنافر).

٢- (أمى فلان وأفشى) سبق تحليلها.

٣- (جاء فلان بالطم والرم) الطم: البحر، الرم: أوراق الشجر، أي: المال الكثيرة كثرة البحر وأراق الشجر والمعنى أنه غني، وهو المعنى المكون من الطم والرم، والعلاقة بينهما (تنافر).

٤- (له مال لا يسهى ولا ينهى) يسهى: ما لا تبلغ غايته، النهية: النهاية، أي: مال كثير، وتكون المعنى من ترادف بين يسهى وينهى، والعلاقة بينهما ترادف.

٥- (مال دبر دثر) دبر: مال كثير لا يحصى، ودثر: بمعناه، والعلاقة بينهما ترادف.

٦- (ويقال للحسن القيام على ماله: هو خائل آئل) الخائل: الراعي للشيء، وآئل: أصلح الشيء وأحسن القيام عليه، وعلاقتهما ترادف، والمعنى واحد فيهما.

٧- (جاء بالمال من حسه وبسه)، أي: من حيث أحسه وانقطع عنه، البس: الطلب والجهد حسه الإدراك بالحواس، والعلاقة بينهما (تنافر) أتى به من جهده وطاقته.

٨- (تركت فلانًا سادحًا رادحًا) سدح: أخصب، رح: حسنت حالته (تنافر).

ثالثًا: حقل البخل

ومما يتصل بهذا الباب صفة البخل، حيث البخل سلوك تجاه المال يفعله الفرد رغبة في استقرار مركزه المالي وعدم فقره، ولكنه يبالغ في ذلك، وتأتي عبارات إتباعية كثيرة تذم هذا السلوك منها:

١- (سحيح نحيح) أنحَّ: إذا زفر عندك السؤال، والعلاقة (تنافر) وروى أنيح.

٢- (رجل هلع جشع) جزوع حريص سبق تحليلها، والعلاقة بينهما (تنافر).

٣- (وقد طبع ورتع ودنع) رتع: طمع وحرص، دنع: طمع لئيم، طبع: طمع، والعلاقة بينهم ترادف.

٤- (أسوان أتوان) أسوان: حزين، أتوان: إتباع، والعلاقة بينهم صوتية.

٥- (لحز لصب) لحز: لا يكاد يعطي شيئًا، لصب: عسر الأخلاق بخيل، والعلاقة بينهم ترادف.

٦- (خب ضب) الضب: البخيل الممسك، الخب: الخداع، والعلاقة بينهم (تنافر).

رابعًا: حقل الكرم والمروءة

وفي مقابل البخل هناك الكرم، وهو من أهم الصفات التي تميز بها العربي وفخر بها بشعره، وكذلك في عباراته الإتباعية، والتي تماثل أمثاله وحكمه، منها:

١ – (عزيز مزيز)، أي: فاضل، سبق تحليلها.

٢ – (هو يحفنا ويرفنا)، أي: يعطينا، سبق تحليلها.

٣ – (إنه لسري مري) من السرور والمروءة، والعلاقة بينهم (تنافر).

٤ – (إنه ثِلَمٌّ لملُمٌّ) ثمَّ ولمَّ: جمع وأصلح، لمن يصلح ويعطي بكثرة، والعلاقة بينهما تنافر.

٥ – (وإنه ليثم ويرمُّ) مثلها إذا كان يصلح ويعطي، والعلاقة بينهما (تنافر).

٦ – (إنه لزميت بليت) الزميت: الحلم، البليت: الساكن، والعلاقة بينهم (تنافر).

٧ – (إنه لذو جود وسود) قيل إنها سودد وسقطت الدال لإتباع جود، الجود: الكرم، السؤد: الشرف، والعلاقة بينهم (تنافر).

١٣ـ علاقات حقل الوقت :

١ – (ما أفعله سجيس عجيس)، أي: الدهر، وسيأتي تحليلها.

٢ – (هو لك أبدًا سمدًا سرمدًا)، أي: الدهر، وسيأتي تحليلها.

الحقل الرابع (العلاقات):

أ – حقل العلاقات الزمانية:

١ – (ما زال يفعله مذ شب إلى أن دب) سبق تحليلها.

٢ – (لا أفعله ما اختلف السمر والقمر) سبق تحليلها.

٣ – (لا أفعله سجيس عجيس) يريدون الدهر، سجيس: آخره، العجيس تأكيد لها، والعلاقة بينهما ترادف.

٤ – (هو لك أبدًا سمدًا سرمدًا) العلاقة بينهم ترادف.

ب – حقل العلاقات المكانية:

١ – (عليه من المال ما لا يُسْهى ولا يُنهى) سبق تحليلها.

٢ – (ما عنده حائل ولا نائل) سبق تحليلها.

٣ – (بفيه التراب والكباب) الكباب هو التراب بعينه، والعلاقة بينهم (ترادف)

٤ – (مكان عمير بجير)عمير من العمارة، وبجير: إتباع، والعلاقة بينهم صوتية.

٥ – (بلد عريض أريض) العريض: الواسع الأريض: الحسن من النبات، والعلاقة بينهما تنافر.

٦ – (مكان سلقع بلقع) سلقع: المكان الحزن، بلقع: إتباع، والعلاقة بينهما صوتية.

الفصل الثالث
نتائج تحليل العلاقات داخل العبارة الإتباعية

بعد دراسة العبارات الإتباعية في الجانب الدلالي والنفسي والعصبي، وتحليل العلاقات الرابطة بين كلمتي الإتباع داخل العبارة الواحدة في ضوء نظرية الحقول الدلالية، بقي أن نناقش قضية ذات قيمة كبيرة، وهي مفهوم العلاقات بين كلمتي العبارة الإتباعية لدى القدماء والمحدثين؛ نظرًا لأن هذه العلاقات تبين مدى عمق مفهوم العلاقة الرابطة بين كلمتي الإتباع لدى أبناء عصرين مختلفين، ومدى ما وصلوا إليه من نتائج في فهمهم لهذه العلاقة، وبيان دورها في خلق معاني جديدة في العبارة الإتباعية، كيف يبدعها المتكلم؟، وما دور المخ في هذه.

أولًا: العلاقات داخل كل الحقول الإتباعية.

درسنا أنواع العلاقات التي توجد بين كلمتي الإتباع في كل حقل، والحق أن العلاقة بين كلمتي الإتباع استرعت اهتمام القدماء والمحدثين فقاموا بتصنيف هذه العلاقة في بحوثهم وكتبهم، ونلخص هنا آراء القدماء والمحدثين في نقاط:

أ.رأي القدماء:

١- الإتباع اتفاق صوتي بين كلمتين لتزيين الكلام، وتقوية المعنى وتأكيده.

٢- التابع لابد أن يكون دون معنى ولو جاء بمعنى للتوكيد وأفرد لا يكون إتباعًا، بل هو توكيد، وهذا رأي أبي الطيب اللغوي وخالفه أبو علي القالي فيه.

٣- رأي القالي: أن الإتباع نوعان:

أ- قسم يكون فيه الثاني بمعنى الأول، ويأتي للتوكيد.

ب- قسم يكون الثاني بغير معنى الأول[١].

٤- رأي أبي عبيد القاسم بن سلام: يرى أن التابع لا معنى له، ولا يفصل بينه وبين متبوعه بواو، وهو رأي دلالي تركيبي، حيث اهتم بالمعنى والتركيب بعدم وجود فاصل ولا معنى للمتبوع[٢].

خلاصة رأي القدماء:

إن التابع إما أن يكون له معنى أو لا، ويكون للتوكيد وتقوية المعنى عندما يكون له معنى، وقد يوافق المتبوع في المعنى، أو لا يوافقه، وقد يعطف على المتبوع

(١) إذن فهو ليس للتوكيد ولكن لمعنى آخر وهو ما أثبته البحث.

(٢) قد عرضنا لهذه الآراء بالتفصيل في الباب الأول ولكن هذا تلخيص يخدم هذا الجزء من البحث.

أو لا يعطف، وهذا مجمل رأى القدماء على الرغم مما فيه من خلاف، حيث رأى كل عالم منهم رأيًا مخالفًا للآخر، أو موافقًا له.

ب. لدى المحدثين:

لكن البحث الذي قمت به، ودرستُ فيه كل العبارات الإتباعية وما بين كلمتي الإتباع من علاقات له **رأي آخر، حيث يرى:**

أنواع العلاقات بين كلمتي الإتباع:

إن العلاقات بين كلمتي الإتباع لا تخرج عن هذا الإطار:

أ) علاقة صوتية:

حيث لا يكون للكلمة الثانية معنى إلا إحداث الانسجام الصوتي، وهو ما أشار إليه أيضًا القدماء من وجوب ألا يكون للثاني معنى، وتحت هذا القسم تأتي:

١- كلمات ليس لها معنى مطلقًا (الإتباع الصوتي).

٢- كلمات ليس لها معنى في هذا التركيب، بل يكون لها معنى في القاموس، وتستخدم مستقلة عن هذا التركيب بهذا المعنى المعجمي؛ لهذا نجد للكلمة معنى خارج هذا التركيب، ولا معنى لها في داخله، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكن أحسب أن هذه الكلمة كان لها معنى في مجتمعها وبيئتها يومًا ما، فلا يعني عدم معرفة اللغويين لمعنى الكلمة أنها لا معنى لها، فلا أعتقد أن العربي يقول كلمة لا معنى لها، وقد قال بهذا الرأي السبكي، حيث ذكر أنه ليس معنى أن أبا حاتم لا يعرف معنى الكلمة أنها لا معنى لها، والقصة كاملة ذكرها السيوطي في المزهر: قال الآمدي: التابع لا يفيد معنى أصلاً، ولهذا قال ابن دُريد: سألت أبا حاتم عن معنى قولهم بسن، فقال: لا أدري ما هو.

قال السبكي: والتحقيق أن التابع يفيد التقوية، فإن العرب لا تضعه سُدى، وجهل أبي حاتم بمعناه لا يضر، بل مقتضى (قوله إنه لا يدري) معناه أنه له معنى، وهو لا يعرفه، قال: والفرق بينه وبين التأكيد أن التأكيد يفيد مع التقوية نفي احتمال المجاز؛ فالتابع من شرطه أن يكون على زنة المتبوع، والتأكيد لا يكون كذلك[١].

هذا رأي صحيح، حيث يؤكد أن التابع لابد له من معنى وضع من أجله في هذه العبارة، ولهذا نجدهم يختارون من الكلمات التي ترادف الكلمة الأولى ما

(١) المزهر، ٢/٤١٦.

توافقها في الوزن والروي ليحدث الانسجام الصوتي بينهما، ولكن ربما اندثر هذا المعنى، أو نُسي أو جاء بلهجة قبيلة غير مشهورة، كشهرة قريش، فبقيت العبارة تحمل الانسجام الصوتي بين كلمتي الإتباع، وضاع من الكلمة الثانية معناها فقالوا لا معنى لها، بل بعضهم اشترط فيها أن تكون بلا معنى كما قال أبو الطيب اللغوي، والذي يؤكد هذا الرأي أن العبارة الإتباعية غير معروفة القائل، فلا ندري إلى أي شاعر أو حكيم أو قبيلة تعود هذه العبارة أو تلك، بل الذي نؤكده أن كل العبارات الإتباعية هي تراث كل البيئة العربية على اختلاف قبائلها وبيئاتهم وعبر أجيالهم المتلاحقة.

والذي أخذت به في هذا البحث من الرأي هو أن هذه الكلمة[1] لا معنى لها، وهي تتبع الأولى صوتياً فقط لتحدث الانسجام الصوتي؛ وذلك لأننا لم نجدها مذكورة في المعاجم التي بين أيدينا سوى قولهم هي إتباع لما قبلها، وقد أخذت بهذا الرأي (رغم مخالفتي له) حتى لا نضع لها معنى من عندنا (غير صحيح بالطبع)، ويكون نوعًا من الميتافيزيقا، أو الحذلقة الدلالية، ونظرًا لهذا الأساس الصوتي الذي يربط بين الكلمتين سميتُها علاقة صوتية؛ لأنها تتبع ما قبلها في الصوت فقط.

ب) علاقة الترادف:

«يتحقق الترادف حين يوجد تضمين من الجانبين، يكون (أ) و(ب) مترادفين إذا كان (أ) يتضمن (ب)، و(ب) يتضمن (أ) كما في كلمة (أم) و(والدة)»[2]، ويحدث الترادف بكثرة في العبارة الإتباعية، ولكن بعد تحليل هذه العبارات وفق النظرية التحليلية تبين أن هذا التطابق بين المترادفات غير كامل، بل يوجد ملمح دلالي يميز هاتين الكلمتين المترادفتين عن بعضهما «فيمكن استخدام نظرية العناصر للحكم على كلمتين بالترادف؛ وذلك إذا أعطينا نفس الملامح التكوينية أو التشخيصية بغض النظر عن الاختلافات العاطفية أو الثانوية:

١- كلمة adult مع grown up.

يمكن أن تعطي كل منهما: الملامح + كائن حي + بالغ على الرغم من أنهما تختلفان في المعنى الأسلوبي فإحداهما عامية والأخرى رسمية.

(١) أقصد الكلمة الثانية (التابعة).

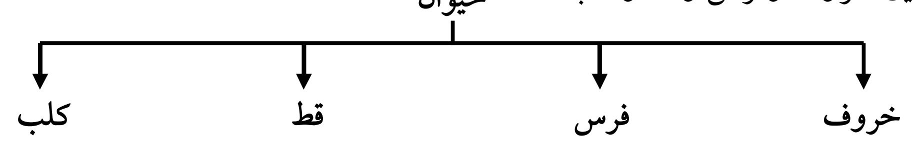
(٢) علم الدلالة، ٩٨.

٢- ويمكن أن يقال مثل هذا بالنسبة للكلمتين Father و daddy اللتين تملكان نفس الملامح التميزية الأساسية، وإن حملت كلمة daddy سحنة عاطفية أكبر ودلت على علاقة شخصية حميمة(١). وهذا يعني أن التطابق التام بين المترادفين غير ممكن، وهذا ما وجدته في العبارات الإتباعية، وأشرت إليه عند تحليلي لكلمتي الإتباع عند وجود علاقة ترادف بين كلمتي الإتباع، فقد أشرت إلى وجود مميز يوضح الفرق بين الكلمتين المترادفتين كوجود زيادة في المعنى في الكلمة الثانية عن الأولى.

ولهذا نستطيع القول: إن كل كلمتين مترادفتين من كلمات الإتباع تحمل مميزًا دلاليًّا يعطيها ملمحها الدلالي الخاص بها، والذي يميزها عن الكلمة الثانية على الرغم من ترادفهما. ولهذا لا يوجد ترادف تام بين كلمتي الإتباع، بل هناك زيادة في المعنى ولو كانت الكلمتان مترادفتين تمامًا لما ذكرهما العربي في عبارة واحدة؛ لأنه يكره التكرار الكلمة دون جديد في معناها.

ج) علاقة التنافر:

ويتحقق التنافر داخل الحقل الدلالي إذا كان (أ) لا يشتمل على (ب) و(ب) لا تشتمل على (أ)، وبعبارة أخرى هو عدم التضمين من طرفين؛ وذلك مثل العلاقة بين خروف وفرس وقط وكلب(٢)



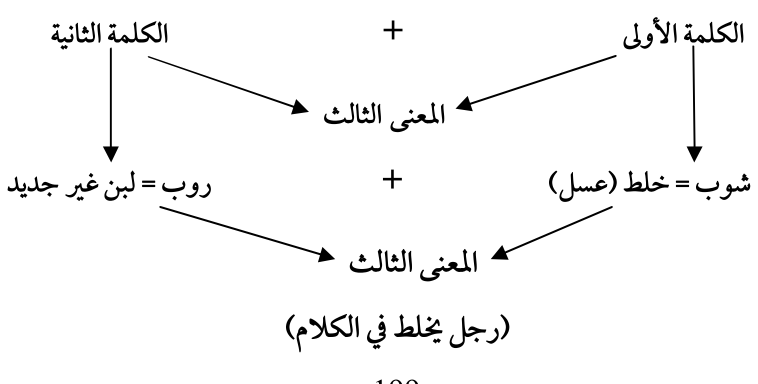
يحدث هذا التنافر بكثرة في العبارة الإتباعية، ولكن ما الهدف من ذلك؟ إن هدف العبارة الإتباعية في الجمع بين المتنافرين هو تكوين المعنى الثالث المقصود من العبارة، وهو ليس من معاني كلمتي العبارة ولا متضمنًا فيهما، ولكنه يفهم من العبارة نحو (ما له ركوبة ولا حلوبة)، وهو ربما يقصد أنه لا يملك ناقة يحلبها، ولا يملك دابة يركبها، وقد يكون هذا الشخص كذلك(٣)، لكن هذا وذاك غير مقصود من العبارة التي جمعت بين هذين المجالين المتباعدين/ المتنافرين كهدف للمتكلم

(١) علم الدلالة، ١٣٤.
(٢) علم الدلالة، ١٠٥.
(٣) وقد يكون عنده ناقة يحلبها ودابة يركبها ولكن لا يزال فقيرًا لكثرة الأولاد أو غير ذلك فلس عدم امتلاك الناقة والدابة دليل فقر تام، والعكس صحيح.

عند نطقه بهذه العبارة، لكن المقصود شيء آخر هو المعنى الثالث (أن هذا الشخص فقير لا يملك أبسط الأشياء)؛ لهذا جاء التنافر للتعبير عن المعنى الثالث غير المنطوق وخلقه من هذا التنافر. وإلى جانب هذا نجد أن الشيئين المتنافرين تجمعهما صلة أخرى في المستوى الأعلى من الحقل، فنجد أن كلب وخروف وفرس رغم اختلافهم في النوع التفريعي إلا أنهم يجمعهم حقل واحد في المستوى الأعلى وهو حقل الحيوانات، كذلك المثال السابق، فالركوبة والحلوبة يجمعهما أيضًا حقلُ واحد، وهو حقل الحيوانات، إن كل متنافرين قد يلتقيان في المستوى الأعلى من التقسيم، ولهذا نقول: إن هذا الجمع بين المتنافرين في عبارة واحدة له هدف دلالي من أجله قيلت هذه العبارة، ويمكن الوصول إليه ومعرفته بالصعود إلى المستوى الأعلى في الحقل نفسه فنجد ما يجمعهما معًا، وفي الحقيقة يكون هو المعنى المقصود من العبارة، ولهذا فالمتنافران يجتمعان في المستوى الأعلى من الحقل، وقد اجتماعا في عبارة واحدة لهذا السبب، ولنأخذ أمثلة على ذلك، نحو:

١- (أصبح الرجل شوبًا روبًا) الشوب: هو الخلط وهو العسل، الروب: هو اللبن بعد تحوله من حليب سائل إلى روب متجمد فكل من الشوب والروب متنافران وفي المستوى الأعلى الذي يجمعهما أنهما مختلطان، والمعنى الثالث هو المقصود من هذا الجمع بين المتنافرين أن هذا الرجل يخلط في القول ويلغو.

٢-(فيه لكاعة ووكاعة) اللكاعة: سوء الخُلق، الوكاعة: سوء الخلق والعلاقة بينهما أنهما متنافران، ولكن يجمعهما مستوى أعلى، وهو السوء في الخَلق والخُلق، والمقصود به أنه يجمع بين سوء الخُلق الخَلْق. وعلى هذا نجد كل الأمثلة التي في علاقة تنافرية بين كلمتي الإتباع، تقوم على هذا الأساس، سواءً كان المعنى محسوسًا أو غير محسوس تأتي في هذا التركيب الدلالي:



وهذه إحدى طرق تكوين المعنى في العبارة الإتباعية، ويمكن أن تطبيقها كقاعدة على كل عبارة تقوم العلاقة فيها على أساس التنافر، ويمكن مراجعة ذلك فيما سبق من عبارات إتباعية في هذه الدراسة.

د) علاقة التضاد:

تقوم هذه العلاقة بين كلمتي الإتباع لتكوين معنى آخر، وهو:

١- النفي المطلق للفعل: (لا أفعله ما اختلفت الدرة والجرة) الدرة: سيلان اللبن من الضرع لأسفل، والجرة: الطعام الذي تجتره الناقة لأعلى، والعلاقة بينهما التضاد، أما المعنى المقصود هو عدم فعل هذا مطلقًا، وهو تضاد اتجاهي opposition بين أعلى وأسفل.

٢- بداية المرحلة ونهايتها (مُذ شَبَّ إلى أن دَبَّ)، والمعنى طول العمر والمقصود الشمول.

٣- الاستفسار عن حالتين متضادتين (أشابة أم ثابة).

٤- تضاد بين القليل والكثير، وهو تضاد في الكمية، وهناك تضاد في الحجم نحو كبير وصغير.

هـ) علاقة اشتمال:

تقوم على أن الأول (أ) يشمل الثاني (ب) نحو جسم الإنسان يشمل اليد، وقد وردت عبارات قليلة على أساس هذه العلاقة نحو (رجل باخس ماكس) باخس: ظالم، الماكس: الظلم بالنقض، فالعلاقة تقوم على أن الظلم يشمل أيضًا المكس (الظلم بالنقض)، ومثلها (إنه لمضيم هضيم) ضامه: ظلمه، وهضمه: ظلمه بالقهر والغضب، وهو نوع مما اشتمل عليه الظلم.

ثانيًا: الإتباع وصناعة المعنى في الحقول الدلالية.

إن الناطق بالعبارة الإتباعية له أهداف كثيرة بعباراته معلنة وغير معلنة، وهذا الأمر جعل المتكلم المبدع يتفنن ويبدع في صنع العبارة وإبداعها وفي اختيار العبارة التي توافق المعني الظاهر والمختفي وراء هذه العبارة الإتباعية، إذن العبارة الإتباعية تهدف إلى الإشارة لرأي المتكلم تجاه أمر ما؛ ولهذا الهدف سَخَّر هذه العبارة الموجزة لتسير إلى هذا المعنى، ويستخدم لذلك الهدف طرقًا سميتُها «**طرق تكوين المعنى**»، وذكرتها في مكانها من الدراسة، فمنها:

١- استخدام صيغة أفعل للدلالة على الكثرة. (أشعر أظفر)، أي: طال شعره وأظفاره دلالة غير منطوقة، بل مفهومة. و(مشتْ الماشية وأمشت)، أي: كَثُرتْ. و(أمشى فلان وأفشى) إذا كثرتْ ماشيته ونعمه.

٢- استخدام كلمتي الإتباع لتكوين معنى جديد:

يستخدم كلمتي الإتباع لتكوين معنى جديد بأن تكون الكلمة الأولى اسمًا والثانية حكمًا عليه: شيطان ليطان – عفريت نفريت.

أو تكون الكلمة الأولى فعلاً والثانية حكمًا عليه، وهي فعل نحو: (شاخ باخَ) والمحكوم عليه هو الفعل شاخ، فقد استخدم الفعلين، وهما كلمتا الإتباع، لإعطاء وصف الشيء والحكم عليه في عبارة واحدة مكونة من كلمتين فقط.

٣- استخدام كلمتي الإتباع لتكوين معنى ثالث:

ويظهر هذا بكثرة في العبارات التي تقوم على علاقة التنافر، حيث نجد كلمتي الإتباع غير مقصودتين في المعنى المراد من العبارة، بل هناك معنى ثالث تكوَّن من اجتماعهما، تعرفه –غالبًا – بالصعود إلى المستوى الأعلى في التقسيم داخل الحقل، حيث إنهما في حقل واحد، ولكنهما متنافران في مستوييهما نحو (فرس – كلب)؛ فهما حيوانات في المستوى الأعلى من التقسيم داخل الحقل، حيث هما من حقل واحد، ولكنهما يتنافران، فهما حيوانات في المستوى الأعلى من التقسيم، وهما متنافران بمستوييهما الذي هما فيه، الفرس غير الكلب.

٤- المشترك اللفظي:

لا توجد عبارات إتباعية تقوم على أساس استخدام المشترك اللفظي؛ لأن هذا يعني أنه سيكرر الكلمة بعينها لتعطي المعنى الآخر، وهذا لا يُحدث ذلك الانسجام الصوتي المطلوب في العبارة الإتباعية، حيث سيكون هذا جناسًا تامًا، وهو مرفوض في العبارة الإتباعية، بل المفضل والوارد هو الجناس الناقص؛ لما يحدثه من نغم مميز عند تكرار الكلمة نفسها مع اختلاف في أحد حروفهما في أغلب الأحيان، ولم ترد عبارة إتباعية واحدة على شكل الجناس التام.

ولكننا وجدناه في إحدى هذه العبارات يأتي بالمشترك اللفظي، ولكن بشكل جديد، حيث يغير من صيغة الكلمة لتعطي صيغًا مختلفة، وأيضًا دلالات مختلفة رغم أن المادة اللغوية لهم جميعًا واحدة نحو (مشت الماشية وأمشت)؛ فاستخرج

من المادة اللغوية (م . ش- ي) مشى، صيغة: مشى، أمشى، ماشية، والمعنى مختلف، مشت: فعل بمعنى سارت، أمشت فعل بمعنى كَثُرتْ، وماشية: اسم فاعل للأنعام عامة كالشاة، والمعنى المراد بالعبارة كثرت ماشيته، أي: كثرت نعمه، فوظف المشترك اللفظي لصيغة (مشى) لتعطينا دلالات متعددة ومختلفة.

ثالثًا: بيننا وبين القدماء في معنى الإتباع

إن القدماء قدموا لنا عددًا كبيرًا من العبارات الإتباعية التي لم يكن لنا أن نصل إليها إلا بما قدموه وبذلوه من جهد في جمع هذه العبارات في كتب مخصصة لذلك، وضمن موسعاتهم، كذا فضلهم في توضيح كثير من العلاقات التي تقوم بين كلمتي الإتباع، ولهذا كان علينا أن نواصل هذا العمل، ونكمل ما شرعوا فيه، لنوضح باقي العلاقات في ضوء نظريات علمي اللغة والأعصاب، فقد وجدنا أنهم حصروا تلك العلاقات في:

١- علاقة صوتية: بأن تكون الكلمة الثانية قد جاءت فقط لإحداث هذا الانسجام الصوتي مع الكلمة الأولى وقالوا: هذا شيء: نبدأ به كلامنا)[١]، وهذا صحيح في أمثلة كثيرة.

٢- قد تكون الكلمة الثانية لها معنى، ولكنهم لم يشيروا إلى نوع العلاقة بين كلمتي الإتباع في هذه الحالة (أن تكون لها معنى)[٢]، وقد قمت من خلال هذا البحث بعرض لكل هذه العلاقات، وأوضحت أنواع هذه العلاقات في إطار نظرية الحقول الدلالية، فقد كان هم القدماء في هذا الباب توضيح معنى الكلمة الثانية والأولى والبناء الصرفي لكل منهما، وكذلك المواقف التي تقال فيها.

٣- طرق تكوين المعنى: أوضح القدماء الهدف من العبارة بتوضيح المعنى العام لها، لكنهم لم يتناولوا بالتفسير كيف يتكون المعنى الثالث، والذي يفهم من العبارة رغم معرفتهم له وذكره في كل عبارة (في الأغلب) عندما يذكر ذلك اللغويون في كتب الإتباع شارحين بعض العبارات نحو (هو ولع تلع وزع)، أي: سريع إلى الشر[٣]، فذكر المعنى العام المقصود من هذه العبارة.

(١) المزهر للسيوطي ٢/ ٤١٤.
(٢) وهو موضع خلاف بينهم كما ذكرت في موضعه.
(٣) الإتباع والمزاوجة ١٠٠.

٤- العلاقة بين الصوت والتركيب: وقد ظهرت هذه الملاحظة فيما اشترطه القدماء من شروط في تركيب عبارة الإتباع، فقد اشترط بعضهم عدم وجود واو العطف بين كلمتي الإتباع، كما قال أبو عبيد القاسم بن سلام: إن التابع لا معنى له، ولا يفصل بينه وبين متبوعه بواو، وهذا الأمر (وهو عدم وجود الواو) سيؤدي إلى اختلاف التنغيم بين كلمتي الإتباع، حيث سيكون النغم الناتج عن وجود الواو بينهما مختلفًا عنه في حالة عدم وجودها، وبعد دراسة كل عبارات الإتباع الواردة عن القدماء تبين أن هذه الواو تحذف وتثبت حسبما يقضي تركيب العبارة، فالتركيب هو الذي يفرضها؛ فتثبت للعطف بين كلمتي الإتباع، وهو أيضًا الذي يرفضها، وقد لاحظت خضوع هذه العبارات للقاعدة النحوية قبل أي شيء، وقلما تخرج عنها لأسباب صوتية ذكرتها في مكانها من البحث.

***

الباب الخامس
العبارة الإتباعية في المجتمع العربي المعاصر

أشرنا إلى هذه الظاهرة أنها تقوم على أساس صوتي، حيث إن العبارة الإتباعية هي إحدى أنماط الكلام الذي ينطق به أفراد كل المجتمعات، ويميلون إلى استخدامها؛ لما فيها من موسيقى صوتية، وتنفيس عمّا في النفس الإنسانية من انفعالات متنوعة ومتعددة، وهم يكثرون منها، وهي لديهم موضع استشهاد في أحاديثهم اليومية، ولهذه الأسباب تلتحم العبارة الإتباعية بالمجتمع على ألسنة أفراده، فهي نتيجة تفاعل المجتمع مع أفراده؛ لذا تأتي العبارات مصورة كل خصائص هذا المجتمع وعاداته وسلوك أفراده، كذا تقتبس العبارة كل ألفاظها من البيئة التي يعيش فيها هؤلاء الأفراد، فنجد فيها كل موجودات البيئة من حيوانات وجمادات وأسماء أفرادها، كذا نجد أنماطًا مختلفة من البشر من البخيل والكريم والشجاع والظالم وغيرهم بكل عاداتهم وسلوكهم؛ نجدها تتكرر في كل مجتمع.

سنتناول هنا العبارات الإتباعية بأنماطها المختلفة في مجتمعاتنا العربية المعاصرة؛ فنرى كيف صورت العبارة الإتباعية التجانس والتآلف الفكري بين أفراد مجتمعاتنا العربية، إنه تآلف في الفكر والسلوك والدين، وليس في اللغة فحسب؛ وذلك من خلال عدة محاور، هي:

المحور الأول: شيوع ظاهرة الإتباع في المجتمعات العربية المعاصرة.

المحور الثاني: العبارات الإتباعية وموجودات البيئة.

المحور الثالث: امتداد العبارة الإتباعية عبر الأجيال والبيئات العربية.

المحور الأول: شيوع ظاهرة الإتباع في المجتمعات العربية المعاصرة

نظرًا لشيوع الظاهرة الإتباعية ووجودها في كل مجتمع بشري في العالم كله، (فقد وجدناها في لغات متعددة)، فقد شاعت كذا في المجتمع العربي؛ فهي تفاعل النفس الإنسانية مع كل ما يحيط بها بكل مكان، إنها تنفيس النفس البشرية عن انفعالاتها المختلفة؛ فهي مخزن لذكريات المجتمع الإنساني، سنقصر درسنا على شيوعها وانتشارها في مجتمعنا العربي، فهي موجودة به على الرغم من اتساعه، والاختلاف بين بعض المجتمعات العربية في اللفظ أحيانًا واتفاق في أكثر الأحيان في بعض العبارات؛ لذا سنتابعها بكل بيئاتنا ومجتمعاتنا العربية.

انطلقت في تتبعي للظاهرة في المجتمع العربي من أقصاه إلى أدناه ومن مشرقه إلى مغربه في عباراته المتعددة التي ينطق بها في حياته اليومية، فهي ظاهرة إنسانية تنطلق من انفعال **آني** يصيب الفرد؛ فينطلق لسانه بهذه العبارة أو تلك من خلال عملية استدعاء لها من ذاكرته، أو بإبداعها في التو واللحظة كرد فعل لانفعال ما يعيش فيه الآن، ولم تخذلني اللهجات العربية المعاصرة كلها في بيئاتها المتعددة وبلادها الكثيرة وأوطانها المتعددة، فكلها بلاد عربية تنطق باللغة العربية، وجدتها ضمن أمثالها وعباراتها الواردة على ألسنتها والمستخدمة في حياتها اليومية بكثرة، وقد وردت لديهم باللفظ والمعنى نفسهما في كثير من الأحيان كما نطق بها القدماء ودونوها بكتبهم، مع تحريف في اللفظ أو المعنى في بعض الأحيان؛ مما يؤكد أن الإتباع في أصله ظاهرة إنسانية نفسية توجد بكل نفس بشرية وبكل البلاد عربية وغير عربية القديمة والمعاصرة، إنها تنفيس عن الانفعال النفسي الذي يصيب الإنسان في أي زمان ومكان.

لذا ليس بمستغرب أن نجد هذه العناية الكبيرة من القدماء بهذه الظاهرة حتى أنهم ألفوا فيها كتبًا كثيرة تحمل اسم هذه الظاهرة (الإتباع والمزاوجة)، وقد تناولنا جهود القدماء، وكتبهم حول هذه الظاهرة في قسم خاص من هذه الدراسة، ويمكن أن نشير هنا إلى نماذج من هذه الظاهرة كما وردت في المجتمعات العربية على امتداد عالمنا العربي، وإلى تنوع هذه العبارات في هذه المجتمعات العربية المعاصرة، مع ملاحظة أنها تحمل خصائص تميز كل مجتمع منها.

لاحظت أن الدارسين لهذه الظاهرة من القدماء جاءت دراستهم في شكل معجمي فدرسوها ضمن معاجم صنعوها لغرض جمع وإحصاء العبارات الإتباعية فقط، فوضعوا بمعاجم صنعوها لها باسم كتب (الإتباع والمزاوجة) وضمن موسوعاتهم اللغوية، ولكننا رأيناها في معاجم المعاصرين ضمن كتب الأمثال للبلاد العربية في معاجم تضم كل الأمثال العربية؛ لذا سعينا لاستخراجها من كتب الأمثال المعاصرون، و كان من بين هؤلاء الدارسين المعاصرين:

١. أحمد تيمور باشا في كتابيه: الكنايات العامية والأمثال العامية.
٢. د. محمد رضوان الداية في كتابه: معجم الكنايات العامية الشامية.
٣. سعد محمد القاضي بكتابه: قاموس الأمثال الشعبية والعربية والأفريقية.

هذه الكتب تمثل مصدرا ومرجعًا لأكثر أمثال البيئات العربية المعاصرة؛ لذا سنكتفي بها لدراسة نماذج للظاهرة في العربية المعاصرة، وقد وجدنا سعد محمد

القاضي يشير في قاموسه إلى ما فعله عند جمعه لأمثاله من البيئات العربية المعاصرة المختلفة؛ فسافر قاموسه إلى هذه البلدان لجمعها، يقول: "تناول القاموس البحث عن المثل وسافر به إلى العديد من الدول العربية والأفريقية ليعرف كيف يُقال هذا المثل بعينه في هذه البلاد، وثبت أن هناك وحدة عربية للأمثال الشعبية، وهذا لم يتطرق إليه أي كتاب من قبل"(١).

كان غرض هؤلاء الدارسين صنع معجم للأمثال العربية المعاصرة يكون مرجعًا لها؛ لذا كانت أمثالهذه الكتب مرتبة ترتيبًا معجميًّا، ولم يكن غرضهم تقديم دراسة تحليلية لهذه الأمثال التي جمعوها، وعلى الرغم من هذا الترتيب المعجمي الذي جاءت فيه هذه الأمثال والغرض الذي جُمعتْ من أجله؛ فإننا نخترق هذه المعاجم لغرض آخر غير ما أُلفت له، وهو استخراج العبارات الإتباعية الواردة فيها، والتي تمثل اللهجات العربية المعاصرة والموجودة في القواميس المعاصرة ودراستها.

إن غرضنا من عرض الكتب التي هي قواميس للأمثال العربية المعاصرة هو فتح الباب أمام الباحثين لدراسة هذا التراث الثقافي الشعبي العربي، ليس كأمثال؛ بل كعبارات إتباعية صورت حياة المجتمع العربي المعاصر بدقة بالغة، وصنع معجم لها حسب تصنيف نظرية الحقول الدلالية لكلمات اللغة؛ فهو أول معجم يصنف العبارات حسب تصنيف هذه النظرية، ونبين كيف نطبق النظرية الدلالية الحديثة على تراثنا الثقافي العربي القديم والمعاصر؟، كذا نقارن بين هذه العبارات على اختلاف المكان والزمان، ونبين مدى امتداد العبارة الإتباعية عبر العصور والأجيال والأماكن والبلدان المختلفة، وكيف تضم الأمثال والعبارات الإتباعية كل فنون الحياة صغيرها وكبيرها قديمًا وحديثًا، إنها متغلغلة في كل دروب الحياة، لا ينفك عنها أيُّ إنسان يعيش بأي مجتمع في الحضر أو البادية وفي المدنية المعاصرة بأضوائها الصاخبة وبهرجتها العارمة والقرية العتيقة.

سنعرض لكل كتاب بصورة مستقلة؛ لبيان أن كل كتاب يصلح أن تقوم حوله دراسة مستقلة من الباحثين، يبينون ما فيه من عبارات إتباعية من خلال نظرية دلالية ما؛ فالتراث العربي لازال بكرًا يحتاج إلى جيش من الباحثين لدراسته،

(١) قاموس الأمثال الشعبية العربية والأفريقية: سعد محمد القاضي، هيئة الكتاب، القاهرة، ٢٠٠٥، ص١٥.

سنذكر هنا فقط نماذج لما ورد في كل كتاب على حدة، ولن نعرض كل العبارات التي وردت في هذا الكتاب أو ذاك، بل سنختار بعض نماذج منها بصورة عشوائية لبيان أن هذه العبارات موجودة بكثرة في هذه الكتب، فمن رغب في الزيادة منها فليتجه إلي هذه الكتب، وسنبدأ بالكتب التي جمعتْ الأمثال المصرية المعاصرة، ثم الأمثال الشامية، ثم الأمثال العربية والأفريقية على هذا الترتيب.

أ. الكنايات[1] العامية لأحمد تيمور باشا[2]:

اخترنا مما جمعه تيمور باشا من عبارات إتباعية في كتابه الكنايات، وهي:

١. ص **١١** أ. "**بالباع** و**الدراع**"، ب. "**بالحنجل** و**المنجل**".

٢. ص **٢٢** "**الخالق الناطق**". ٣. ص **٢٦** "الدنيا **تضرب تقلب**".

٤. ص **٣٧** "**الصباح رباح**". ٥. ص **٣٩** "**طايح** ابن **رايح**".

٦. ص **٢** "**عاطل** على **باطل**". ٧. ص **٤٤** "**عسل وينغسل**".

٨. ص **٦٠** "ما يعرفشي **كوعه** من **بوعه**". ٩. ص **٤٩** "**قد وقدود**".

١٠. ص **٥٠** "قطع **الحليبة والريبة**". ١١. ص **٧٤** "اللى **فات مات**".

١٢. ص **٦٠** "ما يعرف **العمى** من **السمى**". ١٣. ص **٦٣** "مَن **هب** ومَن **دب**".

١٤ - ص **٧٠** "**الجار جار** ولو **جار**". ١٥. "إحنا **اتنين** والتالت جانا **منين**".

١٦. ص **٧٧** "خدها في **كمك لتغمك**". ١٧. ص **٧٦** "**فيها** وألا **أخفيها**".

هناك عبارات إتباعية أخرى في هذا القاموس لم نذكرها خشية الإطالة، وكي نعطي فرصة لعرض باقي الكتب التي ذكرناها آنفًا فمن أراد المزيد فليذهب لهذا الكتاب، وسيجد شرحًا تفصيلاً للعبارة وألفاظها.

ب. كتاب الأمثال العامية[3] لأحمد تيمور باشا:

ورد في كتاب الأمثال العامية عدد من العبارات الإتباعية نذكر بعضًا منها:

١- **٢٤٩** "زي الصوف **دوسه** ولا **تبوسه**"

٣- **١٢٢** "باب مردود وشر مطرود"

٤- **١٢٢** "الباب اللي يجيك منه الريح سده واستريح"

(١) الكنايات العامية: أحمد تيمور باشا، مطابع الأهرام التجارية، الطبعة الثانية، ١٩٧٠م

(٢) كتبنا كلمتي الإتباع بخط غليظ كي نميزها وسط العبارة الإتباعية، فعلنا هذا في العبارات التي نقلنها من هذه الكتب.

(٣) الأمثال العامية: أحمد تيمور باشا، مطابع الأهرام التجارية، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط٤، ١٩٨٦م.

٥- ١٢٤ "بتاع **الناس كناس**"

٦- ١٢٦ "**بخمسه بصل بخمسه**"

٧- ١٢٦ "بخمسه **قهوة** تقضى **شهوة**"

٨- ١٢٨ "**البدرية** علمت أمها **الرعية**"

٩- ١٢٨ "بره **ورده** وجوه **قرده**"

١٠- ١٢٩ "**البركة** تحت **الفلكة**"

١١- ١٣١ "**بطلوا ده واسمعوا ده**"

١٢- ١٢٨ "برا وجوه **فرشت لك** وأنت مايل **ويه يعدلك**".

ج. معجم الكنايات الشامية[1] لمحمد رضوان الداية:

١. ص ٤٧ "**أذن** من **طين** و**أذن** من **عجين**" ٢. ص٤٩ "اطلع **عليه بعينه**"

٣. ص٥٥ "أكلوه **لحم** ورموه **عظم**" ٤. ص٩٥ "جاب **عليها وطيها**"

٥. ١٣٩ "**خليط ... مليط**" ٦. ص ٢١٢ "**طاسه** سخنة و**طاسة** باردة"

٧. ص ٢٠٢ "**الصباح رباح**" ٨. ص٢٠٧ "**ضحكتنا** ما وصلت **لقرعتنا**"

٩. ص ٢١٧ "طلع **الخمير والفطير**" ١٠. ص ٢٥٨ "**فالج لا تعالج**"

د. قاموس الأمثال الشعبية العربية والأفريقية لسعد القاضي:

قام مؤلف هذا القاموس بعرض كل مثال وتتبعه بالبلاد العربية والأفريقية؛ مما يجعله خير دليل على انتشار المثال والعبارة الإتباعية في البيئات العربية (بلفظها ومعناها أو بمعناها فقط)، وسنقوم باستخراج العبارات الإتباعية الواردة فيه ثم تتبع وجودها وانتشارها في البلاد المختلف؛ وذلك لمعرفة ما حدث لها في رحلتها عبر اللهجات العربية ببلادها المختلفة، وندع الأمثال غير المنتشرة.

١. ص٢٢ في العامية المصرية "اللي له **فرخه** ما تضيع له **قمحة**" في الخرطوم يقال "اللي ما **ينفع يدفع**" كذا يُقال باللفظ نفسه ومعناه بسوريا ولبنان وفلسطين.

٢. ص٤٠ في السعودية يقال: "يا فاحت البير و**مغطيه** لابد من وقوعك **فيه**" في المغرب يقال: "اللى يحفر لخوه يطيح فيها " في تونس يقال: "الفاحر **نازل** والباني **طالع**" في العامية المصرية: "يا باني يطالع .. يا فاحت يا نازل" في السودان "اللي بيحفر بير لغيره يقع فيه" في العراق "اليحفر بير لخوه يقع بينو".

(١) معجم كنايات العامية الشامية: د.محمد رضوان الداية، دار الفكر.لبنان، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠٢م.

٣. ص**٤٦** في مصر يُقال "اتعلموا **الحجامة** في روس **اليتامى**" في الجزائر يُقال "اتعلموا **الحجامة** في روس **اليتامى**" في السودان يُقال "اتعلموا **الحلاقة** في روس **اليتامى**" في الموصل يقال "اتعلموا **الحجامى** في روس **اليتامى**" في الشام يقال "اتعلموا الزبانة في روس اليتامى" في بغداد يقال "اتعلموا **الحجامة** بركاب **اليتامى**" وركاب اليتامى يقصد بها في المثل البغدادي رقاب اليتامى".

٤. ص**١٣٧** في مصر يقال "راحت **السكرة** وجت **الفكرة**" نجده في الموصل يقال باللفظ نفسه، وفي الشام يقال باللفظ نفسه، وفي المغرب يقال "طارت الفكرة وظهروا المقايضة، ويقال هكذا في الجزيرة العربية والجزائر والمغرب.

٥. ص **١٣٧** في مصر يقال " الرجل **تدب** مطرح ما **تحب**"، وجدناه في سوريا هكذا (الرجل ما **تدب** إلا مطرح ما **تحب**)، وفي السودان ونَجْد وبعض بلاد إفريقيا (على هوى القلب تدب الأقدام)، وفي جنوب الوادي والنوبة والخرطوم (الرجل ما **تدب** إلا مطرح ما **تحب**).

المحور الثاني: العبارات الإتباعية وموجودات البيئة

١- موجودات البيئة (آثار البيئة):

تعج العبارات الإتباعية بالإشارات إلى ما يوجد في بيئتها من أشياء من حيوان وجماد وغيرها نحو (فرس – ناقة – حمار – ذئب- ...)، وقد وردت عبارات للحيوانات، نحو: (فرس صلتان فلتان – فرس عوج موج – سمعت للحمار شخيرًا ونخيرًا – مر الذئب يعسل وينسل – ناقة حائل مائل...)، وغيرها من العبارات التي ذكرتها في الحقول الدلالية المختلفة التي تشير إلى حيوانات ونباتات وجمادات هذه البيئة، والذي نستخلصه من ذلك أنها بيئة بدوية تقوم على الرعي، وتضم عباراتها الحيوانات المحيطة بها، والتي تعيش فيها؛ لذا لا نجد في هذه العبارات حيوانات لا تحيا في هذه البيئة، فلا نجد فيلاً، على الرغم من معرفتهم له؛ لأنه لا يحيا في بيئاتهم، كذا بعض الطيور كالطاووس؛ لأنها تعيش في بيئات أخرى، بل نجد طيورًا جارحة مثل الصقر والنسر الموجودان في البيئة الصحراوية يتكرر ذكرها بعباراتهم الإتباعية، كذا البيوت، فلا نجد القصور كإيوان كسرى، ولا الملابس كسندس ولا مظاهر الحضارة، ويمكن استطلاع هذه الموجودات من خلال مراجعة حقل الموجودات من هذا البحث.

المحور الثالث: امتداد العبارة الإتباعية عبر الأجيال والبيئات العربية

إن العبارة الإتباعية ـ كما ذكرت آنفًا ـ تراث الشعوب، وعصارة خبراتهم في الحياة اليومية يتناقلونها جيلاً بعد جيل؛لذا لم يكن غريبًا وجود كثير من العبارات في عصرنا الحالي بلفظها ومعناها؛ نظرًا لتشابه المواقف الإنسانية، وتتشابه العقول البشرية في سلوكها كبشر، ويمتد التراث الإنساني عبر الأجيال العربية المتعاقبة، فينقل ما به من فكر وطباع وعادات متوارثة؛ لذا حرصت أن أذكر بعض هذه العبارات التي بقيت من ذلك التراث في عصرنا ولازلنا نتكلم بها، وقد لاحظت ما فعله محقق كتاب الإتباع لأبي الطيب من مقابلة هذه العبارات بما بقى منها في بيئته (سوريا)، وحاولت أن أفعل مثله، ولكن في بيئتي المصرية لما فيها من عبارات كثيرة تماثل ما تركه لنا العلماء من تراث ثقافي وحضاري يحمل خبراتهم وثقافتهم، ولازال عالقًا بألسنة لأبناء بيئتنا المصرية المعاصرة.

أ- في البيئة المصرية:

١. (ويقولون للصبي في الترقيص: **حَدَارج نَدَارج**[١])، وهذه العبارة موجودة في بيئتنا المصرية خصوصًا في الريف يقولون (**حَدَرْجَة بَدَرْجَة**) عند ترقيص الصبي ومداعبته، وعند بداية سيره على الأرض، ويقول محقق كتاب الإتباع والمزاوجة: "فلم أجد (حدارج وندارج) في كتب اللغة المتداولة، وهما كلمتان للترقيص لا معنى لهما فيما يبدو[٢]"، والمحدرج: المفتول حتى يتداخل بعضه في بعض[٣]، وهذه الكلمات غير موجودة في المعاجم؛ لأنها من كلمات العامة قديمًا وحديثًا، فلم يتغافل معها أصحاب المعاجم؛ لأنها لغة اللهو والمرح، فلا تدون في المعاجم وكتب اللغة - كما يرون هم- ولكن هذه الكلمات من اللغة، ولا يمكن أن تُغفل؛ لأنها مأخوذة من كلمات يتكلمون بها؛ لذا وجدنا (حدارج) في معجم مقاييس اللغة، ومن الممكن أن تكون ندارج إتباعًا لها، وهي في عاميتنا المصرية (بدرجة) وإبدال النون بالباء، وهو جائز لأنهما من مخرج واحد (أصوات شفوية).

٢- (يقولون: رأس زعر معر[٤])، وهو القليل الشعر، وعندنا تستخدم كلمة زعر، والتي تعني كما في المعاجم –قلة الشعر أو الوبر وتفرقه حتى يبدو الجلد، فهو

(١) الإتباع لأبي الطيب ١٤ من مقدمة التحقيق.
(٢) الإتباع والمزاوجة ٥٤.
(٣) معجم مقاييس اللغة ٢/ ١٤٦.
(٤) الإتباع والمزاوجة ٦٩.

أزعر، وتستخدم بصيغة (أزعر)، وتعني العجز وقلة الحيلة لمن يحاول عمل الشيء ولا يقدر، يقولون: (ده قُصْر ديل يا أزعر)، وهو تحويل للمعنى المحسوس إلى المعنى المعنوي، أي: العجز.

٣- (يقولون: حَوَّةٌ تحت قَوَّة) للذي يخفي أمرًا ويظهر غيره، الحَوَّة: العطش، والقرة: الرعدة[١]، وَهي موجَودة في بيئتنا المصرية إشارة إلى من يخفيَ غير ما يبدي (الماكر) يقولون (هذا ماء من تحت تبن)، أي:هو ماكر كالماء الذي يأتي متخفيًا من تحت التبن.

٤- (يقولون: لا يُدالس ولا يوالس) المدالسة: الخيانة، والموالسة: الخداع[٢]، وهذه العبارة مستخدمة بهذا اللفظ والمعنى نفسهما عندنا للذي ينافق ويخادع.

٥- (ما سمعت له حسًّا ولا جِرْسًا[٣])، أي: حركة ولا صوتًا، أي: انقطع خبره عنّا، وهي مستخدمة عندَنا، مع تَغيير يسير، يقولون: (ما سمعت عنه لا حس ولا خبر)؛ فيشيرون إلى انقطاع أخبار فلان عنهم بهذه العبارة مع تغيير جِرْسا بخبر.

٦- (كَثُرَتْ هَسَاهسهُ ووَساوسهُ[٤]) الهساهس من الناس: اَلكلام الخفي، الوساوس: الصوت الخَفي، أو حَديث النفس، أو حديث الشيطان، وهي موجودة بقولهم: (فلان مُوسوس)، أي: كثير الوسوسة والشك وحديث نفسه إليه بالسوء.

٧- (ويقولون للأحمق: إنه لمألوس ممسوس) مألوس مجنون، ممسوس، أي: به مس من الجنون كأن الجن مسته[٥])، وهي موجودة بالمعنى واللفظ الأخير، (فلان ممسوس)، أي: به مس من الجن.

٨- (فلان ذو هشاش وأشاش) الهشاش والأشاش: النشاط والارتياح، وقيل الإقبال على الشيء بنشاطً أو الارّتياح والخفة للمعروف[٦])، وهي موجودة عندنا يقولون: (فلان هشاش بشاش) لمن يقبل على إخوانه بارتياح وفرح وسعادة بهم.

٩- ويقولون للصبي إذا دَرَج قبل ذلك: (حُطاط بُطاط)، الحطاط الصغير من الناس، البطاط: الضخم، تقول صبيان الأعراب في أحاجيهم، ما حطائط بطائط؟

---

(١) الإتباع والمزاوجة ٧٤.
(٢) المرجع السابق ٨١.
(٣) المرجع السابق ٨٢.
(٤) المرجع السابق ٨٢.
(٥) المرجع السابق ٨٣.
(٦) المرجع السابق ٨٧.

تميس تحت الحائط؟ يعنون الذَّرَّة من صغار النمل[1]، وهي موجودة لدينا في أحاجي الصغار يقولون: حطة، يا بطة، يا ذقن القطة، وكأن لهو الصغار وكلامهم يتشابه في كل البيئات، بمعنى أو بدون معنى لغرض اللهو والغناء فقط، لهذا السبب الأخير تصور هذه العبارة الإتباعية في صورة تشبه شعر الرجز تحمل أنغامًا وانسجامًاصوتيًّا لغرض الغناء (يتغنى بها للأطفال للمداعبة).

١٠- يقولون (ضائع سائع) قال الإساعة: سوء القيام على المال، وساعت الإبل: تخلت بلا راع[2]، وهي موجودة في قولهم للذي بلا عمل (صايغ ضايع) فتحولت السين إلى صاد، وهذا جائز في اللغة، فالصاد الصوت المماثل للسين، ولكنه مفخم، وهما من أصوات الصفير.

١١- (ما له أصل ولا فصل) الفصل: اللسان والأصل: الحسب[3]، وهي موجودة عندنا بالمعنى واللفظ يقولون: فلان لا أصل ولا فصل، يقصدون أنه لا نسب له يفتخر به ولا أصل من الحسب.

١٢- (ما له حابل ولا نابل) حابل: سدى الثوب، النابل: اللحمة، أي: لا يملك شيئًا[4]، وهي موجودة عندنا مع اختلاف في المعنى وبعض اللفظ، فيقولون (اختلط الحابل بالنابل)، أي: ضاعت الأمور واختلطت، والحابل عندنا في هذه العبارة: الذي يصيد بالحبل، والنابل: الذي يصيد بالنبال، فهناك فرق بينهما وإن تشابه اللفظ فيهما.

١٣- (رجل مصلصل مجلجل) إذا كان خالص النسب حسيبا، مجلجل: سيد قومه[5]، وهو موجود عندنا مع اختلاف في المعنى، حيث يقولون صوته مجلجل، أي: واضح مرتفع، ولا يكون هذا إلا لمن كان يفخر بنفسه، وليس عنده ما يخزيه فيخفض صوته أو يغض طرفه من أجلها.

١٤- (إن فلانا لمرس ضرس) إذا عالج الأمور وزوالها، رجل مرس: شديد مجرب مُضَرّس إذا كَان قد سَافر وجرب[6])، وهي عندنا في قولهم (فلان درس)،

---

(١) الإتباع والمزاوجة ٩٤.
(٢) المرجع السابق ٩٨.
(٣) المرجع السابق ١١٦.
(٤) المرجع السابق ١١٦.
(٥) المرجع السابق ١١٩.
(٦) المرجع السابق ٨٣.

أي: ضرس، أي: خبير ومجرب لا يستهان به، وهي تطابقها في اللفظ والمعنى.

وهناك عبارات إتباعية كثيرة في العامية المصرية، مثل: (كانت مرتاحة وجابت لها حاجة – وهذا المكان سداح مداح –ليِّس يطلع كويِّس – ويقولون عن الشيء العاري (سلت ملت)، وما يشبه عبارة (جِلّ وبِل) يقولون (ده حلالي بلالي)، وبعد الطعام يقولون: هنيئًا مريئا، وكلها أمثلة ينطقَ بها العامة في حياتهم اليومية، والذي يميزها عن المثل الشعبي هو الانسجام الصوتي الذي يعطي العبارة نغمًا مميزًا، ولا يخفى ما يحتويه من انفعال نفسي تجاه الشيء الذي يعبر عنه المتكلم.

ب- في البيئة السورية:

وقد أشار إلى وجود هذه الظاهرة في البيئة السورية محقق كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي قائلاً: «وكما كان الإتباع من أساليب سلفنا العربي في كلامهم، جرى أسلوبه في التقوية على ألسنة الخلف من أبنائهم جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، ففي العامية الدمشقية أو الشامية ألفاظ تنتدبها العامة لكلامها المتعارف لتزيده قوة، وتوكيدًا، ومنها قولهم في الدار الفسيحة: لفلان بيت (سيَّاح نياح) وكأن أهله يسيحون فيه لسعته، وتنيح لذلك أغصان شجره، والنيحان تمايل الأغصان، ويقولون في المرأة الكثيرة الخروج والولوج: أنت شطاطة نطاطة، بتشطي وبتنطي)، وقالوا فيمن خدعه خصمه: راح فيه (شَرْد مَرْد)، وفيمن تحرق على الشيء طلبًا له: فلان شاط ولاط، ويكثر إتباعهم في ألفاظ الطعام نحو زلط ملط، وهرش مرش، ومن ألفاظهم الإتباعية ما يشبه ألفاظ أجدادهم العرب مثل قولهم: (هو لك حل بل) قال أبناؤهم (هو لك حلال زلال)... ومن ألفاظهم الصحاح الموزونة: (هنيئًا مريئًا)[1]، ولا يخفى علينا في العبارة الأخيرة التناص وإقتباس من القرآن الكريم (كلوه هنيئًا مريئًا).

وقد أُلفت معاجم وقواميس تضم الأمثال الشعبية الخاصة باللهجة السورية المعاصرة، مثل: معجم الكنايات العامية الشامية د. محمد رضوان الداية الذي نقلنا عنه كثيرًا من الأمثلة الشامية التي جاءت في صورة عبارة إتباعية.

***

(١) الإتباع ١٤.

المراجع والمصادر

* الإتباع، أبو الطيب اللغوي، تحقيق عز الدين التنوخي، دمشق – مجمع اللغة العربية ١٩٦١م.
* الإتباع والمزاوجة، ابن فارس، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، وزارة الثقافة سوريا ١٩٩٥م.
* أدب الكاتب، ابن قتيبة الدينوري – تحقيق جرونرت – ليدن ١٩٠٠م.
* أساس البلاغة، الزمخشري، طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٢٢م.
* أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، القاهرة ١٩٦٨م.
*الأمثال العامية، أحمد تيمور باشا، مؤسسة الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٨٦م.
* تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، الكويت ١٩٦٥م.
* التطور اللغوي، مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، الخانجي ط٢، ١٩٩٥م.
* التوليد الدلالي، د. حسام البهنساوي، زهراء الشرق، ٢٠٠٠م.
* الخصائص لابن جني، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة ١٩٥٦م.
* دراسات صوتية في روايات غريب الحديث والأثر، د. أبو السعود الفخراني، مكتبة وهبة، ١٩٩٨م.
* دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتينو، ترجمة: صالح القرماوي، تونس، ١٩٦٦م.
* سر صناعة الإعراب، ابن جني، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٥٤م.
* شرح صحيح البخاري للكرماني، دار إحياء التراث العربي، ط٢، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.
* شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مطبعة عيسى الحلبي، القاهرة، دون تاريخ.
* علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٨م.
* علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، د. محمود السعران، دار الفكر العربي، ١٩٩٥م.
* غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، حيدر آباد الدكن١٩٦٤م.
* الفاخر في الأمثال للمفضل بن سلمة، نشر عبد العليم الطحاوي، القاهرة، ١٩٦٠م.
* فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، الخانجي، ط الأولى، ١٩٧٣م.
*في اللسانيات العصبية، المعالجة العصبية للغة، د.عطية سليمان أحمد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٢٢م.
* القاموس المحيط للفيروزباوي، القاهرة، ١٩١٣م.
* قاموس الأمثال الشعبية العربية والأفريقية، سعد محمد القاضي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (١)، ٢٠٠٥م.
* الكليات، أبو البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، ١٩٧٤م.
*الكنايات العامية، أحمد تيمور باشا، الطبعة الرابعة، مطابع الأهرام التجارية.
* لسان العرب لابن منظور الأفريقي، بولاق، ١٣٠٧هـ.

* المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د. رمضان عبد التواب، القاهرة، ١٩٨٥م.
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ١٩٥٨م.
*معجم الكنايات العامية الشامية، د.محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت، لبنان، دار الفكر دمشق، سوريا، ٢٠٠٢م.
* معجم مقاييس اللغة لابن فارس اللغوي، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ١٣٧١هـ.
* مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، المطبعة المصرية لبنان.
* من وظائف الصوت اللغوي، د. أحمد كشك، القاهرة، ١٩٨٣م.

المخطوطات:

* ابن فارس اللغوي النحوي (رسالة دكتوراه)، إعداد: د. طليمات.

المراجع الأجنبية:

1- M caning and style S. Ullmann, Oxford 1973.
2- The Theory of meanning. William Alston, in the theory of Meanning U. S. A. 1970.



فهرس الموضوعات

أعمال المؤلف من إصداراتنا

- النظرية الأسلوبية ـ دراسة تركيبية ـ شعر المثقب العبدي نموذجاً.
- الاستعارة القرآنية في ضوء النظرية العرفانية.
- الإشهار القرآني والمعنى العرفاني في ضوء النظرية العرفانية والمزج المفهومي والتداولية [سورة يوسف نموذجاً]
- الدلالة الاجتماعية واللغوية للعبارة.
- اللسانيات العصبية ـ اللغة في الدماغ.
- في اللسانيات العصبية: التداولية العصبية (التداولية التي لم نعرفها).
- في اللسانيات العصبية : المعالجة العصبية للغة.
- في علم الأصوات: الفونيمات فوق التركيبية في القرآن الكريم (المقطع والنبر) [سورة الواقعة نموذجاً].
- في علم الدلالة الإدراكي ... الإبداع الدلالي في المتضايفين بين البنية التصورية والبنية العصبية [كتاب ثمار القلوب للثعالبي نموذجاً].
- في علم اللغة النفسي .. اللغة الانفعالية بين التعبير القرآني والنص الشعري.
- في علم اللغة النفسي: النمو اللغوي عند الطفل ـ دراسة ميدانية تحليلية.
- في علم اللغة النفسي: نمو الدلالة وتكوين المفاهيم ـ دراسة ميدانية لاكتساب الدلالة لدى الأطفال.
- فعلتُ وأفعلتُ.

هذا الكتاب

إن هذه الظاهرة اللغوية أو الأسلوب الذي يتبعه الكثيرون قديمًا وحديثا هو وسيلة يستخدمها الناس للتعبير عن رأيهم في موقف ما، ولكن بطريقة تختلف عما اعتاده الناس في كلامهم، حيث يأتي برأيه في عبارة قصيرة؛ تحمل نغمًا قصيرًا، ناتجًا عن توافق كلمات العبارة في الوزن والروي، وهذا الأمر الأخير هو هدف في ذاته، حيث يحرص المتكلم على تحقيقه مطوعًا في سبيل ذلك أوزان اللغة وقواعدها لتحقيق هذا الهدف؛ فيغير ويبدل في أوزان الكلمات، وقواعد التركيب اللغوي للجملة حتى يتحقق ذلك، بل إن المعنى الخاص بالكلمات يتم تطويعه لهذا الغرض، فنجد الكلمة الثانية تابعة للأولى في معناها حيث يختار المتكلم كلمة تناسب أو ترادف الكلمة الأولى في المعنى بعد أن وافقتها في الوزن والروي ليتحقق الهدف من العبارة، وهو إحداث ذلك النغم والإيقاع أو التناسق الصوتي بين الكلمات والمعاني.

ولهذا يتضح أننا أمام ظاهرة لغوية موجودة في كل المجتمعات، وكل العصور، وكل اللغات، ليس الهدف منها (كما يرى البعض) تأكيد الكلام أو الترادف أو غير ذلك من الأسباب اللغوية أو البلاغية، بل إننا أمام ظاهرة ظاهرُها لغوي وباطنها نفسي.

ولما كان الدرس اللغوي في تطور دائم، فأتى لنا بنتائج لم نكن نتوقعها، فكان علينا النظر إلى ظاهرة الإتباع في ضوء ما استحدث من بحوث العلوم المعرفية، والإفادة من نتائجها لتحقيق فهم أكبر للظاهرة، مثل علم النفس والأعصاب وكل العلوم المعرفية التي تبين صلتها باللغة وظواهرها، انطلقت العبارة الاتباعية من إبداع يتم في الدماغ؛ لذا كان علينا دراستها على أنها إبداع عقلي في ضوء علمي (النفس والأعصاب) لإظهار الجانب الخلاق في الظاهرة، وكيف يصنع المبدع عبارات اتباعية جديدة كل يوم!.

ويعد هذا الكتاب أول تطبيق عملي لنظريات المعالجة العصبية وبيان عمل المخ وخلاياه العصبية وتشابكاته في إنتاج العبارة الإبداعية واستدعائها من الذاكرة.

مازلنا نبحر في إبداعات أ. د. عطية سليمان ونغوص معه في تجلياته وعطاؤه المنهمر ومعينه الذي لا ينضب، ولا نملك له إلا الدعاء المستمر ليظل قادراً على إنتاجه لتلك الدرر

الناشر





الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي

82 شارع وادي النيل - القاهرة - مصر

تليفاكس : 33034561 - 01221734593

Email:m.academyfub@yahoo.com